

الكتاب: الرحلة المدرسية
المؤلف: الشيخ محمد جواد البلاغي
الجزء: ٢
الوفاة: ١٣٢٨
المجموعة: مصادر عقائد أهل الكتاب وردودها
تحقيق:
الطبعة: الثانية
سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م
المطبعة:
الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
ردمك:
ملاحظات:

العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي
كتاب
الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة
في نهج الهدى
الجزء الثاني
دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد كما هو أهله وهو المستعان والصلاة والسلام على رسله
وأنبياؤه وأوليائه.

دين الاسلام والقرآن
اليعازر: يا سيدي القس إني ربما التفت إلى دين الاسلام فأكاد أن
استحسنه حينما انظر إلى صفاء توحيده. ونزاهة عرفانه. واستقامة
تعاليمه. وسلامة كتابه مما ذكرناه من كتب العهدين وأزعجنا بمنافياته
لجلال الله وقدس الأنبياء. ولكن يا سيدي إذا نظرت إلى قيامه بقوة
السيف وغلبة القسوة نفرت منه. خصوصا إذا كان يقطع علاقتي بالدين
المسيحي. ويكدر صفاء إيماني بالسيد المسيح. ويشوش محبتي له
واعتصامي به.

فهل يسمح لي سيدي بأن ننظر في دين الاسلام. ونخوض في
أمره وأمر كتابه. وهل يسمح لي سيدي بأن يجاهر في الحقيقة بصريح
البيان.

القس: يا اليعازر قد جئت في هذا الكلام بفصول كثيرة. كل
فصل منها يحتاج إلى إيضاح وتحقيق.
وربما كان الوقت والحال لا يسمحان ببيان بعض الفصول.
اليعازر: يا سيدي لي الثقة بأن عندك علما كبيرا يضمن لنا إيضاح
روح الحقائق. ويثبت أقدامنا في موقف الحق اليقين. ولكن يا للأسف

أراك تحيد عن المجاهرة بالبيان. وإني لا أتهم قداستك بكتمان الحق والإغماض عن إرشاد الجاهل ولكني أراك تنتظر الفرصة في تعليمنا وإرشادنا..

يا سيدي والعمر قصير فهل أعلل نفسي بالفرصة بعد الموت. فإن كنت تحذر من هيجان التعصب فينا. فلك علينا كل عهد وثيق أن نضع كل تعصب تحت أقدامنا.

القس: يا اليعازر أما ما ذكرته من صفاء توحيد الاسلام. ونزاهة عرفانه واستقامة تعاليمه. وسلامة كتابه فهو أمر لا يكفي في جوابه (لا أخطأت) ولا (نعم. أصبت وأحسن) بل يحتاج إلى أن ندرس معارف الاسلام من القرآن والتاريخ بكل إتقان علمي.

وليس من الحسن أن نخوض في معارف القرآن وحدنا. بل لا بد من أن نحضر معنا واحدا من علماء المسلمين لكي ينبهنا على ما يخفيه علينا الجهل بالقرآن.

وأما الأمور التي اقتضت نفرتك من دين الإسلام فإنه يمكن البحث فيها فلسفيا وتاريخيا بسهولة.

ملخص تاريخ الاسلام من بدء دعوته إلى حين انتشاره
يا عمانوئيل: هل لك اطلاع على تاريخ الاسلام من أول دعوته إلى حين انتشاره. لكي تذكر لأبيك شيئا يتعلق بغرضه. على شرط أن تذكر ما هو معلوم ومتفق عليه من التاريخ لا ما يختص به واحد دون واحد.

دعوة الاسلام

عمانوئيل: هل يخفى على سيدي أن بلاد العرب كانت على أقبح جانب من العبادة الوثنية الأهوائية، والعوائد القاسية الوحشية، وخشونة

الظلم والجور. وإدمان الحروب والغارات. قد امتازت كل قبيلة بجبروت رياستها، واستقلت بعصية قوميتها، حتى إن كل قبيلة اختصت بصنم معبود، لئلا تخضع إلى قبيلة أخرى، واستمروا على ذلك أجيالا متعددة تتراكم عليهم فيها ظلمات الوحشية. وضلالات الوثنية، وعوائد الظلم، وقساوة العداوة، والحروب المبيدة الفظيعة - بل كانت الدنيا بأسرها مرتبكة بين العبادة الأوثانية الصريحة. وبين التثليث وتحسيد الإله والسجود للأيقونات (الصور والتماثيل) وإن جرى لفظ التوحيد على بعض الألسن لفظا بلا معنى، حتى إنك رأيت معارف التوراة الدارجة في الإلهيات وعرفت أنها من مبادئ وثنية يجب أن ينزه عنها جلال الله. وعند تراكم هذه الظلمات والضلالات، وهيجان براكينها الهائلة نبغ صاحب دعوة الاسلام والتوحيد الحقيقي (محمد) وأعلن بين العرب بادئ بدء بدعوة الاسلام التي هي أثقل عليهم من الجبال، فدعاهم جهارا إلى رفض معبوداتهم من الأوثان، وترك عوائدهم الوحشية، وإلى الخضوع لعدل المدنية، والتجمل بالأخلاق الفاضلة والآداب الراقية، واستمر على هذه الدعوة في مكة نحو ثلاثة عشر سنة. وفي السنة الثالثة من دعواه الرسالة أعلن بدعوته لعامة الناس إعلاما تاما. وصار ينادي بدعوته في جميع أيامه في المحافل والمواسم بجميل الموعظة، وقاطع الحجّة، والانذار بالعقاب والبشرى بالثواب، وحسن الترغيب والترهيب، وتلاوة القرآن. والإعذار بالنصيحة. لم يهب في دعوته طاغوتا ولم يستحقر فيها صعلوكا. يدعو الشريف والحقير والمرأة والعبد. وقد آمن في خلال هذه الدعوة بدعوته الثقيلة على الأهواء من كل جهة خلق كثير من أهل مكة وضواحيها من قريش وغيرهم، واحتملوا في سبيل ذلك أشد الاضطهاد والهوان والجلاء عن الأوطان إلى الحبشة وغيرها. فكم من شريف في قبيلته عزيز في أهله وقومه صار بإسلامه مهانا مضطهدا، وكل هذا لم يصد الناس عن الاسلام لا يصد الضعيف ما يقاسيه من العذاب ولا يصد الشريف العزيز ما يلاقيه من

الهُوان. يرون الإسلام هو العز والشرف والحياة والسعادة. ففي السنة الخامسة هاجر إلى الحبيشة من جملة المؤمنين اثنان وثمانون رجلاً من معاريف قريش وأتباعهم وذوي العزة ومعهم مثلهم أو أكثر منهم من النساء المسلمات الشريفات وبقي كثير من المؤمنين في مكة وغيرها، يقاسي أكثرهم سوء العذاب. وكل هذا لا يصد الناس عن إظهار الإسلام. وقد أقبل على الإيمان بدعوة (محمد) وهو بمكة قبائل الأوس، والخزرج، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأسلم، وخزاعة.

ولا يخفى أن محمداً كان عزيز قريش من بيت سيادتها وعزها تسميه قريش (الصادق الأمين) يودع عنده مشركو قريش والعرب ذخائرهم إلى حين هجرته. ومع ذلك كان يقاسي الأذى الشديد من المشركين والاستهزاء والتكذيب لدعوته والحبس مع بني هاشم في الشعب. وهو مع ذلك متمسك بالتحمل والصبر الجميل وهدو السلم لا يفتر عن دعوته ونشرها وبث تعاليمه الفاضلة، وحماية التوحيد وإبطال الوثنية. حتى إذا اشتد عليه الاضطهاد وتعاقد المشركون على قتله عزم على أن يقطع مادة الفساد ويحافظ على دعوة التوحيد والاصلاح ويعتزل عن بلاده وهيجان المشركين للشر. فهاجر إلى المدينة لنشر دعوته. وجمع المسلمين في حماية جمعية واحدة. فانتظم له في هجرته زيادة على من ذكرنا إسلامه إسلام كثير من العرب بالطوع والرغبة ومن جملتهم قبائل اليمن. وحضرموت. والبحرين. بل ما من قبيلة من القبائل التي حاربتة إلا ويذكر التاريخ المعلوم أن أناساً منها أسلموا بالطوع والرغبة. فمنهم من تجاهر بإسلامه ومنهم من تستر به إلى حين.

حروب رسول الاسلام
يا والدي وأما حروبه التي تشير إليها في كلامك فإن أساس التاريخ
الذي يذكرها يقرنها بذكر أسبابها التي يعلم منها أنه لم يكن حرب من
حروبه ابتدئيا لمحض الدعوة إلى الاسلام.
وإن جاز ذلك للإصلاح الديني والمدني، وتثبيت نظام العدل
والمدينة، ورفع الظلم والعوائد الوحشية الجائرة القاسية.
لكن دعوته الصالحة الفاضلة تجنبت هذا المسلك وسلكت فيما هو
أرقى منه وهو الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة
بالتي هي أحسن. كما جاء هذا التعليم الأساسي في الآية السادسة
والعشرين من سورة النحل المكية.
وقد استمرت سيرته الصالحة على ذلك. فكانت حروبه بأجمعها
دفاعا لعدوان المشركين الظالمين عن التوحيد وشرعية الاصلاح
والمسلمين.
ومع ذلك فهو يسلك في دفاعه أحسن طريقة يسلكها المدافعون،
وأقربها إلى السلام والصلاح، يقدم الموعظة ويدعو إلى الصلاح والسلام
ويجئ إلى السلم ويجيب إلى الهدنة ويقبل عهد الصلح. مع عرفانه بأنه
المظفر المنصور. وهاك ما ينادي به التاريخ من أسباب حروبه وغزواته.
حرب بدر - وأسبابها
فأول حروبه المعروفة بعد هجرته هي حرب بدر وهي في السنة
الثانية من الهجرة. وسببها أن المشركين من قريش اشتد اضطهادهم
للمسلمين ومن يريد الاسلام بمكة. ومنعواهم عن الهجرة والفرار بدينهم
حتى ضيقوا عليهم بقساوة الاضطهاد والحبس لكي يردوهم إلى شرك
الوثنية وعوائد الضلال. فإنهم عرفوا من سيرة (محمد) أنه لا يحب إثارة

الحرب فزاد طغيانهم لما أمنوا جانبه، فأراد أن يرهبهم بالقوة والمنعة، ويهددهم بالتعرض لسبيل تجارتهم إلى الشام لكي تلجئهم الضرورة الاقتصادية وحاجتهم لتجارة الشام إلى الكف عن ضلالهم في اضطهاد المؤمنين بمكة ومنعهم عن الهجرة والفرار بدينهم. فندب إلى ذلك بعض أصحابه فنهض منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا على أضعف عدة لم يكن معهم إلا سبعون بعيرا يتعاقبون عليها وأسياف قليلة. فقصدوا قافلة قريش المقبلة من الشام. فسمع بذلك رئيس القافلة أبو سفيان وأرسل إلى مكة يستصرخ قريشا لتخليصها فخرجوا بعدة كاملة من الخيل والسيوف والدروع وكانوا نحو ألف رجل. واتفق أن قافلة قريش نجت من أصحاب (محمد) ولكن قريشا لم يكتفوا بنجاة قافلته، بل قصدوا محمدا وأصحابه اغترارا بكثرة عددهم وقوة عدتهم. وقد منعهم عقلاؤهم عن قصد (محمد) فلم يقبلوا حتى اجتمعوا مع المسلمين في مكان يسمى (بدرا) وابتدأوا بالقتال. فانتصر المسلمون انتصارا باهرا وقتلوا من صناديد قريش سبعين وأسروا سبعين ورجعت قريش إلى مكة بالانكسار. غزوة بني القينقاع

ولما قدم (محمد) في هجرته إلى المدينة رأى موقع الاسلام والمسلمين بين اليهود خطر، فإنهم كانوا محذقين بالمدينة وهم بنو النضير وبنو قريضة، وبنو قينقاع، فكان أول أعمال (محمد) في هجرته أنه عاهد هؤلاء اليهود على السلم وأمانة الجوار وأن لا يكيدوا المسلمين ولا يخونوهم ولا يساعدوا عليهم عدوا.

ولكن بني قينقاع غدروا بعد وقعة بدر وصاروا يكاتبون المشركين وأنشبوا حربا بينهم وبين المسلمين فغزاهم محمد وانتصر عليهم فطلبوا النجاة بالجلء عن بلادهم فسمح لهم بذلك.

حرب أحد

ثم تجمعت قريش بعدتها وعديدها وغزوا (محمد) وأصحابه إلى

المدينة في السنة الثالثة من الهجرة حتى وصلوا إلى مكان يقال له (أحد) وهو عن المدينة بأميال يسيرة.

تأكيد العهد مع اليهود وجلاء بني النضير ورأى محمد أن اليهود لا يكادون يثبتون على عهدهم فقصدهم هو وأصحابه لتأكيد العهد وأخذ الميثاق منهم. فأبى بنو النضير فعدل عنهم إلى بني قريضة فأعطوه عهدهم مجددا على أن لا يغدروا بهم ولا يساعدوا المشركين عليهم. فرجع عنهم إلى بني النضير وحاصرهم على إعطاء العهد فاقتاروا الجلاء عن بلادهم فسمح لهم بذلك حفظا للسلام بين البشر فحملوا كل ما يقدرون على حمله. ونزل أكثرهم في (خيبر) لكي يكيدوا محمدا عن قرب.

حرب الأحزاب

ثم جمعت قريش في السنة الرابعة من الهجرة جموعها منها ومن أحلافها من القبائل، وكذلك (غطفان) وأهل نجد وتحزبوا على قتال (محمد) وأصحابه، وكان الساعي في هذا التحزب واجتماع غطفان وأهل نجد مع قريش على الحرب هم جماعة من يهود بني النضير الذين أجلاهم محمد ونزلوا خيبر منهم آل أبي الحقيق وغيرهم فقصدوا المدينة بجيش عظيم يعد بنحو عشرين ألفا فخندق (محمد) على المدينة وحاربهم.

وقد كانوا كاتبوا بني قريضة على الغدر بمحمد والنهوض إلى حربه فخف بنو قريضة إلى الغدر ونقض العهد وبدا منهم الاعتداء فأرسل إليهم (محمد) حليفهم سعد بن معاذ رئيس الأوس مع جماعة من

الأوس والخزرج فوجدوهم على أقبح الغدر. حتى صار بعضهم يغير على بيوت المدينة ومجامع العيالات.

غزوة بني قريضة

وحينما انكسرت قريش وانحل جيش الأحزاب عطف محمد وأصحابه على الغدرة بني قريضة فحاصروهم فجعل بنو قريضة حكمهم إلى سعد بن معاذ رئيس الخزرج لأنهم كانوا حلفائه قبل الإسلام وظنوا أن سعيدا يتساهل معهم فوافقهم محمد على ذلك ولم يصمم على حربهم. فحكم سعد بقتلهم فنفذ حكمه في الغادرين.

ولو أنهم اختاروا الجلاء إلى حيث يؤمن غدرهم لسمح لهم (محمد) كما سمع لبني قينقاع وبني النضير ولو شفع فيهم سعد لتركهم له. فإن المعلوم من حال (محمد) أنه كان يحب السلم وصلاحة البشر والعفو إذا أمن من فسادهم. ولم ينصبغ العفو بصبغة الضعف والوهن.

حرب بني المصطلق

وفي السنة الخامسة أو السادسة صار بنو المصطلق يستعدون لحرب (محمد) فغزاهم وظفر بهم.

صلح الحديبية

وفي ذي القعدة من سنة ست قصد مكة للحج والطواف بالبيت ومعه من أصحابه نحو سبعمائة رجل.

وقدموا ذبائح العبادة سبعين بعيرا جعلوا عليهم علائم الهدى لكعبتهم ورسوم العبادة ولكي يطمئن أهل مكة بالسلم، فصدده أهل مكة واستعدوا لحربه وطلبوا رجوعه، فسمح لهم بما طلبوا وتساهل معهم

بالصلح حسبما يقتضيه حب السلم ونحر في مكانه هديه للكعبة ورجع.

حرب خيبر

وإن بني النضير الذين نزلوا بعد جلائهم في خيبر وخضع لهم أهلها لم يزلوا يسعون في حرب (محمد) وقطع أثره.

وهم الذين سعوا في حرب الأحزاب ولم يزلوا على إثارة الفتن فغزاهم في أواخر السنة السادسة ففتح حصونا لبني النضير. منها. حصن ناعم.

ومنها القموص حصن بني أبي الحقيق.

ومنها حصن الصعب بن معاذ، وباقي حصون خيبر، إلا حصنين (الوطيح، والسالم) فإن أهلها طلبوا من (محمد) أن يسيرهم ويحقن دماءهم فسمح لهم بذلك.

فتح مكة

وقد كان في صلح الحديبية أن خزاعة دخلت في حلف (محمد)، وبني بكر دخلت في حلف قريش. فعدت بنو بكر وقريش على خزاعة بالحرب العدوانية. فجاء مستصرخ خزاعة إلى (محمد) فتوجه في سنة ثمان بجيشه إلى مكة في عشرة آلاف بعدة كاملة. ولما خافت منه قريش وأحلافها وضعفوا عن مقاومته لم تحمله سوء أفعاله على الانتقام منهم. بل دخل مكة بأرأف دخول وأكرم معاملة. فكأنه ساق إلى قريش جيش العفو وامتنان الرحمة وكرم الأخلاق.

حرب هوازن

ولما سمعت هوازن بفتح مكة جمعت جموعها لحرب (محمد). فقصدتهم وحاربهم وغنم أموالهم وذرايرهم. فوفد رجالهم عليه بعد أن

أسلموا في هزيمتهم طوعاً. فاسترحموه، فخيرهم بين رد السبي ورد الأموال.

فاختاروا رد السبي، فاسترضى المسلمين في ذلك فأجابوه، فرد السبي وكان نحو ستة آلاف ما بين امرأة وطفل. وقد كانت ثقيف من جملة المنهزمين من جيش هوازن فرجعوا إلى الطائف وتحصنوا بحصونهم لحرب (محمد) فوجه إليهم بعض جيشه. حرب مؤتة وحرب تبوك

وأما بعثه الجيش إلى الشام حيث حاربوا جيش الروم والعرب والرومانيين في (البلقا) شرقي بحيرة لوط. ومسيره بجيشه إلى تبوك فكان الداعي لذلك أن هؤلاء تظاهروا بالعداوة للإسلام و (محمد) واستخفوا بحرمته وقتلوا رسله الذين أرسل معهم كتبه لدعوة التوحيد. مع أن العادة المستمرة أن الرسول حامل الكتاب محترم لا يقتل. ولا يقتله إلا من تجاهر بالطغيان والعداوة لمن أرسله، فإن (محمد) كاتب ملك الروم في الدعوة إلى صلاح الإسلام وتوحيده الحقيقي حينما كان قيصر راجعاً مع جيشه من انتصاره على الفرس.

فتجرأ شرحبيل الغساني على قتل الرسل حامل الكتاب، واستعد الروم وأتباعهم لعداء (محمد) وحربه فاستعد لدفاعهم وعدم الخضوع لجرأتهم التي تهدد دعوة التوحيد والاصلاح. سراياه وتجريداته

وأما سرايا (محمد) وتجريداته فكلها كانت دفاعية. يرد بها كيد الغادرين ويدافع بها من يستعد لحربه، ويسعى في الفساد والبغي، ولم تكن فيها مهاجمة ابتدائية على هادئ مسالم كما يشهد بذلك معلوم التاريخ.

سيرة محمد في دفاعه
وقد كانت حروبه الدفاعية محدودة بالحدود الصالحة فيما قبلها
وما بعدها.
وكانت محدودة فيما قبلها بالدعوة إلى التوحيد الحقيقي ومدنية
العدل.
والكف عن عوائد الظلم والوحشية ثم بالدعوة إلى الصلح وحفظ
السلام، والمعاهد والهدنة، ومحدودة في آخرها بقبول للعدو لدعوة
التوحيد والعدل، أو طلبه للصلح أو الهدنة.
وقد كان (محمد) في جميع ذلك يشدد النهي عن قتل النساء
والأطفال والمشائخ العاجزين والرهبان المعتزلين. وكان يجمع بين
الرحمة وحقوق أصحابه المجاهدين فيسمح برحمته بكل ما يسمح به
أصحابه من السبي والغنائم، ويرعى للأسير الشريف حرمة شرفه،
ويطيب قلوب الأسرى بلسانه وقرآنه، ويوصي أصحابه بهم ويرغبهم في
عتقهم حتى إن العتق في شريعته من العبادات الواجبة في بعض
المواضيع.

هذا ملخص سيرة (محمد) في دعوة الاسلام.
يا والدي ولا بد من أنك عرفت من تاريخ العرب المدون، وحالهم
الموروث الذي نشأه أنهم أمة حرب وتحزب وشدة طغيان وتعصب وقد
كانوا في عصر الدعوة الإسلامية قبائل فوضى لا تصدهم عن طغيانهم
وظلمهم سلطة سياسة ولا قانون حكومة.
بل كانت كل فرقة تدافع عن نفسها بنفسها. فليس من الممكن في
العادة أن تستقيم بينهم دعوة صالحة تضاد عبادتهم وعوائدهم وترفض
وثنيهم وأوثانهم وتهدد تحزبهم الوحشي وفوضويتهم وعصبية رياستهم
العدوانية وتلوي أعناقهم إلى الخضوع إلى عدل المدينة وناموس السلام

ما لم تكن تلك الدعوة معتزة بقوة دفاعية.

دعوة المسيح

يا والدي ألا ترى أن دعوة المسيح في بني إسرائيل لم يكن فيها ما يهضهم في أصول ديانتهم وعباداتهم وناموس شريعتهم. بل كان أساس دعوته هو الحث على لزوم التوحيد وحق العمل بالشرية وحفظ وصايا التوراة، والتعليم بمكارم الأخلاق وحسن العدل. وهذا مما يرتاح له نوع بني إسرائيل، ولم يكن في دعوة المسيح إلا أنها كانت تتعرض لرياء الكهنة والكتبة وجبروتهم في الرياسة الدينية، وأكلهم الدنيا باسم الدين وهذا أيضا مما ترتاح إليه نفوس العامة. ولكن لمحض ذلك قامت قيامة الكهنة والكتبة وأنصارهم، وجرى من أعمالهم مع المسيح والمؤمنين به ما تسمعه من التاريخ والأنجيل من أنواع الاضطهاد مع أن قدرتهم كانت محدودة بالسياسة الرومانية لا يستطيعون أن يعملوا شيئا إلا بالمحاكمة والتطبيق على قوانين السياسة بالاستعانة بالكذب وشهادة الزور وبذلك صالوا على المسيح والذين من بعده من أصحابه.

فكيف حال الدعوة الإسلامية التي سمعت حالها مع العرب والوثنيين المتوحشين الذين شرحنا لك حالهم. فهل يمكن في العادة أن تستقيم بدون دفاع؟ وهل يصح في حكمة الاصلاح الديني والاجتماعي أن لا تعتر هذه الدعوة بالدفاع؟ وهل يجوز أن تسلم أمرها بالوهن إلى التلاشي بعدوان أضدادها.

استعداد المسيح للدفاع بالسيف

يا سيدي إن الأنجيل قد ذكرت وهن التلاميذ وضعفهم عن الصبر

على الشدائد. وتفرقهم عن المسيح عند هجوم اليهود عليه كما أخبرهم به المسيح قبل ذلك.

وقد أحصى هذا كله من الأناجيل في الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفة ٣٠ و ٣١ فراجعه فإنك تعرف أن ألؤفا من أمثالهم لا يقومون مقام واحد من أصحاب (محمد) في الصبر والثبات على الإيمان والتفادي في سبيله.

ومع ذلك فإنجيل لوقا يذكر في العدد السادس والثلاثين من الفصل الثاني والعشرين أن المسيح أراد من تلاميذه الاستعداد للدفاع بالسيف وقال لهم: (من ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً) ولكن يا للأسف لم يحيوا أمره المؤكد لهم جميعاً بالسمع والطاعة.

بل قالوا قول المتناقل المتشبه بالمعاذير (ههنا سيفان) فلم ير المسيح في جواب تناقلهم إلا أن يقول: (يكفي) وظاهره أن جوابكم يكفي في بيان وهنكم.

يا والذي إن اليهود والنصارى يعتقدون أن التوراة الموجودة هو كتاب الله جاء بشريعة الله في كلام الله لموسى رسوله. وقد كثر في هذه التوراة الأمر بالمهاجمات الحربية الابتدائية في الحروب القاسية الآمرة بذبح الأطفال والنساء. والتوراة وكتاب يشوع (يوشع) يذكر أن موسى الرسول ويشوع مختار الله قد عملا بهذا الأمر القاسي على أقسى وجوهه كما مر في الجزء الأول في صحيفة ٦٩ مع أن التوراة وكتاب يشوع لم يذكر أن ذلك كان لأجل الدعوة إلى التوحيد والإيمان والاصلاح. بل لم تذكر التوراة غاية لهذه الحروب القاسية إلا انتهاء الأرض من سكانها المظمئنين بها وإعطائها لشعب بني إسرائيل الذين لم يستقروا على التوحيد والشريعة والطاعة جيلاً واحداً.

يا والذي فهل من الصواب وشرف الانصاف أن نغض الطرف عن هذا كله ونعترض على الاسلام دين التوحيد الحقيقي والاصلاح والمدنية

حيث اضطرته الأحوال إلى أن يدافع عن صلاحه عدوان الوثنية وفساد الوحشية.

يا والدي إنك إذا تأملت في فلسفة الإصلاح الديني الاجتماعي بل وعواطف الاجتماع رأيتها بوجدانك تسوغ لمحمد في عصره المظلم بالظلمات المتراكمة أن يبتدئ بالمهاجمة في سبيل إصلاحه.

فكيف نعترض عليه إذا سلك أرقى مسلك في الإصلاح. ألا. وهو الدفاع الجميل الذي تقوم به الحجة، ويحدده الصلاح وعواطف الرحمة بأكرم الحدود وأشرفها.

خلاصة الكلام في دفاع الإسلام

يا والدي: وفي آخر الكلام أقول لك إنك إذا نظرت إلى التاريخ نظر حر تجد أن الذين نالهم السيف من الذين دافعهم (محمد) لا يبلغون عشر الذين آمنوا به بالطوع والرغبة وفدوا أنفسهم وكل غال دون دعوته الكريمة.

وإن هؤلاء الذين انقادوا إلى الإسلام بالسيف لما تشرفوا بنعمة الإسلام صار (محمد) أحب الناس إليهم. وذلك لما وجدوه من صلاح دعوته وحسن سيرته في تبليغها وإجراء شريعته فيما عاملهم به من التحمل والملاينة.

وجميل الدفاع وعواطف الرحمة وكرم المروءة وحسن الخلق وحسن الولاية، وإن حروبه معهم وإن كانت لأجل أشرف الغايات لم تكن إلا دفاعاً جميلاً لحماية الإصلاح الديني والمدني مقرونة بحسن المعاملة وجميل الصفح وعظيم المن وأيادي الرحمة مما لا يتصور من محارب مظفر معتز بنصيحة أصحابه وتفاديهم في سبيل نصره.

نعم كان كثير من النائين عن مركز (محمد) ينتظرون بإسلامهم قوة الإسلام وارتفاع الموانع بينهم وبينه. ولأجل ذلك تقاطرت إليه قبائلهم

بالطوع والرغبة عندما ارتفعت الموانع.
اليعازر: إن من أنعم النظر في التاريخ وفلسفة الحقائق لا بد له من
أن يعترف بما تقول وإن كان النصرى الغربيون يودعون في أذهان العوام
أن (محمد) كان على أعظم جانب من القساوة الحربية والتهاجم
العدواني وأن دينه لم ينتشر إلا بالسيف العدواني القاسي.
وأن دياناته وثنية وحشية ولكن لما تقدم في النظر إلى التاريخ
وتحقت في دين الاسلام وجدت الحقيقة على ما شرحه ولدي
عمانوئيل، وأن توحيد الاسلام هو التوحيد الحقيقي. ولكني قلت ما
قلت لكي أرى ما يقوله عمانوئيل ويرتضيه سيدنا القس لأكون على ثقة
وبصيرة من معلوماتي.

الاسلام والمسيح

عمانوئيل: يا والدي وأما قولك في أسباب نفرتك من الاسلام
(خصوصا إذا كان يقطع علاقتي بالدين المسيحي ويكدر صفاء إيماني
بالسيد المسيح ويشوش محبتي له واعتصامي به) فمهلا يا سيدي إن
الاسلام لا يقطع إلا علاقتك بالتثليث، وسر الفداء، وحمل آثامنا
ولعنات الناموس على سيدنا المسيح وحاشاه كما مر في الجزء الأول في
صحيفة ٨٤ إلى ٨٨ فهل تريد يا والدي أن تعبد إلها مثلنا متجسدا.
وتنادي (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا)
ألست نفرت من هذه التعاليم في بحثنا فيها.
نعم يا والدي ويقطع الاسلام علاقتك بما نسبته الأناجيل إلى
المسيح وحاشاه من القول بتعدد الأرباب.
وتعدد الآلهة بتلك الحجّة الواهية والتحريف الصريح للفظ المزامير
ومعناها كما مر في الجزء الأول في صحيفة ٧٢ و ٧٣ و ٧٤.
يا والدي إن الاسلام بقرآنه وبيانه يمجد رسالة المسيح، وينادي

بقده، وطهارته، وبره، وكماله، وبيوته عما لوثت به الأناجيل قدسه فكيف يكدر صفاء إيمانك به.

نعم إن الاسلام ينفي ألوهية المسيح. فهل أنت تريد الإيمان بألوهية البشر المضطهد. ولعلما ينقدح في نفسك أن الاسلام اضطهد الكنيسة الشرقية الزاهرة، فاعلم أنه لم يرد منها إلا أن تنتزه عن شرك التثليث البرهمي وعبادة الصور والأيقونات، وزخرف التساييح الموسيقية، وخداع الغفرانات وتأثيراته التي تعرفها، وهل كانت زهرة الكنيسة إلا بهذه الأمور المظلمة.

يا والدي ألم تعلم أن الاسلام جعل للكنيسة أن تبقى على صورتها بضمان حمايته بشرط أن تعطيه عهدا على السلم وعدم الغدر وأن لا تتجاهر بالمنكرات وشرب الخمر ومضادة الاسلام. ألم تبق الكنيسة في الشرق حين قوة الاسلام الحربية آمنة مطمئنة يصدع ناقوسها مع أذانهم ويجلس قسوسها محترمين مع علمائهم، تجري في أعيادها ومواسمها على رسومها.

النظر في دين الاسلام ورسالته وقرآنه اليعازر: كفانا ما مر من النظر في العهدين والديانة اليهودية والديانة النصرانية. فهلا ننظر في دين الاسلام، ورسالته، وقرآنه، ونرى معارف القرآن.

القس. لا بد لنا من ذلك، ولكن لا بد لنا من أن نحضر معنا مسلما عارفا بالقرآن والاسلام لكي يجري البحث والكلام على الحقوق. اليعازر: إن القرآن كلام عربي ونحن قد تربينا في بلاد العرب وعرفنا لسانهم.

القس. إن الذي لا يتخذ القرآن أساسا لتعاليمه بل ينظر إليه نظرا سطحيا لا يعطيه حقه من فهم معانيه، ولا يدري بما في زواياه من المعارف، ولا يستحضر ما فيه من الفوائد، وإن الانصاف لا يسمح لمن

ينظر إلى القرآن نظر مستخف أن يجري حكوماته وتحكماته فيه. عمانوئيل: يا سيدي لأصحابنا النصارى على القرآن اعتراضات كثيرة. وربما الناظر إليها في أول الأمر يراها ثمينة قوية وها هي الاعتراضات المذكورة في كتاب هاشم العربي. وكتاب جمعية الهداية والكتاب المسمى حسن الايجاز. وغيرها من كتب النصارى. ولكن لما نظرت في كتاب الهدى. وكتاب نفحات الإعجاز (١) عرفت بيانهما أن تلك الاعتراضات في غاية الوهن، واتضح أن القرآن في موارد هذه الاعتراضات تندفق منه ينابيع البلاغة والفصاحة. وتشرق أنوار الحقائق السامية، والمعاني الراقية، بحيث صارت اعتراضات أصحابنا النصارى سببا لأن يلفت كتاب الهدى وكتاب نفحات الإعجاز أنظارنا إلى فضيلة القرآن في مطالبه العالية، وسلامته من كل اعتراض. والاعتراضات وأجوبتها المسكتة والمقنعة لذي المعرفة ها هي في كتاب الهدى في الجزء الأول من صحيفة ٣٢١ إلى ٣٨٢ وفي الجزء الثاني من صحيفة ٢ إلى ٢٤٣.

اليعازر: إذا أحضرتهم معنا مسلما فإني أخشى أن يطول الجدل وتهيج العصبية ويكثر القيل والقال، فتخفى بذلك علينا الحقيقة، ويلتبس علينا الطريق ويطول السير. عمانوئيل: إنا نبحث لنجاة أنفسنا وننظر بنور عقولنا مستندين إلى إرشاد سيدنا القس. وقد رفضنا كل عصبية وتقليد. فإذا لم يوافق طريقتنا ذلك المسلم تركناه واستبدلنا به غيره ممن نرضى طريقتهم وعلمهم.

(١) للعالم الكبير والمتحلي في شبابه بفضيلة المشائخ سيدنا السيد أبي القاسم الخوئي النحفي دام فضله.

مثلنا الشيخ (محمد علي) عن ناحية القرآن والاسلام
عمانوييل: يا شيخ إنكم معاشر المسلمين تقولون إن التوراة
الموجودة محرفة بحيث سقطت عن الاعتبار.
مح أن قرآنكم الذي تؤمنون بأنه كلام الله يصدقها ويعتبرها كتابا
إلهيا نبويا فماذا تقول؟

الشيخ: يا أصحابنا إن بيان الحق في هذا الموضوع ربما يصعب
عليكم فهل تسامحونني فيما أقوله:

القس. يا شيخ قرآنكم يقول: (وجادلهم بالتي هي أحسن) (١)
ويقول في مقام آخر: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة) (٢) وإذا تأدبت بأداب القرآن فلا عليك إذا اغتاض المتعصب.
بل قل ما عندك من الحق فلعلك تصادف نفسا كريمة وقلبا نقيًا.
الشيخ. لا يخفى على من نظر في القرآن بنظر حر أنه جرى
بكرامة منهجه على حقيقة الحكمة واللفظ في الدعوة إلى حقيقة التوحيد
وشريعة العدل والمدنية اللذين هما المقصود الأصلي والمطلب الأساسي.
فسلك في أمرهما أحسن مسلك في الحجة فلم يهاجم في الأمور
الثانوية العرضية بصراحة تثير العصبية فتكون معثرة في سبيل المقصود
الأصلي وروح الاصلاح مهما أمكن البيان لأولي العقول بنحو جميل.
وليس من حكمة الدعوة لأهل الكتاب أن يجاهرهم بالصراحة بأن
كتبهم التي بأيديهم قد كثر فيها التحريف والتبديل والكفر الوثني
والخرافات الكثيرة والتناقض الظاهر.
إذ لا يخفى أن المجاهرة بذلك تهيج داء العصبية المهلك وتنفر عن
الاقبال إلى الإيمان الصحيح وتصرف عن الاصغاء إلى بيان الحق.

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

عمانوئيل: عجبنا يا شيخ. هل يصح للقرآن إذا كان كتاب الله الهادي إلى الحق أن لا يبين هذا الأمر الكبير. الشيخ: لا ينحصر البيان بالمجاهرة التي ذكرناها. بل إنه أظهر ذلك وبينه وأوضحه بأحسن بيان وأجمل إيضاح. فأوقف ذوي العقول على بعض موارد التبديل والتحريف والزيادة بخصوصياتها بحيث تنبه عقولهم ووجدانهم لذلك على حين غفلة من هياج العصبية. فتعرض لذكر القصص التي لها نحو وقوع في التاريخ فنزهاها عن الخرافات والأغلاط الزائفة. وأوردها على الحقيقة المعقولة استلفاتا للعقول إلى الخرافات الدخيلة في الوحي. وأما ما لم يكن له نحو وقوع فلم يتعرض لتكذيبه بالصراحة لكنه أودع في معارفه ما يوضح تكذيبه. عمانوئيل: هذا شيء في غاية الحكمة بحسن الارشاد. لكن يا شيخ أين موارد ذلك في القرآن. فأوضحها. الشيخ: إنني عرفت دراستكم في كتب العهدين وعرفت أخذ التوفيق بأيديكم والتفاتكم إلى ما نبه عليه القرآن من خلل العهدين الرائجين حتى إنكم كتبتهم ذلك وطبعتموه في الجزء الأول. ولأجل الاختصار أشير بحسب صحائف المطبوع إلى ما ذكرتموه من الانتقاد وكرامة القرآن الكريم في تنزيه الحقائق وحسن التنبيه على الخلل. فمن ذلك ما مر في الجزء الأول في صحيفة ١٤ - ١٧ قصة آدم والشجرة والحية والكذب. وما مر في صحيفة ١٨ من كرامة القرآن في نقل القصة الواقعة على حقيقتها المنزهة. وأما ما مر في صحيفة ١٩ - ٢٣ من خرافة التمشي والاختباء

والسؤال، والمحاذرة من آدم لأنه صار كواحد من الآلهة. وكذا ما مر في صحيفة ٣١ من خرافة برج بابل والمحاذرة من ذرية نوح.

وفي صحيفة ٦٧ ومن خرافة مصارعة يعقوب مع الله وما فيها من الكلمات الوثنية فإن القرآن يوضح بطلان هذه الخرافات بما تضمنته معارفه وتعاليمه بحقيقة التوحيد وجلال الله وقده وأنه الواحد القهار. ومن ذلك ما مر في صحيفة ٤١ - ٤٢ من أن هارون صنع العجل الوثني لكي يتخذه بنو إسرائيل إلها ويعبدوه من دون الله وصنع أمام العجل مذبحا لعبادته.

مع أن الله في ذلك الحين كان يكلم موسى في تقديس هارون بالكلام الطويل لرياسة الدين والشريعة.

وإن الله كلم هارون في أمور الدين والشريعة مع موسى ومنفردا قبل واقعة العجل وبعدها. وقد مر في صحيفة ٢٩ و ٣٠ أن القرآن ينسب عمل العجل والدعوة للشرك إلى السامري (الشمروني) من عشيرة شمرون ابن يساكر ابن يعقوب الذين كان منهم مع موسى ألوف - كما مر في صحيفة ٣٣ إن القرآن يبرئ هارون من أمر العجل ويوضح أنه نصح بني إسرائيل ونهاهم عن عبادته وأخبرهم بفتنتهم وضلالهم. فالقرآن أوضح حال الخرافة الجامعة بين نبوة هارون وتقديس الله له والدوام على تكليمه وبين كون هارون يدعو إلى الشرك ويصنع العجل الوثني ويبيني له مشعر العبادة.

وقد مر في صحيفة ٥٣ - ٥٤ حكاية شك إبراهيم صريحا في وعد الله له بأمر ممكن عادي الوقوع.

ومر أيضا ذكر العلامة التي يقول كاتب التوراة الرائجة إن الله أعطاه لإبراهيم لكي يعلم بصدق الوعد ويرتفع شكه. وهي العلامة التي

لا يعلم أحد محلها ولا ربطها بالكلام. ومر أيضا أن القرآن يذكر أن إبراهيم طلب أن يرى بعينه إحياء الله للموتى ليؤكد بذلك إيمانه بيوم المعاد ويطمئن قلبه بهذه الحقيقة بسبب تعاضد الحس والوحي. فجرى القرآن على الحقيقة المناسبة لإيمان إبراهيم خليل الله. وجلال الله في إعطاء العلامة المعقولة.

وقد مر في صحيفة ٥٥ - ٥٦ حكاية الذين جاؤوا إلى إبراهيم وإلى لوط واضطراب التوراة الرائجة في عددهم وفي أنهم الله أو ملائكة. وذكرت أنهم أكلوا من طعام إبراهيم ولوط.

ومر في صحيفة ٦٩ وبيان كرامة القرآن في ذكره لهذه القصة على الوجه المعقول. وقد عرفت مكالماتكم الكريمة في ذلك في صحيفة ٥٩ و ٦٠ ومر أيضا في صحيفة ٧٧ قول التوراة الرائجة أن موسى وهارون وابنيه وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأوا الله وتحت رجله شبه صنعة العقيق ولم يمد الله يده إليهم بل رأوه وأكلوا وشربوا. وذكرت أنتم في صحيفة ٧٧ أيضا من آيات القرآن ما يكذب هذه الحكاية ويسفهاها، مضافا إلى أن القرآن الكريم يكذب خرافة رؤية الله المتكررة في التوراة والعهد القديم.

بقوله تعالى في الآية الثالثة بعد المائة من سورة الأنعام المكية: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) يا أصحابنا وإن العهد القديم والعهد الجديد قد نصا على نبوة يعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان وأرميا والمسيح عليهم السلام وأنهم أكرموا بالوحي والقداسة والأمر بإرشاد للناس.

ومع ذلك ينسب العهدان إلى هؤلاء الأنبياء الكرام ما ينافي مقام النبوة والإمامة في الناس للإرشاد والتعليم. وقد أشار القرآن الكريم إلى كذب هذه النسبة الساقطة بقوله تعالى في الآية الرابعة والعشرون بعد المائة من سورة البقرة: (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن - كما

تقتضيه الحكمة وجلال الله وقده). قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) فإن الكذب، والخديعة، والجرأة وسوء الأدب مع الله، وخيانتته، وعدم الإيمان به، والاستهزاء بوعدته، ونسبة الخداع والكذب إليه، والزنا الفاحش بالمحصنات، والغدر بالمؤمنين، والدعوة إلى الشرك بالله، وعبادة غيره وبناء مشاعر الأوثان، والقول بتعدد الأرباب والآلهة. والتحريف هذه كلها من أقبح الظلم، ومرتكبها من الظالمين، والعقل والوجدان يقبحان ائتمان الظالم على الرسالة والنبوة وإمامة الدين والتوحيد والشريعة. كما مر في المنال المذكور في صحيفة ٤٤ فالقرآن بحميل إشارته ووضوح حجته يشير إلى كذب جملة من منقولات العهدين الرائجين. منها ما مر في صحيفة ٦٤ و ٦٥ من أن يعقوب عليه السلام خادع أباه إسحاق وكذب عليه مرارا لكي يأخذه منه البركة. وفي صحيفة ٧٣ في ذكر ما نسب إلى موسى عليه السلام من الجرأة على الله بالخطاب والشك في وعده. وفي صحيفة ٤١ و ٤٢ في ذكر هارون وعمل العجل. وفي صحيفة ٨٤ من أمر موسى بقتل الأطفال وجعله شريعة جرى عليها خليفته يشوع (يوشع). وفي صحيفة ٨٠ و ٨١ في قول التوراة الرائجة عن الله جل شأنه أن موسى وهارون عليهما السلام لم يؤمنا بالله وعصياه وخاناه. وفي صحيفة ٦٩ من الإشارة إلى ما ذكره الفصل الحادي عشر من صموئيل الثاني في نسبة الزنا بامرأة أوريا إلى داود (عليه السلام) مع الغدر بأوريا المؤمن المجاهد الناصح. ويا لها من نسبة شنيعة. وفي صحيفة ٤١ فيما نسب إلى سليمان عليه السلام من اتباع الأوثان وعبادتها وبناء مشاعرها. وفي صفحة ٨١ من أن أرميا نسب الخداع والكذب إلى الله جل شأنه. ومنها ما مر في صحيفة ٨٩ من أن إنجيل يوحنا ينسب إلى المسيح (عليه السلام) قوله بتعدد الآلهة مع الاحتجاج الساقط والتحريف الواهي. وإن أناجيل متى ومرقس ولوقا تنسب إلى المسيح القول بتعدد الأرباب مع

الاحتجاج الساقط والتحريف الكبير.
ومنها ما مر في صحيفة ١٥٩ - ١٦٠ فيما تذكره الأناجيل في أحوال
تلاميذ المسيح مما لا ينفك عن الظلم ولو بمحض خذلانهم للمسيح
ونكولهم عن مواساته التي طلبها منهم مرارا بالتأكيد.
فالقُرآن بآية العهد المتقدمة يوضح أن الأناجيل قد خالفت الحقيقة
بأحد أمرين.

أما بوصف التلاميذ بما مر من صفات الذم. وأما بإرسال المسيح
للتلاميذ بعده ليعلموا جميع الأمم ويعظوا العالم أجمع بالإنجيل وأنه
أرسلهم كما أن الله أرسله. كما مر في صحيفة ١٦٠ وهذا هو الإمامة في
الناس.

وقال للتلاميذ أيضا إن كل ما يربطونه على الأرض يكون مربوطا في
السموات وكل ما يحلونه على الأرض يكون محلولا في السموات.
مت ١٨: ١٨. وكيف يجتمع في كتاب الوحي أن المسيح يقول لبطرس
إذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس مع
قول المسيح له أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة وأعطاه إمامة
الحل والربط في الديانة كما تقدم لسائر للتلاميذ أنظر مت ١٦:
١٦ - ٢٤.

ومنها ما مر في صحيفة ٢٠٨ و ٢٠٩ من أن بولس كان ضدا
للكنيسة وكان يهجم على البيوت ويجر المؤمنين بالمسيح نساء ورجالا إلى
السجن ويقتلهم ويعاقبهم ويضطرهم إلى التجديف (الكفر بالمسيح
وشتمه) وكان مجدفا ومضطهدا ومفتريا.

وكيف يجتمع هذا مع ما يذكره العهد الجديد في أعمال الرسل
والرسائل المنسوبة إلى بولس أن بولس صار رسولا وإماما. بل كان النفوذ
لإمامته في النصراني فقد قالت رسائله ما شاءت من إبطال شريعة التوراة
وعيبها وذمها كما مر في صحيفة ١١٨ و ١١٩ فالقُرآن يوضح أن التلاميذ

وبولس إن كانوا رسلا وأنبياء وأئمة فوصفهم بما يؤدي إلى كونهم ظالمين كاذب. وإن كانوا كما وصفوا به فوصفهم بالرسالة والنبوة والإمامة كاذب.

وهذا العهد الجديد قد جمع بين المتنافيين فإن الظالم لا يكون إماما.

بر المسيح بوالدته المقدسة والأناجيل وأيضاً إن أناجيل متى ١٢: ٤٧ - ٥٠ ومرقس ٣: ٣١ - ٣٥ ولوقا ٨: ١٩ - ٢١ تقول إن المقدسة أم المسيح جاءت إلى خارج البيت الذي فيه المسيح وتلاميذه فأرسلت إليه تطلب منه أن يخرج إليها لكي تراه حسب شوق الأمهات الحواني فقال من هي أمي ومد يده إلى تلاميذه وقال. ها هي أمي لأن من يصنع مشيئة الله هي أمي. فالأناجيل تقول: إن المسيح عليه السلام استهزأ بأمه وبطلبتها ولم يرأف بلهفة حنوها ولم يبرها.

بل قد قدح بقداستها وفضل عليها التلاميذ الذين ذكرتهم حالهم في صحيفة ١٢٦ و ١٢٧ - والقرآن يشير إلى مخالفة الأناجيل فيما ذكرت للحقيقة ويقول في سورة مريم المكية عن قول المسيح المعجز في طفولته في الآية ٣٢ (وبرا بوالدتي).

يا أصحابنا فالقرآن الكريم بقصصه وقانونه المعقول في الإمامة الدينية يوضح أن القسم الكبير من العهدين الرائجين مخالف للحقيقة والمعقول. فكيف تقولون أنه يصدقهما. غاية الأمر أنه أوضح ذلك بالطف إيضاح من غير مهاجم يثير العصبية بصراحة التكذيب. ما هو معنى كون القرآن مصدقا لما مع أهل الكتاب عمانوئيل: إن القرآن تكرر منه التصريح بأنه مصدق لما مع أهل

الكتاب، كما في الآيات التاسعة والثلاثين،، والثالثة والثمانين،
والخامسة والثمانين، والخامسة والتسعين من سورة، البقرة، والخمسين
من سورة النساء.

الشيخ. هذا الكلام في الاحتجاج على أن القرآن يصدق العهدين
الرائجين قد رأيناه في كتاب لغريب ابن العجيب في صحيفة ١٢ وهو من
مثل الغريب غير غريب.

ولكنه غريب منك يا حر الفهم والضمير. متى صرحت الآيات
المشار إليها بأن القرآن مصدق لما مع اليهود والنصارى من العهدين
الرائجين في زمان نزول القرآن؟ هل يكون الشاهد على هذه الدعوى ما
تقدم من أن قصص القرآن وقانونه في الإمامة ومعارفه في التوحيد وتمجيد
جلال الله وقدمه كلها تشهد بأوضح الشهادة والبيان بأن القسم الكبير من
العهدين مخالف للحقيقة المعقولة؟؟

بل إن هذه الشهادة توضح بدلالاتها أن المراد هو كون القرآن مصدقا
لما مع أهل الكتاب من التوحيد وبطلان الوثنية ومن الاعتقاد بالوحي ونبوة
الأنبياء الصالحين ونزول الكتب المقدسة ويوم القيامة.

القرآن مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه
عمانوييل: إن القرآن أيضا يصرح بأنه مصدق لما بين يديه من
الكتاب ومهيمن عليه كما في الآية الثانية والخمسين من سورة المائدة.

الشيخ: لا يخفى أن الشيء الذي يكون له مكان يتحيز هو فيه
كزيد والبيت فإنه يصح أن يقال: (بين يديه) بمعنى إمامه وقدامه من
المكان. فيراد من الذي بين يديه هو ما كان مقارنا له في الزمان وقدامه
وأمامه في المكان..

وأما مثل القرآن الذي هو كلام الله المنزل على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا

يكون له قدام وأمام وخلف بحسب المكان. فلا يكون معنى قوله تعالى (بين يديه) إلا بمعنى التقدم في الزمان. فالكتاب الذي بين يدي القرآن هو ما تقدم على زمان نزوله على الرسول (صلى الله عليه وسلم). والقرآن يصدق الكتاب الذي أنزل على موسى (عليه السلام) والذي أنزل على المسيح (عليه السلام).

وأين هذا من تصديقه لخصوص النسخ المجتمعة معه في زمان نزوله التي تسمى باسم التوراة والإنجيل..

بل إن القرآن قال: (مصدقا لما معهم، ولما معكم) على الاجمال ولم يقل ما معهم من نسخ الكتاب ولما نص على تصديق الكتاب خص التصديق بالكتاب الذي بين يديه أي قبله في الوجود. وهذا كله حياذ عن تصديق النسخ الموجودة في زمانه مع غض النظر عن الصراحة المزعجة بتكذيبها.

ما معنى كون القرآن مهيمنا على ما بين يديه من الكتاب عمانوئيل: هل يمكن أن نقول: إن اليهود والنصارى قد حرفوا كتابا جاء القرآن مهيمنا عليه وقد قال المفسرون: إن معنى (مهيمنا) رقيبا على سائر الكتب يحفظها من التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات. فهل يمكن لك أن تقول. إن اليهود والنصارى حرفوا تلك الكتب بالرغم من محافظة القرآن عليها.

الشيخ: يا عمانوئيل هذا الكلام الذي تقوله أنت قد رأيناه في كتاب الغريب ابن العجيب في صحيفة ١٠ و ١١ وقد أخذه ممن قبله. فهل أنت لا تدري بأن القرآن كلام منزل فيه بيان الهدى أنزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد المسيح بنحو ستمائة سنة. وليس القرآن رجلا بيده سيف وهو متجرد للمراقبة إلى زمان نزوله

من زمان القضاة لبني إسرائيل، وفي أيام ملوكهم، وعند ارتداداتهم عن التوحيد.

وعند تخريبهم لبيت المقدس وتنجيسه وجعله بيتا للأصنام، وعند مهاجمات المشركين على الأمة الإسرائيلية، وعند نهب مقدساتهم. وعند إحراق بيت المقدس وبيوت أورشليم. وملاشاة الأمة بالقتل والأسر، وعند تفرد حلقياء وعزرا بإظهار التوراة. وبعد سبي بابل. وبعد زمان المسيح.

وحينما كانت كتب العهدين محجوبة في كل أدوارها ونشأتها عن أعين العموم بسبب استقلال الروحانيين برؤيتها. فيكون القرآن ذلك الرجل الشاهر سيفه المتجرد للمراقبة، مترصدا في جميع تلك الأوقات والأحوال يقطع يد كل من يمد يده إلى كتب العهدين بالإعدام أو تجديد الولادة أو التحريف.

يا عمانوئيل هل تقول: إن القرآن إذا كان مهيمنا على التوراة والإنجيل فلا بد من أن يعمل بسيفه كما ذكرناه قبل نزوله في مدة ألفي سنة.

عمانوئيل: لا يا شيخ لا يمكن أن أقول ذلك ولا يقبله شعوري فإن لي والحمد لله من الشعور ما أعرف به أن القرآن كلام هدى وبيان لا سيف قدرة أو سلطان. وإنما يكون مهيمنا وحافظا ببيانه في زمان وجوده.

لكن يا شيخ أليس من اللازم عليك أن تبين معنى معقولا لكون القرآن بعد نزوله مهيمنا على ما تقدم عليه من نوع الكتاب المقدس. الشيخ: إن القرآن الكريم بحكمة بيانه ولطائف إشاراته لأولي الأبواب قد قام لكتب الوحي الحقيقية بحماية ومحافظة كبيرة فكان مهيمنا عليها ببيانه بعد نزوله لئلا تتلوث معارفها الإلهية وقدس أنبيائها وكرامة

قصصها بخرافات الشرك وتعاليم الوثنية وسخافة الاختلاف والتناقض. فذكر قصص آدم وإبراهيم وواقعة العجل على حقيقتها المعقولة وأشار بذلك إلى براءة كتب الوحي مما أدخل على هذه القصص وشوه صورتها. وذكر قول الله جل اسمه لإبراهيم في الإمامة والرياسة الدينية (لا ينال عهدي الظالمين) وأشار بذلك إلى براءة الكتب الحقيقية مما لوثت به الكتب الرائجة قدس لوط ويعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان والمسيح (عليهم السلام) هؤلاء الأنبياء الكرام الذين شهد القرآن أيضا بنبوتهم وقدسهم وصلاتهم.

وقال في الآية الثانية والثمانين من سورة النساء: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وأشار بذلك إلى براءة الكتب الإلهية الحقيقية من وصمة الاختلاف والتناقض كما يوجد في التوراة والأنجيل الرائجة وغيرها. فانظر أقلا الجزء الأول من كتاب الهدى في صحيفة ١٩٧ إلى ٢٣٤.

وقال في الآية الرابعة والستون من سورة آل عمران: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) أي لا نتخذ من البشر أربابا. وقال في الآية التاسعة والسبعين والثمانين من سورة آل عمران أيضا: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي... ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر) فالقرآن بهذا الكلام يبرئ المسيح (عليه السلام) وإنجيله الحقيقي مما تقدم ذكره في الجزء الأول في صحيفة ٧٣ عن أناجيل متي ومرقس ولوقا من نسبتها إلى المسيح قوله بتعدد الأرباب واحتجاجه بالتحريف للمزامير.

وقال في الآية الثالثة عشر من سورة التغابن المكية: (الله لا إله إلا هو) وفي الآية الثانية والعشرين والثالثة والعشرين من سورة الحشر

المكية: (هو الله الذي لا إله إلا هو) وفي الآية المائة وثلاث ستون من سورة البقرة: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو) وأيضا في الآية الخامسة والخمسين بعد المأتين منها: (الله لا إله إلا هو) وقد تكرر هذا في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة.

وقال في سورة النمل المكية في الآية الحادية والستين إلى الخامسة والستين في مقام التوبيخ الشديد خمس مرات (أإله مع الله، بل أكثرهم لا يعلمون - قليلا ما تذكرون - تعالى الله عما يشركون) والقرآن يمثل هذا وبشهادته برسالة المسيح و قدسه يشير إلى براءته وبراءة الإنجيل الحقيقي من القول بتعدد الآلهة والاحتجاج الواهي له مع تبديل معنى المزامير كما مر في الجزء الأول في صحيفة ٧٣.

وقال في الآية الثالثة بعد المائة من سورة الأنعام في جلال الله جل اسمه (لا تدركه الأبصار) وبهذا يشير إلى براءة التوراة الحقيقية من قول التوراة الرائجة، إن يعقوب رأى الله وجها لوجه.

وإن موسى وهارون وابنيه وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأوا إله إسرائيل وتحت رجله شبه صنعه من العقيق - فرأوا الله وأكلوا وشربوا. كما مر في الجزء الأول في صحيفة ٥٣ و ٦٢.

يا أصحابنا فالقرآن ببيان هذه الأمور وهداه بإشاراته خير مهيمن على كتب الله الحقيقية وخير حافظ لشرفها من أن يلصق باسمها هذا الذي ذكرناه إذا وجه التوفيق العقول السليمة إلى المقابلة بين القرآن الكريم وبين العهدين في المعارف الإلهية و قدس الأنبياء والقصص التاريخية. لا مبدل لكلمات الله

عمانوئيل: إن القرآن شهد بآيات عديدة أن التوراة والإنجيل كلام الله لا يبدل كما في سورة الأنعام، ويونس والكهف، وغير ذلك

من الآيات الشاهدة بأن كلام الله لا يمكن تبديله ولا تحريفه لفظيا.
الشيخ: لم يقل القرآن إن كلام الله لا يمكن تبديله وتحريف.
وإنما قال: إن كلمات الله في وعده وتقديره تقع وتتم كما وعد وقدر، لا
تبدل ولا مبدل لها.

وقال في الآية الرابعة والثلاثين من سورة الأنعام: (ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا (أي
فاصبر على التكذيب والأذى ولك البشرى بالنصر كما نصر الله الرسل من
قبلك (ولا مبدل لكلمات الله) أفلا ترى يا عمانوئيل أنه لا يناسب في
الآية الشريفة إلا أن تقول لا مبدل لكلمات الله في وعده لرسله بالنصر
وظهور الحق.

- وفي الآية الخامسة عشر بعد المائة من سورة الأنعام أيضا:
(وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) وهل يناسب هذه الآية
إلا أن تقول: إن كلمات الله في وعده وتقديره الذي لا بد أن تتم ويظهر
صدقها لا مبدل لها. ومن ذا الذي يبدلها - وفي الآية الرابعة والستين من
سورة يونس في شأن المؤمنين المتقين: (لهم البشري في الحياة الدنيا
وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وهل يحسن أو
يمكن في هذه الآية إلا أن تقول: لا تبديل لوعد الله بالبشرى.

وفي الآية السابعة والعشرين من سورة الكهف المكية: (واتل ما
أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته) والمعنى أنه قد قال الله:
لك ووعدك البشرى في الآية الرابعة والتسعين والخامسة والتسعين من
سورة الحجر المكية: (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)
المكذبين لك والمستهزئين بك ولا تخش ضياع الدعوة باستهزائهم
وتكذبيهم (إنا كفيناك المستهزئين) ووعدك الله بأن يظهره (على الدين
كله ولو كره المشركون) كما في الآية التاسعة من سورة الصف المكية.
فاتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فإنه قد وعدك بالكفاية والنصر وظهور
الدين ولا مبدل لكلماته في وعده وبشراه.

يا عمانوئيل وإنك أشرت إلى هذه الآيات اتباعا للغريب ابن العجيب فيما لفته في رحلته في صحيفة ١٣ وتبعته في قوله أخيرا (إلى غير ذلك من الآيات الشاهدة بأن كلام الله لا يمكن تبديله وتحريفه لفظيا. يا عمانوئيل أين هذه الآيات الشاهدة لدعواك. ألا تدري أن الاتباع الأعمى يكسر ظهر الشرف. عمانوئيل: الشيخ غريب ابن عجيب قال في رحلته الحجازية صحيفة ١٣:

قال الإمام البخاري في صحيحه في تفسير الآية (يحرفون الكلم عن مواضعه) (١) يزيلون وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله ولكنهم يحرفونه أي يأولونه على غير تأويله.

ونقل الشيخ غريب في رحلته في صحيفة ١٣ - ١٧ عن البيضاوي والرازي ما يؤدي إلى أن التحريف إنما هو بالتأويل. وفي صحيفة ١٨ و ١٩ عن ابن تيمية أن للعلماء في التحريف قولين: الأول: تبديل الألفاظ.

الثاني: تبديل المعاني واحتج للثاني. وعن الزرقاني أن الفقهاء اختلفوا في أن التحريف للتوراة والإنجيل هل هو بالزيادة والنقص أو بالتأويل والتفسير على غير المراد. فماذا تصنع يا شيخ بهذه الأنقال.

الشيخ: أما ما نقله عن البخاري في صحيحه فإني تتبعت صحيحه في كتاب التفسير وتصفحته فلم أجد لهذا النقل أثرا. بل إن البخاري في صحيحه في أواخر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة روى مسندا عن ابن عباس أن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حدثهم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيره

وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا. فهل البخاري يفسر برأيه مضادة لما يرويه هو في صحيحه.

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.

يا عمانوئيل إذا أعرضنا عن كل شيء فإن هذه الرواية في جامع البخاري تكون حجة على البيضاوي والرازي وابن تيمية والعلماء والفقهاء الذين قالوا: بأن التحريف بالتأويل.

يا عمانوئيل هل بعد ما وجدناه وذكرناه من مخالفات المعقول. الباهضة في جلال الله وقدس أنبيائه ورسله ومن الاختلاف والتناقض تريد أن تحتج علي وعلى جامعة المسلمين وعلمائهم ومحققهم بنقل الغريب ابن العجيب عن البيضاوي وابن تيمية وجماعة يفسرون بالرأي.

عمانوئيل: يا شيخ إنك تدري بما كتبناه وطبعناه في الجزء الأول من هذا الكتاب عند دراستنا في التوراة والإنجيل بحيث كشفنا للعيان والوجدان أن أكثر الموجود في العهدين لا تعقل نسبتته إلى وحي الله لأنبيائه وأن القسم الباقي لا نقدر أن نجد له سندا يوصله إلى الأنبياء والوحي.

ولكني الآن أحب أن أعرف الوجه فيما ينقل عن البيضاوي وابن تيمية وبعض المسلمين من دعوى كون التحريف بالتأويل. وكيف يذهبون إلى ذلك.

الشيخ. يا عمانوئيل هل يخفى عليك أن كتب العهدين كانت مخفية بسيطرة علماء الدين منكم ومن اليهود مستورة حتى على عامة اليهود والنصارى ولم تظهر وتنتشر باللسان العربي والفارسي إلا قبل قرن أو قرنين بعناية البروتستنت وإصلاحهم ولم يكن لها أثر في بلاد الإسلام في زمان هؤلاء الذين ينقل عنهم الغريب ابن العجيب ولم يكن لهم نصيب من معرفة أمرها إلا السماع باسمها.

فلم يكونوا يدرون بما فيها من كثرة مخالفة المعقول والقرآن والاختلاف الكثير والتناقض الكبير حسبما شرحناه فكان يخيل لهم أنها بريئة من ذلك فأخذتهم الشبهات إلى القول بالتحريف في التأويل وحببتهم عن التبصر بما ذكرناه من رواية البخاري عن ابن عباس وغيرها

من الروايات. ولم يلتفتوا إلى قوله تعالى: (يحرّفون الكلم عن مواضعه) وقوله تعالى في الآية الحادية والتسعين من سورة الأنعام: (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) فإن القرآن يبين أن اليهود يبدون من التوراة ما يوافق أهواءهم ويظهرونه على القراطيس ويخفون كثيرا... التوراة فيها حكم الله

عمانوئيل: يا شيخ إن القرآن يقول في الآية الثالثة والأربعين من سورة المائدة. (و كيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك) فالقرآن يصرح بأن التوراة التي عند اليهود في عصر نبيكم فيها حكم الله.

الشيخ: نعم إن الذي يسميه اليهود توراة فيه شيء من أحكام الله التي جاءت في التوراة الحقيقية.

والقرآن ينص في الآية التاسعة والأربعين من سورة المائدة أن الحكم المشار إليه وهو قصاص النفس بالنفس مما نزل في التوراة الحقيقية وكتب على بني إسرائيل وها هو موجود في العدد العشرين من الفصل التاسع عشر من التثنية.

ولم ينص القرآن على أن الكتاب الموجود عند اليهود في ذلك العصر هو كتاب الله الحقيقي المتكفل بأحكام الله في شريعة موسى. بل سماه التوراة لأن اسم ذلك الكتاب عند اليهود توراة فجاءهم في التسمية لكي يجادلهم بالتي هي أحسن.

وعلى هذا النحو من المجازاة بالتسمية جاء قوله تعالى في الآية السابعة والخمسين بعد المائة من سورة الأعراف: (الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) يشير بذلك إلى ما في الفصل الثامن عشر من التثنية كما مر في الجزء الأول في

صحيفة ٧١ إلى ٧٦ وإلى ما في العدد السادس والعشرين من الفصل الخامس عشر وفي العدد السابع إلى الخامس عشر من الفصل السادس عشر من إنجيل يوحنا وهو اللفظ اليوناني (بير كلوطوس) الذي تعريبه فيرفلوط بمعنى أحمد أو محمد.

كما يدعيه النصارى ويصححونه (بيرا كلى طوس) ويعبرون عنه (فار قليط) كما عن التراجم المطبوعة في لندن سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤١ وفي مطبوعة وليم واطس في لندن سنة ١٨٥٧ على النسخة المطبوعة في رومية سنة ١٦٦٤ وفي الترجمة العبرانية للأصل اليوناني المطبوعة سنة ١٩٠١. وأبدله بعض التراجم بالمعزى والمسلي. أو يشير إلى التصريح الكثير باسمه الشريف (محمد) في إنجيل برنابا الذي حرمه الباب جلاسيوس الأول الذي نال الباباوية سنة ٤٩٢ م أو كما يقول البستاني في دائرته في ترجمة برنابا حرمه جلاسيوس الثاني الذي نال الباباوية سنة ١١١٨ م وقد سلف في الجزء الأول في صفحة ١٨٧ إلى ١٩٠ بعض الكلام في إنجيل برنابا. ما هو الذكر الذي يحفظه الله

عمانوييل: إن القرآن قد سمي التوراة بالذكر حيث قال في الآية الخامسة بعد المائة من سورة الأنبياء: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) وسمى التوراة والإنجيل بالذكر حيث قال في الآية الثالثة والأربعين من سورة النحل والسابعة من سورة الأنبياء الآية: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) - وقال في الآية التاسعة من سورة الحجر الآية: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فقد وعد الله بحفظ الذكر من التبديل والتحريف والزيادة والضياع وهو إخبار بحفظ التوراة والإنجيل من ذلك.

الشيخ: المراد من الذكر في آية الحفظ هو القرآن لقوله تعالى قبل ذلك في نفس سورة الحجر في الآية السادسة: (وقالوا يا أيها الذي نزل

عليه الذكر إنك لمجنون) فالذكر الموعود بحفظه هو القرآن وهو الذكر المعهود في الآية السادسة.

ويشهد لذلك ما تقدم في مكالمتنا من أن جملة من قصص القرآن وكثيرا من آياته تشهد بأن التوراة والإنجيل لم يحفظا من الزيادة والتحريف والتبديل والضياع.

وأیضا يا عمانوئيل ليس المراد من أهل الذكر في الآيتين السابقتين من سورتي النحل والأنبياء هم أهل التوراة والإنجيل. بل هم الراسخون في العلم من أهل القرآن.

تعليم القرآن بالأخلاق الفاضلة

عمانوئيل: يا شيخ إن الأخلاق الفاضلة هي الحياة الانسانية وروح المدنية وناموس الاجتماع ومعراج السعادة والرفي. ولا يليق بالكتاب المنسوب إلى الوحي أن يخلو من التعليم بها.

فهل تسمعنا شيئا من تعليم القرآن بالأخلاق الفاضلة وتشرح مراد القرآن فيما تقرأه.

الشيخ: أما القراءة فاقراً بعون الله. وأما الشرح فإني أحب أن يكون حضرة القس هو المتولي له بحسب ما يفهمه هو من لفظ القرآن وأسلوبه.

الشيخ: فتحت المصحف الشريف فأطرق القس للإصغاء وابتدأت بالتلاوة من الآية الثالثة والستين من سورة الفرقان المكية وقرأت بسم الله الرحمن الرحيم (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما).

القس: عجباً يا أصحابنا ألا ترون كيف اشترط في الأبرار الذين يريدون السعادة بالانتساب إلى عبودية الرحمن والتحرز من عبودية الهوى

والشيطان وأوضح أن الرقي إلى فضيلة عبودية الرحمن إنما هو للذين
يمشون على الأرض هونا بحسن السلوك بالأخلاق الفاضلة وكريم الأدب
مع النفس بتهذيبها ومع الناس بعدل المدنية وبحسن الاجتماع فيسلكون
على هونهم في تحري الطريق ولزوم الجادة واتباع البصيرة، والتوقي من
عثرة الاسترسال وورطات الجهل المركب والعجب والغرور من دون
تسرع يورطهم في هفوات الشهوات وطفرات الغضب والظلم ويدنسهم
برذائل العجب والغرور فيزل بهم تسرعهم عن النهج المستقيم، ويضر
بسعادة أنفسهم وراحة بني نوعهم.

فجمعت هذه الكلمة الواحدة للتعليم بكل خير وخلق فاضل يتكفل
بالسعادة وال عمران الحقيقي وراحة المجتمع الانساني، والتعليم باجتنا
الهولة إلى بطالة التقشف البارد ومسكنة العجز المضرتين برقي النفس في
الكمال والمعاضدة في العمران.

وإذا تعرض الجاهلون لهؤلاء الفضلاء بكلام الجهل أجابوهم بما
فيه السلام حسبما تقتضيه الظروف والأحوال من الملاطفة بالارشاد أو
الموعظة وما يصلح للجواب بالسلام:
إقرأ يا شيخ جزاك الله خيرا.

الشيخ: فقرأت: (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياماً* والذين
يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً* إنها ساءت
مستقراً ومقاماً) (١).

القس: هذه هي المظاهر في الرابطة الحقيقية في عبودية الله
والخضوع له وعبادته الخالصة، وحقيقة الرهبة منه، وهي الحقيقة
المعقولة الجامعة بين الرغبة في طاعة الله وعبادته لأجل عظمتة ومعرفة
أهليته للعبادة الصادقة، وبين الرهبة بالالتفات إلى وبال المعصية،
وبطلب المعونة من الله والتوفيق للخلاص من المعاصي واستحقاق عقابها

(١) سورة الفرقان: الآيات / ٦٤ - ٦٦.

الأليم.

يا أصحابنا ما أجل قوله في وصف عباد الرحمن: (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فإن هذا هو الاخلاص بالعبادة وفيه السلامة من الرياء الذي يسري في العبادة كدبيب النمل فإن بعض الناس لا تخطر المراءة للناس في باله عند عبادته ولكنه ينشط للعبادة بين الناس ويكسل إذا خلا بنفسه. وهذا من داء الرياء الكامن. وأين هؤلاء من عباد الرحمن الذين يغتمون الخلوات وظلام الليل فينهضون بالنشاط والاقبال إلى عبادة الله.

ما أشرف هذا التعليم المحيي للروح.

إقرأ يا شيخ:

الشيخ: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (١).

القس: يا حبذا هذا التعليم الفائق في نظام المعاش وإعانة النوع ونظم أمر العيال ووضع الانفاق مواضعه حسبما تقتضيه الحاجة ومواقع الحكمة.

وإنه يقول إن هؤلاء الكاملين ينفقون ويكون إنفاقهم مستقيما على الحكمة لا يميل به التقدير إلى التقصير واتباع رذيلة البخل والاخلال بواجبات النوع. ولا يميل به الإسراف إلى عبث السفه المؤدي إلى القصور عن الواجبات. وإلى ارتكاب الممنوعات. وإلى عادة تقلق على بني النوع نظام معيشتهم.

إقرأ يا شيخ.

الشيخ: (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس

(١) سورة الفرقان: الآية / ٦٧.

التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا (١).

القس: إن هذه الأمور كانت مندرجة فيما تقدم. ولكن أهميتها العظمى في العرفان ونظام الاجتماع أوجبت على الحكيم الهادي أن ينص عليها بشديد الموعظة والتهديد والوعيد. الشيخ: (إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما * ومن تاب وعلم صالحا فإنه يتوب إلى ربه متابا) (٢).

القس: هذا هو التعليم الجاري على الحكمة والداعي إلى الصلاح والهادي إلى الرشد والهدى على باب الرحمة والمبين لحقيقة التوبة بتطهير النفس بالأعمال الصالحة والمبشر بالنجاة والفوز والمعرف برحمة الله وجلاله وغناه، والمبين لوجه العفو وحسنة وأهلية التائب له. فإن من رجع عن كفره وفساده وندم على ما فرط منه ووطن نفسه وعاهد ربه على عدم التلوث بتلك الرجاسات وتطهر بالأعمال الصالحة ومنها الخروج من عهدة حقوق الناس فإنه يزكو ويرجع إلى الله رجوعا حقيقيا بالعبودية الصالحة ويندرج في زمرة الأبرار فهو الأهل للعفو عما سلف منه.

إلا أن البيان يضيف عما في هذه التعاليم من كشف الحقائق وحسن الإرشاد وسمو التعليم، وأن نورانيتها هي التي تهدي إلى كنوزها الفائقة.

إقرأ يا شيخ.

الشيخ: (والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا

(١) سورة الفرقان: الآيتان: ٦٨ - ٦٩

(٢) سورة الفرقان: الآية / ٧٠ - ٧١.

كراما) (١).

القس: إنه ليطربني قوله مروا كراما. فإنه يعلم بأداء الوظيفة الصالحة لذلك المرور حسبما يقتضيه الحال والمقام من الأعراض، والموعظة، والنصيحة، واللين، والشدة، والزجر، والتأديب، فإن العامل بالوظيفة كريم، والمهمل لها لئيم. إقرأ.

الشيخ: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) (٢).

القس: باكيا متضرعا اللهم لك الحجة البالغة فوفقنا ونور قلوبنا واشرح صدورنا وأعدنا من صمم الجهل والعناد وعماية العصبية والغواية. الشيخ: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماما) (٣).

القس: ما أكرم هذا التعليم لبقاء النوع الانساني ودوام الحنان العائلي وكف النفس عن الخيانة مع النساء الأجنبية والتنزه عن رذيلة الحسد للناس.

ومن أهم ما تقر به العين من الأزواج والذريات هو لزومهم لجادة التقوى والصلاح ومن ذلك ينشأ الخير والاستراحة بهم. وزاد في تأكيد ما مضى من التعليم الفاضلة أنه ينبغي لعباد الرحمن أن يسعوا في تكميل أنفسهم وتهذيب أخلاقهم بأن يطلبوا أن يكونوا بأقوالهم وأحوالهم وأعمالهم وأخلاقهم قدوة للمتقين وأدلاء على الخير والهدى..

(١) سورة الفرقان: الآية / ٧٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية / ٧٣.

(٣) سورة الفرقان: الآية / ٧٤.

زدنا يا شيخ من هذه الحكم الروحية والآداب المدنية والاجتماعية والتعاليم السامية.

الشيخ: فقرأت من سورة المعارج المكية في صفات السعداء وأخلاقهم الفاضلة (الذين هم على صلاتهم دائمون) (١).
القس: يريد أنهم يصلونها عن رغبة في الطاعة ومعرفة بعظمة المعبود وشوق إلى شرف مناجاته. لم تكن صلاتهم عن تكلف فيقطعها الكسل ولا عن رياء فيهملونها في الخلوات.

الشيخ: (والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم) (٢)
القس: يعني أن إعانتهم لذوي الحاجة من الناس لم تكن بتكلف تابع للسوانح الوقتية من دواعي الهوى والخجل والرياء فتكون اتفاقية تابعة لهذه السوانح إذا غلبت على الحرص والبخل.
بل جعلوا في أموالهم لإعانة المحتاجين حقا معلوما حسب فرض الشريعة وفرض رحمتهم لا ينقصه الشح يعينون به السائل ومن حرمه الناس من المعروف لأجل عفته وعدم سؤاله.
الشيخ: (والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) (٣)

القس: هؤلاء الذين نركن النفس إلى كمالهم باطمئنان فإن الانسان في هذه الدنيا لا يكمل له كرم الأخلاق في السر والعلن إلا إذا كانت نفسه دائمة الشوق إلى رفعة ونعيم عظيم باق تستحقر دونه زخارف الدنيا الفانية وأئمة الرهبة من عذاب تهون دونه مصاعب الدنيا المنقضية وشدائد محالفات الهوى والغضب وحب السمعة. وإن المصدق بيوم

(١) سورة المعارج: الآية / ٢٣.

(٢) سورة المعارج: الآيتان / ٢٤ - ٢٥.

(٣) سورة المعارج: الآيتان / ٢٦ - ٢٧.

الدين هو من لا يتغافل عنه ولا يتناساه ولا يتساهل في أمر جزائه وثوابه وعقابه بل هو مشفق من عذاب ربه دائما. فهنيئا لهؤلاء الكرام. الشيخ: (والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) (١).

القس: ما حال العادين على غير أزواجهم والمتعدين حدود الشريعة وشرف الانسانية.

أما إن الزنا أضر شئ على المجتمع الانساني. وحياة النوع والحنان العائلي.

الشيخ: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون) (٢).

القس: ما أكرم الراعين لأماناتهم في كل ما يؤتمنون عليه، ولعهودهم مع الله ومع الناس والقائمين بشهاداتهم على حقها وحقيقتها من دون كتمان ولا تبديل ولا تحريف. زدنا يا شيخ زادك الله من فضله.

الشيخ: فقرأت من سورة الحجرات الآية ١٠: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون).

القس: إن الاصلاح بين الناس هو قوام النظام وحياة الاجتماع. فليثق الناس ربهم من إهمال الاصلاح وليطلبوا رحمة الله بالنهوض إليه.

الشيخ: الحجرات الآية ١١: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا

(١) سورة المعارج الآيات / ٢٩ - ٣١.

(٢) سورة المعارج. الآية / ٣٢ - ٣٣.

منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنازروا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون).

القس: أيها الساحر إن لم تكن لك تقوى تصدك ولا شرف يردعك فاترك السخرية حذرا من أن يكون من تسخر به خيرا منك عند الله وعند الناس فتجلب الهزء والفضيحة على نفسك.

أيها العائبون للخلق لا تنبهوا الناس على عيوبكم فلا تلمزوا الناس بالعيب ولا تذكروهم بالألقاب السوء.

الشيخ: الحجرات الآية ١٢ (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم).

القس: لا ينهى عن ظن الخير الذي تحسن به الروابط وتتأكد به علائق الألفة ويصفو به الاجتماع ولكنه ينهى عن ظن السوء المؤسس للبغضاء والنفرة والمشير للشر.

فإن بعض الظن إثم وخطأ وظلم للبرئ وسبب للتهجم بالبغضاء والأذى. وإن التجسس مثار الفساد ومنبع الشر والفتن ومقلق لنظم الاجتماع ومكدر لصفائه.

وإن الغيبة شر ما يغرس البغضاء، ويقدح بالشرف ويخدش العواطف ويكشف عن رذيلة المغتاب إذ يغفل عن عيوب نفسه ويذكر عيوب الناس.

أفلا تنظرون إلى هذا المثل الفائق في المطابقة في التنفير والتوبيخ والاحتجاج إذ يقول أيها المغتاب إن الذي تغتابه أخوك وإن عرضه أمانة عندك. وهو في غيابه كالميت لا يقدر أن يحمي شرفه وعرضه من لسانك. فلماذا تملأ فمك من غيبته، وتنهش عرضه بأنياب كلامك أو لست تكره أن تأكل لحم أخيك الميت.

فلماذا تفعل مثل ذلك بغيبتك لأخيك الغائب:
زدنا يا شيخ من هذه التعاليم الروحية المدنية.
الشيخ: إن تعاليم القرآن بالأخلاق الفاضلة كثيرة تحتاج إلى عقد
فصل لها بالانفراد بعد ما نفرغ من تعاليم القرآن في الإلهيات والنبوة.
القس: يا شيخ: ألا تذكر لنا ما في القرآن من المعارف الإلهية،
وتبين من ذلك ما يحتاج إلى البيان.
لكي ننظر فيما تذكره ونبحث عن الحقيقة.
الشيخ: ها أنا أذكر بعون الله ما جاء في القرآن الكريم من
المعارف وما أورده من حججها بالنهج الواضح الذي يرتاح إليه الوجدان
الحر، ويأنس به العامي والفيلسوف.
ولكن هل تسمحون لي بأن أجري على طريقي الإسلامية في
احترام القرآن الكريم عند ذكره بتمجيده اللازم علينا. وأن أقول عند
تلاوته (قال الله جل اسمه).
القس: لا نمنعك أن تقول ما تقتضيه ديانتك. ولكن هل تريد منا
أن نقبل منك كل ما تدعي أنه حجة واضحة.
وهل تجبرنا على أن نعترف لك بمجرد قولك.
أليس من اللازم أن تكون الحجة معلومة صالحة لأن توصلنا إلى
العلم بالشئ المجهول والدعوى المجهولة.
الشيخ: لا بد من ذلك.
عمانوئيل: إنني أرى بين أهل هذا القرن والذي قبله حججا لا زالت
تقلقني لأنني أجدها مبنية على تخمينات لا تبلغ أضعف مراتب الظن
فيبنون عليها أمورا كبيرة.

ومع ذلك يسمونها (العلم) العفو يا شيخ فإني أقول بحرיתי وحرية وجداني الحقيقة إني أرجو أن لا تأتينا بمثل هذه الحجج. الشيخ: ألا تذكر هذه الحجج وتبين وجه انتقادك فيها. لكي نعرف أنك تصيب بالانتقاد، أو إنك تتهجم على الحجج الصحيحة بدعوى الخلل. فأوضح ما عندك.

مذهب داروين في أصل الأنواع
عمانوئيل: يا شيخ. ألتستسمع هذا الصوت العالي والدوي الهائل بين أهل العصر فيما أحدثه (داروين) من مسألة أصل الأنواع. وتحول بعضها إلى بعض، ورجوع جميع أنواع الحيوانات إلى أصل واحد، وكذا النبات، بحيث صار من المسلمات في هذه المسألة أن الانسان متحول من القرد المتحول عن غيره، وحين امتلأت أذناي بهذا الصوت وهذا الدوي قلت: إن شرف العلم وناموس الفضيلة وحق الحقيقة وحفظ الشرف تقتضي أن يكون ذلك مستندا إلى البراهين الكبيرة العالية المستندة إلى واضح الحس وبداهة الوجدان وعلم اليقين. إذن فلا يحسن للانسان أن يجهل أمرا يعتمد على هذه البراهين.. فتصفحت أقوال داروين وبخبر وغيرهما في ذلك فرأيت الذي ذكره لذلك من التشبثات أمورا.

الانتخاب الطبيعي
الأول: الانتخاب الطبيعي بدعوى أن الطبيعة لا زالت تنتخب الأرقى فالأرقى من صفات النوع إلى أن يتحول إلى نوع آخر وهكذا (وقال أصحابهم) إلى أن بلغ الانتخاب إلى أرقى القروود ثم إلى الانسان

الأسود ثم إلى الأبيض القوقاسي.
اليعازر: داروين ولد سنة ١٨٠٩ وكل عمره ثلاث وسبعون سنة.
فهل شاهد تحول الأنواع بعضها إلى بعض كتحول القرد إلى
الانسان.
وهل شاهد كون الطبيعة تنتخب الأرقى فالأرقى من صفات النوع
من دون خضوعها للتأثيرات الخارجية التي تتجاذبها مرة إلى التقهقر
والانحطاط ومرة إلى التحسين بحسب استعداد المؤثرات وفعاليتها كما هو
المشاهد بالتجربة.
إذن فمن أين علم الانتخاب والتحول سنة في الطبيعة وناموس في
الأحياء..
ولو أن داروين شاهد التحول في بعض الأنواع مرارا. وشاهد
انتخاب الطبيعة بدون المؤثرات السائدة بناموسها في العالم ونقل له بالنقل
القطعي أمثال ذلك مرارا.
لما حسن منه في شرف العلم التجريبي أن يجعل ذلك سنة جارية
في الطبيعة في جميع الأحياء من مبدأ نشئها.
فإن هذه المشاهدات والمنقولات في بعض الأحياء لو كان لها
حقيقة ودامت مائة قرن لما أفادت في دعوى داروين أضعف الظنون
الاستقرائية.
فإن من دون ذلك في قانون العلم وشرف الأدب عقبة لا يمكن
عبورها.
نعم، ربما يتوهم عبورها بطفرة وعدم المبالاة بالمسؤولية، ألا وإن
من تلك العقبات جواز أن تكون تلك المشاهدات وتلك المنقولات التي
افترضناها له إنما هي من تأثيرات روحية جارية على نواميس الخلق

الخصوصي. حتى لو فرضنا الخلق الخصوصي الناظر إلى الغايات
احتمالا تشكيكيا.

فكيف به وهو الحقيقة الراهنة المتجلية للبرهان وبداهة الوجدان.
ومن العقبات أن تلك المشاهدات والمنقولات التي افترضناها له
خياليا يجوز أن تكون ناشئة من تأثيرات زمانها الخاص وإن كان قرونا
متعددة، تصادف فيها استعداد موجوداتها الخاصة مع المؤثرات المختص
كيانها بتلك القرون.

فمن أين يكون ذلك سنة جارية في الطبيعة.
هذا كله لو فرضنا أن داروين شاهد في قرون كثيرة ما افترضناه له،
ونقل له أمثال ما شاهد.

ولكن من أين هذا الفرض ومن أين يكون خيال هذا الحلم. يا
عمانوئيل هل كتب داروين شيئا يستند إليه لهذه الدعوى الكبيرة المهولة.
عمانوئيل. قد رأيت كتاب داروين (أصل الأنواع) فرأيته يستند
إلى تربية الحمام ودراسة أحواله بعناية جمعيتين خصوصيتين في لندن.
وقد أشبع الكلام في الكتاب المذكور في جهات التباين بين أقسام
الحمام.

وصرح بأن التباينات بينها متنوعة إلى حد يسوق إلى العجب.
ومع ذلك قال (ومهما كانت الفروق بين تولدات الحمام ذات شأن
فإني على تمام الاعتقاد بأنها متسلسلة من حمام الصخور
"الكلمبايفا)..

مع أنه قال أيضا (إننا لا نعرف من حمام الصخور سوى نوعين أو
ثلاثة أنواع ليس لها شيء من صفات التولدات الأهلية) أي من أنواع
الحمام الأهلي. ثم قال (قد آنست من نفسي زمان اشتغالي بتربية

الحمّام أن صعبا كثيرة تحول دون الاعتقاد بنشئها عن أصل أولي معين. لكن جملة من الناس على اعتقاد تام بأن التولدات المختلفة نشأت من أنواع أولية معينة).

يا والدي إذا استدل الانسان بالوجدان والعيان على التباينات العجيبة بكثرتها، وأنه ليس لحمّام الصخور شئ من صفات الحمّام الأهلي. فهل يصح منه في شرف العلم أن يطير بالنتيجة إلى القهقري والعكس ويقول أنواع الحمّام متسلسلة من حمّام الصخور.

فانظر معرب أصل الأنواع صحيفة ٦٧ إلى ٧٩ وهل من شرف العلم أن يقتنع الناس في هذه الدعوى الكبيرة والنتيجة المعكوسة بقول داروين (إني على تمام الاعتقاد. جملة من الناس على اعتقاد تام).

ولو أن رجلا اقتصر على فتواه بأن أنواع الحمّام الأهلي متسلسلة من حمّام الصخور، ويدعي العلم بزمان تأهلها وتشعب أنواعها، والاطلاع على حالات اتصالها وتسلسل تولدها من تلك الحلقات ويكون ذلك بنحو الفتوى المقدسة ثم يفتي بعد ذلك بأن جميع الأحياء تنتهي إلى أصل واحد لكان أهون عليه من أن يتعب القلم بذكر المقدمات التي تعاكس دعواه.

اليعازر: إن الذي تساعد عليه التجربة، والمشاهدة هو أن الأنواع لها بحسب العوامل العرضية سنة التحسن والانحطاط المحدودين بأن لا تخرج أفراد النوع عن صفته.

ومن جملة العوامل تأثيرات الصقع والغذاء والتربية وغير ذلك ومنها ما هو سريع التأثير ومنها ما يبطن لأجل منازعته مع تأثير العامل الأول. فإن النسل الزنجي إذا تحول إلى بلاد القوقاس يبطن تحسنه بمقتضى طبع الصقع إلى أجيال عديدة يتدرج فيها بالتحسن شيئا فشيئا، وقد يكون أسرع من ذلك بواسطة التزاوج.

وكذا النسل القوقاسي إذا انتقل إلى بلاد الزنج فإنه يبطن انحطاطه

التدريجي وقد يكون أسرع بواسطة التزاوج. وربما تكون تأثيرات بعض البلاد تتبدل في البلاد الأخرى إلى تأثيراتها في نحو جيلين. فقد شاهدنا رجالا مع نسائهم من بلاد سنتها علو مقدم الرأس على الجبهة وتثليث الرأس وهم على تلك السنة قد انتقلوا إلى بلاد سنتها استدارة الرأس واعتدال وضع مقدمه على الجبهة فأخذ نسلهم في هذه البلاد يتحسن بحيث يزيد الولد الثاني على الولد الأول في التحسن حتى صار الجيل الثاني على سنة هذه البلاد. وشاهدنا العكس أيضا.

ومن المعلوم أن للأقاليم تأثيرا تمتاز به في الألوان فإنه لا يوجد في خيل بلاد العرب ما نصفه مثل أبيض خالص البياض والباقي أحمر أو أشقر أو أسود كما يوجد بكثرة في بلاد الترك. القس. ويقول داروين في أصل الأنواع حسبما هو مذكور في تعريبه ص ٦٠ إن الدواجن الحالية قد وجدت صورها في بعض النقوش المصرية القديمة وما عمر من البقاع حول بحيرات سويسرا وإن هذه الصور لا تكاد تختلف مع تولداتها الحالية اختلافا ما. إنتهى كلامه. وهذا الأمر كما يدل على قدم المدنية واقتناء الدواجن الأهلية فكذلك يكون من أقوى الأدلة على أن النوع لا تغير الأدوار الطويلة والتربية صفاته النوعية بالانتخاب الموهوم. نعم قد يقتضي التزاوج وبعض العوارض أن تتغير بعض صفاته تغيرا ما.

ولكن بالتمادي على الاستقامة أو زوال العوارض يردده إلى صفاته الأصلية ناموس الوراثة النوعية بتقدير الله للتناسل فقد شاهدنا من تزاوج الحمام الأبيض والحمام الأحمر أن النسل الأول قد يخرج ملونا. ولكن النسل الذي يحصل بتولدات متعددة ترده الوراثة إلى لون واحد من أصوله.

ومما يذكره التاريخ أن حمام الرسائل استعمل في حرب طروادة التي لها نحو ثلاثة آلاف سنة فهل وصل الانتخاب الطبيعي بحمام الرسائل إلى زينة الطاووس أو قوة النسر؟؟

وفي معرب أصول الأنواع ص ٢٦١ و ٢٦٢ لقد تكلمنا في الفصول الأولى من هذا الكتاب في التغيرات وأثبتنا أنها كثيرة متعددة الصور متنوعة الأشكال في الكائنات العضوية إذ تحدث بتأثير الايلاف. وأنها أقل حدوثا وتشكلا إذ تنشأ بتأثير الطبيعة المطلقة وغالب ما نسبنا حدوثها للمصادفة العمياء على أن كلمة (مصادفة) اصطلاح خطأ محض يدل على اعترافنا بالجهل المطلق وقصورنا عن معرفة السبب في حدوث كل تعاريف معين يطرأ للأحياء. إنتهى.

وقال أيضا ص ٢٧٩ و ٢٨٠ وكثيرا ما تستغلق دوننا وجوه الرشد في اكتناه دستور محكم نسترشد بهديه في ظلمات هذه الأبحاث فقد لاحظ (جفروي) أن بعض التشوهات الخلقية الحادثة بالطبيعة كثيرا ما تتشارك في الوجود وأن غيرها يندر تشاركها كل ذلك ونحن غلف لا نعرف سببا نسب إليه وجودها على تلك الحال. وأية حالة أبعد تشابكا في حلقات صلاتها من تبادل النسبة التام بين بياض لون السنابير وصممها.

عمانوئيل: يا سيدي فياليت هذه الاعترافات الحقيقية قد صدت داروين وأتباعه عن طفرة الإيمان الغيبي بمسألة تحول الأنواع وتسلسلها عن أصل واحد، بل كان يكفيهم ما يحدده الحس والشعور التاريخي من أن لكل نوع حدا وسطا تتراوح عليه آثار التحسين والانحطاط بحسب أسبابها إلى حد محدود في الصورة النوعية. ويا ليتهم لم يتركوا الخيال قلقا من أوهام الحلقات المفقودة دائم الأسف عليها كأنها أنس بها دهرا ثم أصبح ناكلا لها.

وكم وقع الأساتذة في خجل الخيبة حينما خيل لهم الشوق

المستعجل أنهم وجدوا حلقة من حلقات الاتصال. كما تجد ذكره في الصحف.

أما آن لأهل العلم التجريبي أن يسألوا هذا الفقيه الموهوم، هب أنا وجدنا في قاع البحار حجرا متعضيا تعضيا طبيعيا لا صناعيا ولا بناموس استحجار الحيوان.

أو وجدنا في شواطئ البحار مادة جلاتينية تهتز بحركة حيوية لا ميكانيكية فلماذا نظفر ونؤمن دفعة بأن هذه من حلقات الاتصال في تسلسل الأنواع؟ ثم ننظم سلسلة طويلة وهمية من حلقات وهمية لا تحصى؟ ولماذا لا نقول: إن ما وجدناه نوع من الكائنات التي لا يحصي الاستقراء أنواعها.

ولا نتعدى عن نوعيته حتى يتجلى لنا بالحس تحوله إلى نوع آخر فنثبت ذلك في دفتر العلم التجريبي ونقف بشرف العلم على هذه التجربة حتى يتجلى لنا بالحس تحوله أيضا إلى نوع آخر. وهكذا فنتكلم كلاما علميا تجريبيا.

يا سيدي وفي معرب أصل الأنواع أيضا ص ١٣٢ (إن التفريق بين التنوعات والأنواع لا يصح إلا بشرطين:

(أولهما): اكتشاف الصور الوسطى التي تربطهما) يا سيدي فمن أين اكتشفت الصور الوسطى الرابطة في التحول. هل يكفي افتراضها خياليا بتربية الحمام عشرين سنة. وأيضا ص ١٣٢.

(ثانيهما): معرفة مقدار التغيرات المحدودة التي تقع بينها) ولم يأتي بشئ في هذا الشرط..

بل قال ص ١٣٣ بعد كلام هو أعرف بمحصله في الحجة (بيد أنا لا نفقة لها معنى ولا نكشف عطاء إذا اعتبرنا أن الأنواع قد خلقت خلقا

مستقلا).

يا سيدي إذا قلنا إن الأنواع خلقت خلقا مستقلا على طبائع تجري على نواميسها في مواليدها فهل يتعذر على العلماء درس طبيعتها وعوارضها وما يلائمها وما يضرها وما يصلحها فلا يفقه العلماء لها معنى ولا يكشفون عن أمرها بدرسهم غطاء؟ إذن فكيف درس العلماء طبائع الأحياء وأعضائها ودونوا طبها وطبيعتها قبل مذهب داروين. وهل قلب مذهب داروين نظرياتهم السابقة إلى طب داروين وطبيعات دارونية قد بنى فقهاها وكشف غطائها على ارتباط الأحياء بالتسلسل من نوع واحد. متى كان ذلك. ليس كل ما في العلم من طب وطبيعات إنما هو من درس أولئك السلف من الأساتذة الذين لم يخطر مذهب داروين ببالهم. وعلى أساسهم بني الخلف وترقى في اكتشافاته. أم يريد داروين أن التشابهات لا يفهم لها معنى بالخلق المستقل للأنواع.

فهل يمتنع حصول التشابهات في الخلق المستقل. وهل بالقول بتسلسل الأنواع الموهوم زاد فقها بالتشابهات وكشفا لغطائها وفاق به القائلين بالخلق الخصوصي سواء كانوا إلهيين أو ماديين؟ داروين والتنازع في البقاء لحفظ الصفوف العالية اليعازر: ومما يجعلونه في احتجاجهم على تسلسل الأنواع وتحولاتها مسألة حفظ الصفوف العالية في التنازع في البقاء وارتباط هذه بمسألة الانتخاب الطبيعي وقد أشبع داروين فيها الكلام. عمانوئيل: يا سيدي وهل ذكر في ذلك إلا ما هو السنة الجارية في الكائنات الحية من أن بعض الحيوانات يتغذى ببعض.

وبعض الحيوانات يعادي بعضها آخر.
وبعض النبات يحتاج في حياته وترقيه إلى محل صالح يتمتع به في نموه بحيث تضره في حياته ونموه مزاحمة النبات الآخر.
وبعض النبات يكون ساما للنبات الآخر. وبعضه يكون مصلحا للآخر. وبعض أنواع الحيوان يبيد.
وبعض النبات يترقى ويتحسن بعناية الفلاحة.
يا والدي ولتأمل الصحف من أمثلة ذلك. لكن من أين يدل ذلك أن الغاية منه قصدا أو صدفة إنما هو حفظ الصفوف العالية. ومن أين يجيء اتصاله بالانتخاب الطبيعي. وبأي وجه يرتبط بتسلسل الأنواع.
ألسنا نرى أقسام السباع تقتل الانسان وتأكله وتعاديه. والحيوانات السامة كالحية والعقرب تعادي الانسان وتقتله.
وهذا المكروب بالاكتشافات الحديثة يقتل الانسان بالمهاجمات الوبائية. أوليس الانسان الذي منه العالم والفيلسوف والقوقاسي هو أعلى صفوف الكائنات الحية. وقد شاهدنا في بعض البراري في أمكنة كثيرة سوادا متراكما في الأرض فقصدناه فوجدناه مشتملا على قسمين من النمل.
القسم الأصفر النحاسي الصغار والقسم الأسود الكبار الطيار ذي الأجنحة. وقد اجتمع النمل الصغار على الكبار بتهاجم كبير يتعلق بالنملة الكبيرة جماعة كثيرة من الصغار حتى تقتلها فكانت تلك القطعة مملوءة من النمل الكبار ما بين أسير، وفي آخر رمق، وقتيل، ومأكول بعضه. فهل كان ذلك لحفظ الصف العالي؟
وإن المنقولات من أصحاب الأحافير تفيد أن كثيرا مما وجدوه من الحيوانات البائدة هو من أعلى صفوف الحيوان في كبر الجثة وإتقان البنية كما أودعوا صورها في المتاحف.

ودع عنك ما لم يعثروا عليه. فمن ذلك (البرونتوزورس) ويقدر طولُه بخمسة عشر متراً. ومنه. (الديلودوكس) ويقدر طولُه بيضعة عشر متراً وعلوه بخمسة أمتار. ومنه (مثلث القرون) من ذوات الأربع من نحو فرس البحر وقدروا طولُه بثمانية أمتار، وعلوه بمناسبتها في ذوات الأربع. ومنه (الميلودون) وهو عظيم الجثة هائل قدره بأنه يأخذ النحلة الكبيرة فيميلها إليه. ومنه (الكسلان) وهو قريب من الميلودون. ومنه (الموا) في زيلاندا وهو طير قدره بنحو أربعة أمتار وأكثر. ومنه (دينوسور) زحاف مجنح عظيم هائل. ومه (دينوسور) زحاف كبير قدره طولُه عشرة أمتار وعلوه من قمة رأسه إلى إبهام رجله نحو خمسة أمتار.

اليعازر: ومن الظرائف أن بعض الصحفيين والكتبة المنهمكين برأي داروين لما رأوا أن انقراض هذه الصفوف العالية من الحيوان قادح في مذهب داروين في التناحر في البقاء قال: إنها انقرضت بأسباب طبيعية اقتضاها الانتخاب الطبيعي وحل محلها حيوانات أصغر حجماً وأضعف بنية ولكنها أقرب إلى حاجيات الناس. إنتهى.

ويا ليت هذا الكاتب يبين أنه متى درس طبائع هذه الحيوانات المنقرضة فعلم أن الحيات، والعقارب، والسباع، والسبع المكلوب بطبعه هي أقرب إلى حاجيات الناس من هذه المنقرضة.

ولماذا لم تجتمع المنقرضة في الوجود مع ما هو أقرب إلى حاجيات الانسان. هل تقول: إن علم هذا الكاتب عظيم كحكمة الانتخاب الطبيعي وشعوره الراقى؟

عمانويل: ومن حججهم على تسلسل الأنواع ما يجدونه من المشابهة في بعضها لبعض كمشابهة بعض القروذ لبعض أصناف الانسان. هل ذلك لأنهم لم يأذنوا لصدفة الطبيعة العمياء أن لا توجد الأنواع متشابهة في بعض أجزائها؟

أو لم يأذنوا للخالق الحكيم بأن يخلق الأنواع متشابهة لكي يدل على قدرته الباهرة بجعل التباين العظيم بين الأنواع في الخصائص الكبيرة والآثار العظيمة مع الاختلاف اليسير في الأعضاء؟ أتراهم لم يعطوا امتيازاً في إيجاد الأنواع إلا على نحو التسلسل؟

ومن حججهم أن بعض الأعضاء لا فائدة فيها فهي أثرية في هذا النوع المتحول قد بقيت من آثار النوع السابق الذي كان محتاجاً إليها. ومثلوا لذلك في الإنسان بعضلات الأذن، والزوائد الدودية في المعاء الأعور. يا ساداتنا وهذا من أدهى الدواهي المعرقة للعلم عن سيره في البحث عن الحقائق واكتشاف أسرارها واستخراج كنوزها.

أما إن العلماء لا غيرهم يتمجدون باعترافهم بأن في الكون حقائق كبيرة كثيرة لم يكشف البحث عن نقابها فهم يمدون يد السير في العلم إلى رفع حجابها. فهل يجعل الجهل دليلاً علمياً؟ من أين علم أن عضلات الأذن تنحصر فائدتها بالتحريك فلا فائدة لها في الإنسان لا في تعديل وضع أذنه ولا في حاجيات جهاز سمعه؟ من أين علم أن الزوائد الدودية ذات الصمام لا حاجة لحياة الإنسان بها؟

لماذا لا يظن أن العناية بحياة الإنسان قد وظفت الدودية بوضعها الخاص لأمر يعجز عنه الأعور البسيط. كما جعلت الأعور في البط أطول مما تقتضيه النسبة مع باقي الحيوانات.

يا ساداتنا هذه حجج أصحاب تسلسل الأنواع. هل ترون قعقتها تكون ظناً ولو من أضعف الظنون؟ هل ينفخ فيها روح العلم قول دارون (بيد أنا لا نفقه لها معنى ولا نكشف عنها غطاءً إذا اعتبرنا أن الأنواع قد خلقت خلقاً مستقلاً)؟؟

القس: يا عمانوئيل كأنني ببعض المنهمكين بالمذهب الداروني يقولون لك في جواب كلامك وبحثك (عذرك جهلك) كما كتبه شبلي

شميل لبعض العلماء الباحثين في هذا الموضوع.
عمانوئيل: يا سيدي إن ناموس العلم قد أدبني على أن أعترف
بالجهل بكثير من الحقايق التي لا أهتدي لها سبيلا بنور الحجة العلمية
الكافية.

وما نقص الانسان إلا بالجهل المركب ووهن الحجة ولئن قال: لي
قائل (عذرك جهلك) كما قيل لبعض العلماء الباحثين بتحقيق حينما أعي
القائل جوابه فإني أرجو من سماحة هذا القائل لي أن يعلمني ولا يضطهد
الانسانية والعلم بهذا القول السهل علي.. والصعب على الشرف.
مذهب داروين ومزاعم الأعضاء الأثرية

القس: إنهم يتشبثون لمزاعمهم في التحول ببعض أجزاء الانسان
وبعض الأجزاء من كثير من الحيوان التي يسمونها (أثرية) كالعضلات
الأذنية.

وكالزوائد الدودية في المعاء الأعور. وكالثديين للمذكور من كثير
من الحيوان.

عمانوئيل: من أين علموا أن هذه الأجزاء لا حاجة فيها ولا عمل
لها لا في حياة الشخص ولا في بقاء النوع حتى إنهم من أجل علمهم
هذا حكموا بأنها أثرية أي أثر باق من التحول عن النوع الذي كان ينتفع
بها؟ من أين علموا أن فائدة العضلات في البدن منحصرة بالتحريك لكي
يقولوا إن الانسان لا يحتاج إلى تحريك أذنيه فيستنتجوا من ذلك أن
عضلات أذنه أثرية باقية من تحوله عن الحيوان الذي يحتاج إلى تحريك
أذنيه؟ إذن فماذا يقولون في العضلة الهرمية على عظم أنف الانسان.
والعضلة الضاغطة للأنف.

وماذا يقولون في عضلات الحياة الآلية التي لا تتعلق بالإرادة
والتحريك كالتى تكون في الحوصلة المرارية والقناة الصفراوية

المشتركة. وفي كؤوس الكلية، وحوضها، والحالبين وفي طبقات الشرايين، والأوردة - وماذا يقولون في العضلة الهدبية الموضوعة على الوجه الظاهر للطبقة المشيمية للعين، وفي العضلة الركانية في باطن الأذن.

وأما العضلات الخاصة بالحياة الإرادية التي يسمونها عضلات الحياة الحيوانية فإن جملة كثيرة منها ليست لأجل موافقة الإرادة بتحريك العضو بل هي لإرجاع العضو إلى وضعه أو مركزه بعد تحريكه بالإرادة أو بالقسر. وذلك كالمحيطة الجفنية، والشاذة للجفن، والخافضة للأنف، والعضلة الباطنة للأضلاع.

ولماذا لم يحتملوا أو يظنوا أقلًا أن الفائدة في عضلات الأذن الكبار والصغار هو حفظ مركز الصماخ وصورته عندما تطرأ عليه الحركات القسرية فتكون بانقباضها الطبيعي بمنزلة المرونة التي ترد الجسم المرن إلى مركزه وصورته كالعضلات الباطنة للأضلاع. هب إن العلم سامحهم في جميع ذلك فلماذا لم يقولوا إن عضلات الأذن جزء لا فائدة فيه كما قالوه في الغدة الدرقية وبعض الغدد الوحيدة.

ولماذا يحكمون بأنها أثرية انهماكا بمذهب داروين أوليس الواجب في شرف العلم أن الجزء الذي لا نعرف فائدته يوكل أمره إلى مستقبل العلم التجريبي عسى أن يوقف الناس في معرفة فائدته على قدم ثابتة. فإنه يوجد في مركز الشبكية عند النقطة التي تقابل محور العين أثر مستدير مرتفع مائل إلى الصفرة يقال له بقعة (سويميرين) وفي مركز الأثر انخفاض يقال له الحفرة المركزية. وإلى الآن لم تعرف فائدة هذا الأثر. الزوائد الدودية في المعاء الأعور للانسان

ومن أين علموا أن الزوائد لا حاجة للانسان إلى وضعها الخاص في جهاز هضمه حتى حكموا بأنها أثرية من طول المعاء الأعور في سائر

الحيوانات قد خرجت عن وضعها الطبيعي لاستغناء الانسان عن مقدارها من الأعور.

فكأنهم لم يعرفوا تفاوت الحيوانات الفقرية في جهاز الهضم بحسب حاجاتها الخاصة في طبيعتها النوعية. فالحيوانات المجترة جعل لها الكرش صلب بدلا عن المعدة وهو وعاء عظيم بالنسبة إلى المعدة من الانسان خشن صلب ويليه بطون أخرى صغار من فوق إلى تحت مضاعفة الحجب والصفاقات والسبب في كثرة بطونه احتياج هذا الحيوان لزيادة الهضم فإن نهيمته وكثرة أكله لا تدعه يمضغ مأكوله جيدا حينما يظفر به وهذا عمله في أكله الرطب واليابس فتخزن هذه البطون مأكوله وتهضمه ليعيد عليه المضغ بالاجترار عند استراحته.

ومعاً هذا الصنف من الحيوان أعظم من معاء ما لا يجتر مع حفظ النسبة بين الحيوانين في مقدار الجسم، والفيل ليس له كرش ولا معدة بل له معاء كثير التشبك والالتفاف وبعده معاء الدفع. وبعض الحيوانات لها مرارة وبعضها ليس لها مرارة قيل ومنها الإبل والبغل والفرس. وبعض الحيوانات الفقرية ليس لها طحال.

وبعض الطيور لها حوصلة لهضم الشيء الصلب. وبعضها له بدل الحوصلة فم معدة واسع عريض. وبعضها له حوصلة وفم معدة.

وبعضها لا حوصلة له ولا فم معدة بل له معدة مستطيلة. ولكثير من السمك والطيور شعب تتشعب من معاها. والمعاء الأعور من البط طويل بحسب نسبته مع باقي الحيوانات وقيل إن قسما منه يكون أعوره أطول من سائر البط.

يا سيدي ولما كانت وظيفة الأعور هضم ما يقذفه اللفائفي وتطهيره من المواد المضرة المحتاجة إلى الهضم لكي يقذفه إلى القولون خالصا

من تلك المواد فتمتص منه الأوعية كيلوسا نقيا فربما كانت الزوائد الدودية تتناول من الأعور ما يعجز عن هضمه بسرعة فتعضمه بطبعها وضغطها له.

وربما تكون مخزنا للإفرازات المضرة إلى أن تكسر عاديته ثم تقذفها إلى المستقيم في نوبة لا يندس منها شئ في أوعية الغذاء وإن صمام الزوائد وإن كان ناقصا يشهد بأن لها عملا كبيرا وأنها نشوء ابتدائي فإنه ليس في المعاء الأعور في غير الانسان إلا صمام واحد في أوله وإن صمام الزوائد يرد القول بكونها أثرية فإنها إن كانت جزءا من الأعور قد خرج عن طبيعته فمن أين جاء الصمام؟ بل إن غلظ جدرانها يشهد بأن لها عملا كبيرا فإن كل معاء يكون أكثر عملا يكون أغلظ جدرانها. بل إن كثرة الغدد الوحيدة فيها كالأعور تشهد بأن لها عملا تحتاج لأجله إلى وجود الغدد وامتصاصها.

وإذا كانت الزوائد الدودية خرجت عن حالها الطبيعي فلماذا توجد فيها جميع أوعية الحياة العضوية على الوجه التام كما في الأعور وسائر الأمعاء. ولماذا لم تخرج هذه الأوعية عن حالها الطبيعي؟ هب إنا جهلنا فائدة الزوائد في حياة الانسان فلماذا نقتحم وننفي فائدتها ولا نرجو كشفها في مستقبل العلم إذا لم يعرقل في سيره ولماذا نقتحم دعوى الأثرية فيها مع أننا نرى التفاوت والاختلاف الكبير في أعضاء الحيوان وخصوص جهاز هضمه بحسب حاجاته.

فهل يمتنع في نظام الأعضاء وأعمال الهضم أن يحتاج الانسان إلى وضع الزوائد الدودية.

أثناء الذكور

ومن أين علموا أن فائدة الثديين منحصرة بالرضاع منهما فتكون في الذكر أثرية باقية من التحول عن الأنثى. هب أنهم علموا أن أثناء

الذكور لا فائدة فيها أصلا فلماذا لم يقولوا إنها من أجزاء الحيوان الزائدة كما قالوه في غيرها. وكيف جزموا بأنها أثرية. ومن ذا الذي وماذا الذي أعلمهم بانحصار فائدة الاثداء في الارضاع؟ ألا. وإنا نجد لها في أثداء الانسان مظاهر تدل على أن لها مداخلة كبيرة في بقاء الفرد والنوع. منها: أنها تعصر من الأطفال الذكور والإناث في أيام ولادتهم فيخرج منها سائل كثير يشبه ماء العنب. وهذا يدل على أن غدتها تمتص إفرازات كثيرة لكي تعمل فيها أعمالا حيوية.. ومنها: أنها تتهيج في ذكور الانسان عند بلوغهم وابتداء نشوء المادة المنوية فتكبر الغدة ويلوح التغير على لون الحلمة والهالة ثم تتراجع عن تهيجها تدريجا بعد ما يأخذ مني الذكر بالانفراز بالاحتلام أو الجماع. وهذا يدل على مداخلة كبيرة للاثداء في مادة التناسل وإنها من جهازه.

ومما يدل على ذلك أيضا ما عرف من حال المخصيين في طفوليتهم حيث ذكر جملة منهم أنهم وصلوا إلى سن البلوغ وتجاوزوه ولم تظهر هذه المظاهر على أثدائهم من التهيج وغيره. ومما يدل أيضا على ارتباط الثدي بجهاز التناسل والولادة أن الأنثى إذا لم يظهر ثدياها على مقتضى الطريقة العادية تكون عقيما لا تلد. وفي ما ذكرناه كفاية. بل قيل إن بعض الذكور قطعت أثدائهم بعمليات جراحية فانقطع نسلهم. فهل أنت يا شيخ تأتينا بمثل هذه الحجج في دعاويك. الآلات الحجرية الصوانية الشيخ: وأيضا قد وجدت في الحفريات في طبقات الأرض قطع

كثيرة من الصخر تشبه في الوضع والهيئة بعض الآلات الحديدية كالفؤوس
والمناشير والسكاكين وأسنة الرماح ورؤوس السهام فجزم الناس بلا ريب
بأنها آلات من صنع البشر قد صنعوها لأجل غايات مقصودة لهم في
أعمالهم ونسبوها لعصر خاص كانت هي آلاته قبل إيجاد الآلات الحديدية
وسموه العصر الصواني ..

مع أن هذه القطع التي وجدوها لم يرها أحد مستعملة في غاياتها
فلماذا لا يقول الناس: إن هذه القطع بهيئاتها الخاصة إنما هي من
أعمال النواميس الطبيعة بسبب تأثيرات عوامل الاستحجار المقرونة
بأوضاع معداتها التي تنتج هذه الهيئات الخاصة. كما هو في صغار
الصخور والصوان التي يكثر فيها أن تكون على أشكال هندسية.
كالمسطح المستدير، وما يكون مثل نصف الدائرة، أو قطعة منها،
والمخروطي بقاعدة هلالية أو كنصف دائرة مع التناسب في سمكه،
والمكورة، والشكل البيضي، والأسطوانة بقاعدة هي كنصف كرة أو قطعة
منها.

إلى غير ذلك من الأوضاع والهيئات. وقد شاهدنا في سوق
(سامرا) ملح طعام مؤلف من قطع صغار هي كأظرف ما يكون من
أوضاع الأواني الزجاجية بأشكال هندسية متناسبة المقعر والمحدب في
السمك والوضع تكون مثمثة ومسدسة وغيرها وربما يتدرج تغيرها
وتحديدها بدرجات متناسبة محفوظة الوضع.

إذن فمن أين علم الناس هذه القطع التي وجدت في الحفريات هي
آلات صنعها الإنسان لأجل غايات مقصودة له. هل رأى أحد ذلك
بعينه. هل رآها بخصوصها مستعملة في تلك الغايات. أو ليست هذه
الدعوى مثل دعوى تحول الأنواع لا حجة لها إلا التخمين.

دلالة المصنوعات على إرادة صانعها وعلمه بالغايات وقصده لها

عمانوئيل: لا يا شيخ. هذا لا يشبه ما ذكرناه من مسائل التحول. إن الانسان إذا رأى ألوفا من هذه القطع الكثيرة جارية على ناموس واحد في الصلاحية للغايات فإنه يجزم بعلمه حسب الفطرة السليمة والوجدان الحر بأنها مصنوعة بالاختيار لأجل غاياتها.

وإن الذي ذكرته من أسباب الشك لا يعده العقلاء إلا سفسطة ساقطة لا تقف أمام علم اليقين. ألا ترى عقلاء العالم ممن رأى هذه القطع أو سمع بها لا يزالون ثابتي الاعتقاد بأنها صنعت اختيارا لأجل غاياتها وإن لم يرها أحد مستعملة في تلك الغايات.

الشيخ: ماذا تقول أيها القس في هذا الذي قاله عمانوئيل؟ القس: إنه تحقيق فائق وإيضاح للحقيقة، وبيان لما عليه البشر في أمورهم، فإن جميع الأفعال والموجودات والمصنوعات حتى كلام المتكلم لا ميزان ولا طريق لليقين في معرفة كون الصادر منها صادرا عن إرادة الموجد وشعوره وحكمته في قصده الغاية في إيجادها إلا هذا الميزان وهذا الطريق الذي قاله عمانوئيل.

وإنه لغريزة فطرية في البشر. فإن الطفل والشاب والكبير في جميع العالم يميزون ببداهة هذا الميزان العادل والطريق الواضح المستقيم. وإن كل موجود يرتبط وضعه وأجزائه وتركيبه بالمقاصد والفوائد فإن ما يعرف منه من هذا الارتباط يكون بالبداهة دليلا على أنه صادر بإيجاد موجد مزيد له علم بالفائدة والغاية وقد أوجده بحكمته لأجل تلك الغاية. وكلما كثر ارتباط الوضع والتركيب والترتيب بالغايات زادت دلالاته على علم الموجد وحكمته وضوحا وسناء إلى أن تصل إلى حد لا محل فيه لاختلاج الشك والتشكيك فضلا عن الجحود القبيح الذي لا يكون إلا

ممن له غرض فاسد وليس له شرف أو حياء رادع.
اليعازر: الموجد وغيره يخبرنا بأن ما أوجده أو جده عن إرادة وعلم
بالغاية وقصد لها.

فلا يكون الميزان هو ما ذكره غبطة القس وعمانوئيل.
القس: نقول لك.

أولاً. إن جميع البشر يعلمون من الأشياء والمصنوعات الموجدة
لأجل الغايات أن موجدها أو جدها بعلمه وحكمته لأجل غاياتها من دون
أن يخبرهم أحد بذلك كما في الآلات الصوانية المذكورة وغيرها مع أنهم
لم يروا موجدها ولم يخبرهم أحد سمع من موجدها مع أن العقلاء على
يقين لا يشوبه شك بأنها أو جدها موجدها لأجل غاياتها.

وثانياً: بأي ميزان تميزان هذا المخبر الذي تذكره قد تكلم بخبره
عن شعور وإرادة التفهيم وقصد للغاية. ولم يتكلم عن هذيان ومرض
دماغى عرض له إذن فكيف يحصل لك العلم بقصده للتفهيم والاعلام من
كلامه.

أوليس لأنك تجد كلامه منتظم التركيب مرتبطاً بالغاية؟ وبعد ذلك
يبقى في أخباره لك احتمال كذبه فمن أين يحصل لك اليقين؟!
يا اليعازر، ليس لك في اليقين بمعرفة قصد الموجد للغاية وعلمه
بها إلا ما ذكرناه من الميزان والطريق - فعليك به - تكن من المهتمدين.

مقدمات احتجاج القرآن على وجود الخالق العليم
الشيخ: احفظوا لي أنت والعقلاء مثل هذا من العلم اليقين بحسب
الفطرة السليمة والوجدان الحر على الميزان والطريق المذكور وإني
أجعله:

المقدمة الأولى
لاحتجاج القرآن الكريم على وجود الخالق العليم وهو (الله) جل
شأنه وعظم سلطانه.

عمانوئيل: لا بد من أن نحفظه لك وإن كابرناك فيه فإن الحقيقة
تحفظه لك وشرف الانسانية والعلم يشهد لك.

المقدمة الثانية

الشيخ: (المقدمة الثانية) ما برح الانسان من ابتداء شعوره إلى
آخر أمره يبحث عن علة الكائن وينظر فيها ويستنتج منها نتائجه. جبلة
طبع عليها في جميع أمورهِ حتى إن الطفل إذا مع جبلة أو صوتا غريبا فإنه
يدير نظره ويتجسس عن علته لكي يستنتج منها نتيجة في رجاء أو حذره.
وكذا الحيوان. بل ما سار العلم والتمدن سيرهما ورقيا رقيهما إلا على
النهج الفطري بالنظر إلى علة الكائن وغايته لكي تستفاد الفوائد الكبيرة
في المنافع ودفع المضار من معرفة العلة والغاية.

عمانوئيل. أقول بحضرة سيدي القس وسيدي الوالد إن هذا الذي
تقوله طبيعي للانسان وضروري له في جميع أمورهِ.

المقدمة الثالثة

الشيخ: ما برح الانسان أيضا في أجياله وأحواله محتاجا إلى
شريعة ينظم بها اجتماعه في المجتمع الانساني. والمملكة والقطر
والشعب والقوم والعائلة والبيت.

ولم يزل ولا يزال حسب ما يقتضيه الامكان والهمة والاقتناع يتطلب
شريعة تقرب من الصلاح والعدل والارتباط بالمصالح النوعية والشخصية.

مع علمه بأن الشرايع البشرية مهما أخذوا فيها بالتدقيق وجمع آراء العقلاء ورعاية الأكثرية فهي غير ضامنة لدوام الصواب فإن كل أحد يعلم أن علم البشر ومبلغ عقولهم مهما كان فهو محدود قد يكثر فيه الخطأ الكبير.

مع أن بعض البشر غير مبرئين عن مداخلة الأهواء والتعصب في التشريع وغيره. فإذا احتمل الانسان أن له سبيلا ممكنا إلى تشريع مشروع كامل يحيط علمه بجميع الأمور ولا يخفى عليه شيء وهو مقدس من كل هوى وعصبية فإن عقل الانسان وشوقه إلى صلاحه يلزمه بالسعي إلى طلب هذا التشريع المقدس ولزومه.

المقدمة الرابعة

وأیضا لم يزل الانسان ولا يزال محتاجا إلى تعلم الأخلاق الفاضلة التي يتهج بسببها بكماله ويفتخر بها ويحل بها المشكلات في حفظ شرفه وحسن اجتماعه مع أبناء جنسه طالبا لدرس هذه الأخلاق ومعرفتها لكي يتحلى بجميلها حينما يستغفل أهواءه الشخصية.

وهو يعلم أن البشر معرض للجهل والأهواء والتعصب والتقليد. وبمقتضى الطبيعة البشرية لا يوجد فيهم من هو كامل في جميع أخلاقه عارف حق المعرفة بجميع مكارمها لكي يتجمل بها ويجري عليها في مواضع إجراتها.

وعارف حق المعرفة بجميع الأخلاق الرديئة لكي يتنزه عنها ويحاذر من وبال آثارها. فإذا علم الانسان أن له سبيلا ممكنا إلى تعلم الأخلاق من كامل مقدس من كل وجه عالم بحقيقة كل شيء فإن العقل وشوق الانسان إلى صلاح نفسه يلزمه بدراسة علم الأخلاق في مدرسة هذا الكامل المقدس ويحتمل على الانسان بتطلب هذه المدرسة ويحذرانه من تلوثه برذيلة التعاليم المخالفة لها.

المقدمة الخامسة

وأيضاً لم يزل الانسان ولا يزال منذ مبادي شعوره متحرزا من الوقوع في المضرة المحتملة طالبا للاطمئنان بالسلامة منها. حتى إن الطفل يجري أيضا على هذا الناموس كما هو ظاهر، ولا يبقى الانسان مقدما على احتمال المضرة إلا أن يكون له هوى يغلبه أو حاجة لا يعتني العقلاء معها بتلك المضرة أو باحتمالها.

وأما المضرة العظيمة التي لا يوازنها شئ ولا يوازن خوفها فإن الانسان مطبوع على عدم التقحم في خوفها وعلى عدم الاستراحة إلا بالاطمئنان بالسلامة من وبالها وبالأمن منها.

المقدمة السادسة

هل ينكر أحد أن أقطار العالم بأسرها قد امتلأت بالدعوة إلى الله جل شأنه وعظمته. وهو واجب الوجود. خالق العالم، ومدبر أمره، والعالم بكل شئ، والغني الحكيم المقدس، شارع الشرايع وقوانين الصلاح، ومعلم الأخلاق الفاضلة، والزاجر عن الرذائل ومواد الفساد والشر.

والمتوعد بحكمته على جحوده ومخالفة أوامره ونواهيته وتعاليمه مهددا بالعذاب الشديد. هل ينكر أحل عموم هذه الدعوة على الأقل فيما بعد زمان موسى (عليه السلام).

كلا

بل إن الوثنية من أول أمرها ناظرة إلى هذا الأساس لكنها غلظت بتأليه المخلوق وما يترتب على ذلك من المفسد. هذا مع أن العقل فضلا عن هذا النداء يجوز ما ذكرناه في المقدمات ابتداء ومن دون نداء بها. فيرى الانسان نفسه مهددة بفوات المصالح اللازمة وبالوقوع في

المضار التي لا صبر له عليها.
عمانويل: يا شيخ قد أكثرت في إيضاح أمور واضحة تشهد بها
الفطرة، وقد أكثرت اشتياقنا إلى عرضك من هذا البيان والإيضاح.
الشيخ: الغرض من ذلك أن نوضح أن القرآن الكريم احتج على
الإلهية بحجة أشار فيها إلى هذه المقدمات التي لا ينبغي للانسان أن
يغفل عنها مع أنها مكشوفة له بحسب الفطرة والوجدان وعمله في جميع
أحواله. وأتم القرآن احتجاجه ببيان الدلالة على أن موجد العالم وعلته
عالم بالغايات قد أوجد الكائنات لأجل غاياتها على الحكمة الباهرة
والنظام الفائق ونبه على جميع المقدمات بالانكار والتوبيخ على الشك
الذي لا محل له مع هذه المقدمات الواضحة الوجدانية والمشاهدات
العيانية.

فقال جل وعلا في الآية العاشرة من سورة إبراهيم المكية.
(أفي الله شك فاطر السماوات والأرض) ولماذا يشك الانسان. فهل
يصح له أن يبقى على شكه لأنه أعرض بجهله عن النظر وطلب الحقيقة
في أمر المعرفة. كيف يعرض وهو مهدد بالعذاب الإلهي، وبفوات
مصلحة الشريعة الإلهية ومصلحة تهذيب أخلاقه وتكميله، وأليس من
الضروري الفطري أنه لا ينبغي لذي رشد أن يستقر على خوف الضرر
العظيم حتى يأمن ويطمئن بنتيجة النظر الصادق.
وليس النظر في هذا الشأن محتاجا إلى نظم مقدمات وأقيسه متعددة
كما ينظر الانسان في صحة إشكال المقالة الثالثة من أصول الهندسة
لاقليدس. لا. وكلا.

بل إن مقدمات هذا النظر مكشوفة لعيان الانسان ووجدانه في جميع
أحواله بأوضح انكشاف يرغم النفوس الحرة على الازعان بالحقيقة - فهل
يغيب عن الانسان ما يشاهده بالعيان ويعرفه بعلم اليقين من عالم
السماوات والأرض وما فيهما ووجود نفسه ونوعه وسائر الأنواع فكم يرى

في العالم من شئ موجود بعد عدمه على أتقن صنع وأحسن نظام تبهر العقول حكمته، ويعجز العلم عن إحصاء غاياته الشريفة. وهل تغفل الفطرة والوجدان الحر عن الحكم بأن هذه الأشياء الحادثة لا بد لها من موجد منزه عن الحدوث والحاجة إلى من يوجده. وحينما يشاهد الانسان هذه الموجودات المستعملة في غاياتها العظيمة بأوضح ما يشاهد من الاستعمال الباهر بجماله وانتظامه فهل تغفل فطرته ووجدانه الحر عن اليقين بأن موجدها لا بد أن يكون عالما بهذه الغايات قد أوجد الموجود بنحوه الخاص به لكي تترتب عليه غايته الخاصة. وهل يكون الخالق الواجب الوجود العليم الحكيم غير الله؟ فإن لفظ الجلالة (الله) اسم خاص لذات الخالق الواجب الوجود العليم الحكيم.

يا أصحابنا وإذا كانت بداية الفطرة تشهد بأن القطع الصوانية التي ذكرناها هي آلات صنعها صانع مختار لأجل غاياتها كما قلتم سابقا مع أنها لم يشاهدها أحد مستعملة في غاياتها فهذه أجزاء العالم المستعملة في غاياتها على أوضح حكمة وإتقان كيف لا تشهد الفطرة والوجدان بأنها صنع صانع عالم بالغايات قد صنعها لأجل غاياتها. وكيف لا تشهد الفطرة والوجدان بأن هذه الأشياء الحادثة في الكون لا بد لها من أن تكون محتاجة إلى موجد منزه عن الحدوث والحاجة. عمانوئيل. يا شيخ إنا متدينون مقتنعون بهذه الأمور نراها حق اليقين، ولكن للماديين فيها معارضات، فليس من الجيد في التدقيق أن نخوض فيها وحدثنا.

بل لا بد من أن نحضر معنا من يحامي عن المذهب المادي لكي يقول ما عنده وتقول ما عندك في إيضاح الحقيقة لكي تنجلي ظلمات الأوهام عن صبح اليقين.

الشيخ. يا عمانوئيل إن جميع ما يتشبه به الماديون غير خفي عن

أمثالك فلماذا لا نمثلك محاميا عنهم.
عمانوييل: إن بعض دعاويهم وإنكاراتهم لا يدعني شرف وجداني
أن أذكرها بصورة الحزم وأحامي عنها فالأحسن حضور أحدهم ليبين ما
عندهم فإن كثيرا منهم يجاهر بما عندهم.
ولكن يا شيخ يلزم أن يكون من نحضره له إمام بنواميس العلم
وقوانين الحجة وموازن الاستدلال لا من الجديدين الذين غاية حجتهم
كتب السر فلان وخطب المسيو فلان وقال الدكتور فلان وذكرت جريدة
المقتطف. ونقلت مجلة الهلال. ولا يعرف في مقابلة الحجة الواضحة
إلا أن يقول هذه حجة من العقل العتيق، شعوري المتنور، هذا عصر
الرقى والتنور، لا أعرف الامكان والامتناع ولا الدور هذه خرافات
قديمة. الشعور الراقى لا يحتاج في حجته إلى موازين الاستدلال.
فاللزام أن نختار ماديا من أهل العلم يراعي في كلامه شرف
فضيلته.

القس: إنني أعهد دكتورا كما تريدون فمثلوه.
عمانوييل. مثلنا الدكتور فقلنا له أيها الدكتور ألا تسمع ما يقول
الشيخ ويذكره من احتجاج القرآن على الإلهية ضد المذهب المادي.
الدكتور: اذكروا لي ما يقوله الشيخ بنصه ولفظه لننظر فيه فإن الحر
من لا عداوة له مع الحق بل من يكون الحق قرّة عينه وضالته التي يطلبها
لكي يتشرف علمه بفضيلة الصواب ويبتهج برقيه في درجات الحقيقة.
عمانوييل: ذكرنا كل ما ذكره الشيخ بنصه ولفظه.
الدكتور: أما ما ذكره الشيخ في المقدمة الثانية فهو مسلم بالبدهة
وعليه فطرة البشر كما ذكر. وبالنظر إلى علة الكائن سار العلم سيره ورقى
رقيه وكذا ما ذكره في المقدمة الثالثة والرابعة والسادسة ولا يمكن أن ننكر

ما ذكره في المقدمة الخامسة من النداء في العالم باسم الإله وشريعته وتعليمه دروس الأخلاق الفاضلة وتهديده على جحوده ومخالفته. ولكن يا للأسف إن العلم لم يوصلنا إلى معرفة هذا الإله الذي يذكرونه ولم يدلنا على لزوم وجوده لكي نبحت عن مدرسة شريعته وتعليمه الأخلاق فلذلك آمنا من خوف النداء المذكور في المقدمة الخامسة.

الشيخ: أيها الدكتور إن مكالمتنا مؤسسة على الحرية المطلقة في سبيل الحقيقة وكلامك هذا مجمل فأوضح لنا مرادك بالصرحة لكي تجري مكالمتنا على الطريق الواضح والنهج الهادي فأجب بالصرحة. هل العلم أوصلكم إلى نفي الإله فصرتم تعلقون الكائنات بما ليس بإله أو كما قلت إن العلم لم يدلكم على وجود الإله فوقتم موقف الشك بحيث لا تدرون بم تعلقون الكائنات في مبدأها.

الدكتور: إذا أردت المجاهرة فإن العلم أوصلنا إلى نفي الإله الذي تقولونه فصرنا نعلل وجود الكائنات بحركة المادة الأزلية. الشيخ. إذن فحاصل كلامكم إن العلم أوصلكم بدلالته إلى اليقين بنفي الإله الذي نقول به وأوصلكم إلى أزلية المادة وحاصل كلامنا أن العلم أوصلنا إلى وجوب وجود الإله وأن المادة لا يمكن أن تكون إلا حادثة مخلوقة للإله.

إذن فعلى كل من الإلهي والمادي أن يقيم الحجة على دعاويه لكي يعرف ما يوصل إليه العلم الحقيقي وقبل الخوض في ذلك قل ما هي المادة الأزلية التي أوصلكم العلم إليها وأوقفكم في التعليل عليها. الدكتور: إن العلم السيار لم يقر قراره في حقيقة المادة حتى إلى الآن فإن المعروف عن ديمقراط أن المادة هي الجواهر الفردة وهي الأجزاء التي لا تتجزأ وليس لها إلا أشكال هندسية ولكن العلم رفض

القول بأن لها أشكالا هندسية لأنه يناقض كونها لا تتجزأ فإن الذي له شكل هندسي لا بد أن يتجزأ ولذا قال المحققون من أهل العصر إن الجواهر التي نقول بها هي أصغر من جواهر ديمقراط جدا.

الشيخ: لا أحب قطع كلامك من مجراه ولكن هنا كلمة ينبغي أن يؤسس تذكراها وهي أن العلم قد أقام براهينه التي يرجع تقريبيها إلى نحو التجربة الحسية للدلالة على أن الكائن المادي مهما بلغ من الصغر فإنه لا بد من أن يكون له طرفان على الأقل وبذلك يصحح العقل قسمته وتجزأته وإن تعسرت بالآلة الخارجية فيراه العقل مركبا في المقدار لا ينفك عن الشكل الهندسي ألا ترى أنك إذا جعلته فاصلا بين جسمين يمسانه فلا بد أن يختص كل منهما بمماسة جانب منه ببداهة الوجدان فيتبين أنه ينقسم بين جانبيه فيبطل كونه لا يتجزأ.

ولهذا ونحوه من البراهين الوجدانية قال بعض كتابكم المحامين عن وجود الجواهر الفردة (إن كون الجواهر الفردة لا تقبل القسمة هو الأمر الذي لا يعقل كلا وإنما لو انقسمت لزال خصائصها الجوهرية) وعدايها الدكتور إلى مجرى كلامك.

الدكتور: قد كان (لوسيبوس. وايبقورس، يقولان إن الجواهر الفردة تسبح بحركتها في الخلاء ولكن لما رأى بعض العلماء أن الفراغ مستحيل في الطبيعة فرضوا أن تلك الجواهر تسبح في مادة لطيفة أو غاز أخف من الهواء أو سائل تام الاتصال مالى للخلاء سموه الأثير تتحرك فيه الجواهر التي هي أجزاءه حركة الزوابع (١) في الهواء الهادي ومن أحوال اجتماعها بالحركة وأفاعيلها تظهر صور الكائنات وهذه الجواهر في الرأي القديم هي أزلية أبدية لم تحدث بعد العدم ولا تتلاشى ولا تنعدم وإنما يخفى بتفرقها هذا ولكن الرأي الجديد حسب اكتشافات العالم

(١) الزوبعة في اصطلاحهم أسرع الرياح جريا وقدروها بما يجري في الثانية ستين قدما وقد تجري في الأقاليم الاستوائية ٣٠٠ قدم. والنسيم ما يجري عشرة أقدام في الثانية.

الشهير الفرنسي (غوستاف لبون) الرأي المبني على المشاهدة والاختبار بحيث وافقه أكثر علماء أوروبا ولم يثبت أمام النقد العلمي إلا نظرياته وهو أن المادة قوة متكاثفة وأن المادة ليست أبدية بل تتلاشى بانحلالها إلى القوة كما أن الراديوم وما شاكله من المواد تتلاشى بإرسال ذرات صغيرة تفلت منها ذات سرعة عظيمة تكون قوة تكهرب الفضاء في التلغراف اللاسلكي. والقوة أيضا تنحل إلى الأثير كما أن المادة ليست أزلية بل إن الأثير تكاثف في الأزمان البعيدة بسبب لا نعلمه فصار مادة فإن لم تكن المادة والجواهر الفردة أزلية كما هو الرأي القديم فالأثير على الرأي الجديد هو الأزلي وإلى هذا الأزلي ينتهي تعليل وجود الكائن فلا حاجة إلى التعدي عن الطبيعة إلى فرض وجود الإله، وأيضا فإن العلم العصري لا يسمح لنا بأن نؤمن بوجود غير منظور. الشيخ. أيها الدكتور إنني أبدأ بالتعرض لكلمتك الأخيرة أعني قولك (فإن العلم العصري لا يسمح لنا بأن نؤمن بوجود غير منظور) ألا وإن هذه الكلمة مما يتبرأ منه العلم العصري وشرف الإنسانية. كيف يقول ذلك إنسان أوليس جميع العالم مدعنا بوجود القوة الكهربائية فهل هي منظورة. أو ليست مشاهدة أعمالها وآثارها في الجذب والدفع والتحرك كافية في الإذعان بوجودها مع أن العلم لم يأخذ قراره في ماهيتها ففي القديم إنها كائن مقابل للمادة كامن فيها يهيج بأحد الهيجات المقررة، وفي الجديد إنها مرتبطة في المبدأ بالمادة تتولد من انحلال المادة إليها بأحد الأسباب المقررة كما أنها تتكاثف وتكون مادة. هل ينكر أحد وجود النفس للحيوان فهل هي منظورة أو ليست أعمالها الحيوية الشعورية تجبر الإنسان على الإذعان بوجودها بعد أن يرى أن الجسم الذي تفارقه لا تأتي منه هذه الأعمال بل يكون كسائر الجمادات وإن خفي على العلم كنه النفس فتشبع فيها الأقوال. أفي القوة الكهربائية شك مع مشاهدة الأعمال التي يحصرها العلم

بتأثير القوة الغير المنظورة.
أفي النفس شك مع مشاهدة أعمال الحياة التي يحصرها العلم
بتأثير النفس. (أفي الله شك فاطر السماوات والأرض) مع مشاهدة
الأعمال الكبيرة في النظام الباهر والحكمة الفائقة في عالم الكون. هذه
الأعمال التي لا يمكن للعلم المستقيم إلا أن يحصر تعليل صدورها
بواجب الوجود العليم الحكيم وهو الله جلت عظمته.
أيها الدكتور، الجواهر الفردة وحركاتها اللولبية وزوابع الأثير والأثير
هل رآها أحد أو رأى واحدا منها بالنظارات المكبرة أو المقربة.
الدكتور: لا وكلا بل إنهم افترضوها افتراضا لتوجيه التعليل
والانتهاء به إلى أصل يوقف عليه.
الشيخ: لماذا التزموا بكون الجواهر المذكورة فردة لا تتجزأ
وتعرضوا للنقد العلمي المبين لاستحالة وجود الجزء الذي لا يتجزأ.
ولماذا التزموا بكون الأثير في منتهى البساطة.
الدكتور: لأنهم إذا قالوا بتركب الجواهر من الأجزاء لم يمكنهم
القول بأزليتها وكذا الأثير.
الشيخ: إذا كان التجزأ في المقدار تركيبيا ينافي الأزلية فالأثير
المفروض مهما فرضوا له من بساطة الذات فهو متجزئ في المقدار وله
مادة وصورة فهو مركب إذن فكيف قالوا بأزليته.
دع هذا إلى حين ولكن لماذا لم يقولوا بأن الجواهر والأثير متسلسلة
من موجودات لا نهاية لها فيذهبوا بسلسلة التعليل إلى غير نهاية ولا
يلتزمون بفرض موجود أزلي لا حجة لهم على أزليته. بل إنهم يثبتون له
أوصافا تنافي الأزلية.

بطلان فرض التسلسل والدور
الدكتور: هل يمكن أن يدخلوا في هذه السلسلة ما يفرضونه عدما
ولا شيء ولا موجود؟ وهل يمكن أن يدخلوا فيها ما لا يفرضونه موجودا.
الشيخ: لا. لا يمكن لأن ذلك يؤدي إلى التناقض الباطل بمبادئ
الفطرة وبداهة الوجدان وكيف ينظمون سلسلة الموجودات من عدم ولا
شيء بل لا بد أن يفرضوها مما يفرضونه شيئا وموجودا.
وإن محل الفرض هو تسلسل الموجودات الحادثة التي ليس فيها
موجود أزلي.

الدكتور: الفكرة الذي هو يفرض هذه السلسلة ويصور حلقاتها في
معامل تصوره لا بد من أن يحد أجزاءها المفروضة بحد الوجود والحدوث
لأن مبنى فرضه على ذلك ومختص به.

الشيخ: لا بد من ذلك فإن الفكر في فرض هذه السلسلة قد عزل
عنها المعدوم وأزلي الوجود فتمحضت أجزاؤها للموجودات الحادثة مهما
بلغت من التسلسل.

الدكتور: يا شيخ ويا أصحابنا إذن يفرض التسلسل إلى غير حد
ولا نهاية باطل في نفسه وبحسب فرضه فإن الفكر إذا حد أجزاء السلسلة
بالحدوث فلا بد من أن يلتفت إلى أن السلسلة مهما بلغت فهي محدودة
بالعدم اللازم لحدوث أجزائها وإن ضاعفها بكثرة ما يفرضه أول مرة فإنه
يلتفت إلى أن فرض التسلسل مستلزم لبطلانه.

وبيان آخرا الفكر إن أدخل الموجود الأزلي في هذه السلسلة فقد
انتهت إلى الأزلي وإن أدخل عدم فقد انقطعت بعدم وإن أخذ
الموجودات الحادثة فإنه إن عجز في ترتيب فرض السلسلة عن تكرار
فرض الموجود الحادث وتصوره فقد انقطعت بذلك العجز وإن لم يعجز
فإنه يلتفت إلى أنه مهما فرض من الموجودات الحادثة بسعة إحاطته فإن

فرضها بما هي حادثة يستلزم أن تكون سلسلتها محدودة بالعدم فيبطل
الفرض وإلا خرجت عن كونها موجودات حادثة فيبطل الفرض أيضا.
وأیضا ما هي الغاية للعلم بفرض التسلسل فإن كان تقحم هذا الفرض
الباطل لأجل أن يتحير العلم لعجزه عن إدراك السلسلة الغير المتناهية
ويقف موقف المبهوت فليقف إذن على حيرته من أول الأمر بدون حاجة
إلى كلفة هذا الفرض الموهوم وكيف يعجز العلم بسلسلة لو أمكنت لم
تكن إلا بإحاطة صناعته لها وقدرته على فرض ترتيبها بتصوير حلقاتها
بكنهها في معمل أعماله.

الشيخ: قد عدلنا عن مسألة التسلسل ولكن لماذا لا تقولن إن
الأثير أو الجواهر الفردة معلولة لما يصدر عنها وصادرة عنه.
الدكتور: العفو يا شيخ كيف يكون الشيء صادرا عما يصدر عنه.
فإننا لو فرضنا أن كل واحد من الشيئين علة فاعلية أو مادية لصاحبه ومعلولا
له كذلك للزمنا أن يكون كل واحد منهما موجودا حال عدمه ومعدوما حال
وجوده ولزمنا توقف وجود الشيء على وجوده وفي هذا من المحال
والامتناع والتناقض ما لا يخفى وهذا هو الدور الذي يعترف كل أحد من
الماديين والمتدينين وخصوص كتاب المسلمين بداهة بطلانه وما سار
العلم سيره إلا بالبناء على بداهة بطلان التسلسل والدور. فمن الغريب يا
شيخ تشبثك في المكالمة بهذه المستحيلات.

الشيخ: مهلا أيها الدكتور فإن جملة من العصرين المائلين إلى
المذهب المادي يكثر منهم الهياج إذا قابلتهم في الحجة ببطلان التسلسل
في الموجودات الحادثة وبطلان الدور وعلى الخصوص إذا ذكر اسم
الامكان والوجوب والامتناع والاستحالة فيهزأون بهذه الألفاظ من دون
دراية لهم في العلم فأردت أن أتحقق براءة فضيلتك من هذه الوحشية
العامة.

حدوث المادة مهما كانت
ثم أيها الدكتور أنتم تقولون إن الجواهر الفردة أو الأثير أزلية.
ونحن نقول: إن الجواهر الفردة لو صح فرضها وإن الأثير لو تحقق
وجوده لا بد من أن تكون حادثة محتاجة إلى علة ثم ننظر في تلك العلة.
فهل تكون الدعاوى من كل منا مقدسة في العلم.
أو لا بد لكل مدع من حجة تشهد في العلم على صحة دعواه.
الوجود بعد العدم
الدكتور: لا تكون دعوى مقدسة بلا حجة. ولكننا قلنا بوجود
الجواهر الفردة لأن فرضها ممكن.
وقلنا بأزليتها لأجل أن نقف عليها بالتعليل.
وأوجبنا أزليتها لأجل أنه يمتنع حدوث الموجود من العدم وكذا نقول
في أزلية الأثير على الرأي الجديد.
الشيخ: ما معنى قولك (يمتنع حدوث الموجود من العدم) فإنه
محتاج إلى الايضاح.
الدكتور: لا يمكن أن يكون الموجود ناشئاً من العدم لأن العدم لا
شئ ويستحيل وجود شئ من لا شئ.
الشيخ. لم توضح ما يحتاج إلى الايضاح فإن الابهام باق على
حاله فبين لنا ما معنى قولك (من العدم) و (من لا شئ).
الدكتور: الموجود والشئ يستحيل أن يكون مادته العدم واللا
شئ ويستحيل أن يكون فاعله العدم واللا شئ. وهذا بديهي
وجداني.

الشيخ: هذا مستحيل بالبداية كما ذكرت ومن ذا الذي يقول به.
كلا.

وإنما نقول: إن الجواهر الفردة والأثير لو كانا موجودين لكانا
حادثين موجودين بعد عدمهما بإبداع الإله الموجود الأزلي القادر فأين لزوم
المحال في حدوثهما.

الدكتور: إن حدوث الوجود بعد العدم مستحيل.

الشيخ: عجباً يا صاحب العلم التجريبي كيف تدعي هذه الدعوى
وأنت في كل ساعة ترى ألوفا من الموجودات قد حدثت بعد العدم.
ألا ترى الإنسان.

أوليس أقرب عهوده أنه نزل منياً في رحم أمه ثم صار علقة دم ثم
صار إنساناً ذا أعضاء وحواس وشعور وعلم أين كان المنى الذي نشأ منه
حينما كان جده وجدته منياً؟

أولا ترى سائر الحيوان أولاً ترى الشجر والنبات كيف يحدث بعد
عدمه.

أولا ترى سائر الموجودات في العالم مما تعرف وجوده بعد عدمه.
فكيف تقول: إن حدوث الوجود بعد العدم مستحيل.

الدكتور: لا أقدر أنا وكل ذي شعور على إنكار ما تذكره وكيف
يجحد ما هو مشاهد معلوم لكل أحد ومنه نعلم بالبداية أنه ليس بين
الوجود والحدوث مضادة ولكن خصوص المادة وهي الجواهر أو الأثير هذه
يستحيل وجودها بعد عدمها فإننا لم نر المادة حدثت ولم نر أحداً قدر على
إحداثها وخلقها ولم نرها انعدمت ولم نر أحداً قدر على إعدامها.

فإن العلم يبين أن كل ما نشاهده من اضمحلال المادة ليس
انعداماً بل إنما هو انعدام الصورة الخاصة وتفرق دقائق المادة الصغار

التي لا يدر كها الحس فهي باقية في الوجود غائبة عن الحس.
الشيخ: أسألك أيها الدكتور هل قدر أحد من الناس أن يأخذ ترابا
أو غيره من المواد فيخلقها إنسانا ذا نفس وشعور وعلم أو حيوانا ذا نفس
وحركة أو شجر ذا نمو وفاكهة ويبدعها بغير النواميس المعهودة.
أيها الدكتور فهل يحسن بالعلم أو بمن له شعور أن يقول: إن أفراد
لانسان والحيوان والشجر أزلية لأن العلم التجريبي يشهد بأنه لا يقدر
لانسان على إيجادها بإبداعه وخلقها لها.

الدكتور: مهلا أيها الشيخ لماذا غاب عن شعورك أن العلم
والحس والوجدان تشهد جميعا بأنه ليس كل ما هو حادث يقدر الانسان
على خلقه وإحداثه.

بل إن من الحوادث ما يقدر الانسان على خلقه وإيجاده
كالمصنوعات البشرية ومنها ما لا يقدر على إيجادها كالانسان والحيوان
والشجر.

ويشهد أيضا بأنه ليس كل ما لا يقدر الانسان على إيجادها فهو أزلي
غير حادث بل يجوز أن يكون له علة تبداعه وتحديثه هي غير قدرة الانسان
فإن الانسان والحيوان والشجر لا يقدر الانسان على خلقه وإيجاده وهو
حادث بالوجدان لأن له علة توجده وتحديثه بناموسها.

الشيخ: إن العلم مشتاق إلى هذا البيان الذي يزيل المعائر التي
جعلها الوقت في طريق الشعور.

أيها الدكتور إذن فلماذا لا تقولون إن المادة يجوز أن يكون لها علة
تحديثها وتوجدها وإن لم يقدر الانسان على إيجادها كما قلتم في إيجاد
الانسان والحيوان والشجر. وكيف قطعتم بإنها أزلية؟
الدكتور: قلنا إن المادة أزلية لأنها لا تنعدم ولا يقدر أحد على
إعدامها.

لأنه كل ما يرى من اضمحلال المادة فإنما هو تفرق أجزائها
وانحلالها إلى الجواهر الفردة التي لا تنعدم.
فالمادة باقية أبدية وكل ما هو أبدي فهو أزلي.
الشيخ: هل تمكن رؤية الجواهر الفردة بالنظارات المكبرة
والمقربة لكي يحس بها الانسان ويحكم ببقائها بعد الانحلال والتفرق.
الدكتور: لا. لا تمكن رؤيتها.
الشيخ: إذن فكيف حكتم ببقائها؟
فإن قلت: إنا نرى في انحلالها صعوبات كثيرة قلنا فليكن انعدامها
بعد صعوبات أكثر من ذلك.
وأيضاً إذا كان إعدامها صعباً على البشر فلماذا لا يمكن أن يكون
في العالم فاعل غير البشر يسهل عليه إعدام المادة.
وأيضاً إن الرأي الجديد المقبول بين علماء أوربا ينادي بأن المادة
تنعدم إلى القوة فمن أين لكم أن القوة لا تنعدم فهل تقولون إن القنينة
الليدنية إذا تفرغت تبقى كهربائيتها دقائق أو أجزاء لا تتجزأ من أين
ذلك؟
وهذه الحرارة الناشئة من زيادة القوة الكهربائية والنور الناشئ من
زيادة هذه الحرارة فهل تقولون عند اضمحلالهما إنهما يبقيان دقائق أو،
أجزاء لا تتجزأ من أين ذلك؟
هل الشرارة الكهربائية تبقى؟
ومن أين أن هذه القوة تتحول إلى الأثير الذي هو فرض مزعوم؟
من ذا الذي أحس بذلك؟
ومن أين أن الأثير لا ينعدم هل رأى ذلك أحد وما هي الحجة عليه
من الحسن أو من العلم التجريبي أو مما تسمونه العقل المجرد من

نظريات الفلاسفة؟؟

الدكتور: القدرة على الابداع مهما كانت إنما تتعلق بالممكن الخاص ومن الممتنع أن تتعلق بالمستحيل وإنما إذا قلنا بوجود الإله القادر لم يمكن أن نتصور أن قدرته تتعلق بالمحال ومن الممتنع أن يبرز الشئ من اللا شئ وأن يصدر الوجود عن اللا وجود ومن الممتنع أن يخلق الكون من العدم كما أن الإله لا يستطيع أن يجعل الدائرة أن تكون في وقت واحد مثلث الزوايا.

عبد الله الإباحي

الشيخ: المعنى الجوهرى من هذا الكلام قد تقدم وتقدم منا نقده وأظنك رأيت نحو هذا الكلام للمتسمى عبد الله الإباحي ص ٤٠٦ من كتاب المذهب الروحاني ولماذا نسيت أن الإلهيين يقولون إن الإله خلق المخلوق وجعله شيئاً بعد أن لم يكن شيئاً وموجوداً بعد أن لم يكن موجوداً ومن البديهي أن الانسان يكون إنساناً بعد أن لم يكن وكذا الحيوان والشجر والدائرة تكون بعد أن لم تكن والمثلث يكون بعد أن لم يكن ولا يقول ذو رشد بأن هذه برزت من اللا شئ وصدرت من اللا وجود ولا يقول إنها تكون وجوداً وعدمًا في وقت واحد كما مثل الإباحي بالدائرة والمثلث فإن قال الإباحي إن الموجود بما هو موجود والوجود بما هو وجود يستحيل أن يحدثا بعد العدم فإن العيان والوجدان يستهزان به بل يوبخه قوله في المقام (وفي كل دقيقة وإلى الأبد وجد ويوجد وسوف يوجد) وأظنه لا يعرف تناقضه إلا إذا ناجته روح (غاليلوس).

كلمات عصري وجوابها

رمزي: متنور عصري. العفو يا سيدي الدكتور إسمح لي بأن أقول كلمتي الذهبية وليسمح السادات بالالتفات إلى إحساسي في نظريتي ها هي كلمتي ونظريتي تهتف بها إحساساتي المتنورة وحرية وجداني. إن

التنور الجديد قد أسقط الامكان والوجوب والامتناع والاستحالة فإنها من الخرافات القديمة للفلاسفة والمتكلمين التي يتعكزون بها في حججهم. وها أنا أراك توافق الشيخ على الركون إليها. ألا وإني دخلت المكاتب والكليات وخرجت منها بالشهادات الكافية فلم أحتج في تنوري وعلمي العصري إلى إمكان أو وجوب أو استحالة ولم أعرقل فضيلتي وعلمي بهذه الأمور الفارغة.

يا ترى بعد اختتام الآراء واحتكاك الأفكار بدرس الحقائق من الأساتذة هل يتسنى لنا الارتكان إلى القديم الفارغ يا ترى. وها إن العلم في وسيطه ومحيطه قد نبغ توا نبوعا مدرسيا راقيا تجري كهربائيته في داخلية بيئته وخارجيتها. فإن كراسي المكاتب والارتقاء بالتحول إلى الكليات يضمنان حفظ الصفوف العالية من تنوعات العلم المركزي السائد والأدب المكرس لتوضيح المطالب الحيوية بحرارة فهل بعد ذلك تدار المسائل على محور أجنبي عن محيط العلم يا ترى. فمن الجهل يا سيدي أن نصغي إلى خرافات قديمة: إمكان، وجوب، امتناع.

إذا نظرنا إلى مقدار من الصوف فمن الضروري أنه يكون قطعة چوخ إذا جعله العمال في معمل الجوخ على الناموس الميكانيكي. ومن الضروري أنه ليس بچوخ ولا يصير چوخا وهو على الغنم. فالچوخ قبل العمل ميسور الحصول للعامل وعلى هذا الناموس تجري الأشياء. فما هي الحاجة للأمور الفارغة يا ترى. عمانوئيل: يا حضرة الدكتور إني أرى في مخايل وجهك أنك تريد أن تجيب حضرة (رمزي) ولكن اسمح لي بالمهلة فإن عندي مشكلات أريد أن يتفضل بحلها علميا فإنه قد أبهجني بتمجيده لدراسة العلوم ونبوغه بين تلاميذ الكليات الراقية وقد أكد بذلك رجائي لأن يحل بفضيلته مشكلاتي بمحضر القس والشيخ والدكتور والوالد.

رمزي: قل كلمتك يا عمانوئيل.
عمانوئيل: كلمتي تنحل إلى سؤالات.
الأول: قد وقعت التجربة الدائمة على أن المسافرين في البحر من
البصرة إلى مكة في أواخر الربيع وأوائل الصيف يصبحون ساعات كثيرة
من أتقن أصنافها مؤقتة على الساعات العربية. وكل يوم يسيرون فيه
تختلف ساعاتهم على ميزان واحد فينطبق عقرب الساعات على الثانية
عشرة في العربية بعد الغروب ويزداد هذا التأخر شيئاً فشيئاً على ميزان
واحد إلى عدن ثم يأخذ هذا التأخر بالنقص الموزون شيئاً فشيئاً إلى حين
وصولهم مكة ثم ينعكس الأمر عند رجوعهم. وبعكس هذا كله يكون إذا
ساروا في أواخر الخريف وأوائل الشتاء فما هو المنشأ (١) في ذلك.
السؤال الثاني: إن الليل والنهار متساويان في خط الاستواء كل
واحد منهما اثنتي عشرة ساعة. ولكما بعد البلد عن خط الاستواء أخذ
ليله ونهاره بالاختلاف بالزيادة والنقصان وتبلغ الزيادة بالتدرج في أطول
الأيام والليالي في عرض ٨ درجات و ٣٤ دقيقة نصف ساعة وفي
عرض ١٦ درجة و ٤٤ دقيقة نصف ساعة أخرى ثم تتدرج الزيادة إلى أن
تبلغ في عرض ٦٦ درجة و ٣٢ دقيقة اثنتي عشرة ساعة ثم إذا زاد ثمانية
وعشرين دقيقة أقل من نصف الدرجة تكون الزيادة خمسمائة وثمانية
وعشرين ساعة. فما هو الوجه العلمي (٢) في هذا التفاوت الفاحش في

(١) هو اختلاف طول النهار في الزمان الواحد بحسب اختلاف البلدان بالعرض كما
أشير إلى بعض أمثله في السؤال الثاني.
(٢) هو أن أفق هذا العرض يدخل في المنطقة الحارة الشمالية ٢٨ دقيقة عرضية
ويبعد عن مدار الجدي من الجهة الأخرى كذلك. فكل المدارات اليومية
الواقعة على دقائق الدخول تتحد بالأفق أو تقع فيه. فلا غروب. وكل
المدارات الواقعة على دقائق البعد. خارجة عنه. فلا أشراق. وبما أن سير
السيار في الانقلابين يشبه الموازي للمدارات المذكورة تكون متقاربة وربما
يتحد جملة منها تقريبا. ومن هذا المجموع ينتج ما ذكرناه. ومنه يعرف الحال
في النصف الجنوبي.

زيادة العرض اليسيرة.

السؤال الثالث: إن الهيئة الجديدة تذكر أن الأرض تدور حول الشمس ومن اللازم أن تكون في السنة في وقت عن يمين الشمس وفي وقت آخر عن يسارها وهذا يقتضي أن يكون المشرق في وقت من يسار الأرض وفي آخر من يمينها. فما هو الوجه في كون المشرق من يسار الأرض دائما مع دورانها على الشمس (١).

السؤال الرابع: إن جذر العدد هو ضلع الربع. وناموسه الحسابي. هو إن المربع يحصل من ضرب الجذر في نفسه ولا مداخلة فيه للتضعيف.

إذن فما هو الوجه في أنه يتفق في عملية استخراج جذر العدد أن تضاف الصورة المرقومة من الجذر وتنقل الضعف إلى اليمين وتضرب فيه الصورة الأخرى من الجذر من أين جاءت مداخلة التضعيف في التجذير (٢).

رمزي وعمانوثيل

رمزي: الذي درسته من العلوم في الكليات هو النتائج العلمية على مقدار الحاجة في عمليات الهندسة والحساب ومعرفة الجغرافية والهيئة بحيث أصلح لأن أكون مهندسا أو مدرسا في دار المعلمين لتدريس المعلمين في المكاتب الوطنية لكي أنفع وطني بأعمالي وأنفع

(١) إشراق الشمس يحصل من اتجاه الأفق نحو سمتها بحركة الأرض الوضعية وذلك الاتجاه والحركة هما إلى يسار الأرض دائما بالنسبة لمستقبل القطب الجنوبي.
(٢) جاءت من قوة الشكل السادس من تانية الأصول لاقليدس وإن كل عددين يكون الحاصل من مربعيهما مع ضعف مضروب أحدهما بالآخر مساويا لعدد ثالث فإنهما إذا جمعا كان مربع مجموعهما مساويا لذلك الثالث نحو ٣ و ٤ بالنسبة إلى ٤٩: ٥ و ٦ بالنسبة إلى ١٢١ وهكذا.

نفسى برواتب الوظائف أو أجره الأعمال وأما حل المشكلات العلمية فهو مخصوص بالأساتذة من العلماء المتبحرين في براهين العلوم. فهل أنت يا عمانوئيل تحل هذه المشكلات حلا علميا مقنعا لي. عمانوئيل: ما أدري ماذا أعرض لحضرتك يا صاحبي فإن الاقناع شرطه مني ومن غيري.

الدكتور: إن سلوك عمانوئيل في تقرير هذه المشكلات يشهد عندي بأنه قادر على حلها علميا قدرة كافية.

القس: يا اليعازر في أية كلية درس عمانوئيل هذه العلوم بهذا الدرر الراقى.

اليعازر: لم يدخل كلية من الكليات المعروفة ولا أدري أين درس هذه العلوم.

عمانوئيل: يا سيدي منذ نشأت كنت مولعا بالتفهم في درس العلوم وقد وجدت درس المكاتب يدور على النظر إلى رؤوس المسائل ولا أجد عند المعلمين بيانا بأكثر من التلقينات المسموعة.

فتهيا لي أن أدرس هذه العلوم عند واحد من طلبة مدرسة النجف أياما قليلة درسا علميا. وقد أفادني أن في النجف من الماهرين بهذه العلوم خلقا كثيرين ولكن لأجل أن الغاية المطلوبة لهم إنما هي علم الدين لم يظهر لدراستهم في هذه العلوم دوي ولا سمعة.

رمزي: ما علينا فإن اكتشافات الغربيين العجيبة تجعلنا على ثقة من صحة آرائهم ونظرياتهم الراقية وإن اللازم علينا في الأدب العصري أن نتناول من آراء الأساتذة ونعرض عن النقد والمحاماة عن الحقائق. وما هي الغاية من ذلك؟ هل ترى أنال ثروة ومالا أعيش به كما إذا كنت محاميا في الحقوق يا ترى.

ألا وإن حرية النفس في هذه الحياة تحبذ هذه الآراء الجديدة التي

تنال الانسانية بها محبوباتها في أميالها بلذة وراحة فكر من دون عراقيل وتهديدات.

هذه العراقيل والتهديدات التي تكدر صفاء المدنية السمحة. وليس من الهين أن نعتبر حياتنا هذه القصيرة مقيدة بقيود الشرايع ومهددة بأخطار الوعيد.

عمانوئيل: يا صاحبي (رمزي) لا يغيب عن درايتك أن الاكتشافات العجيبة والاختراعات العلمية النافعة في لوازم الحياة إنما كانت من إلهيين متدينين قد اتقنوا مبانيهم بالنظريات المحكمة الأساس فلماذا لم تتناول من آراء أولئك الأساتذة وكيف تختار رأيا من دون نقد للآراء الأخرى ولا محاماة عن الحقيقة.

لا أذكر ذوي الشعور الراقي ولكن أقول: إن القاصرين من متوحشي السودان وغيرهم إذا اختلفت عليهم الآراء لا يركنون إلى واحد منها إلا بتحسينه ونقد ما عداه بما عندهم من الشعور في التحسين والنقد.

نعم المعروف أن الماعز والضأن إذا طفرت إحداهن نهرا طفرت البواقي أيضا ولو على خطر أو عدم رجاء. لا أذكر لك في تنبيهك من غفلتك إلا وقوع الخطأ أو الاضطراب في آراء أساتذتك الذين حبذت مبدأهم وهملجت خلفهم.

فإن ديمقراط يقول: إن الجواهر الفردة التي يفترضها افتراضا لها أشكال هندسية. وبخبر يقول: إن جواهرنا الافتراضية أصغر بكثير من جواهر ديمقراط.

ومرجع هذا الكلام إلى أن بخبر وأصحابه يخطئون ديمقراط بفرض الأشكال الهندسية لأن ذلك يناقض كونها لا تتجزأ.

وديمقراط وليسوبوس وأصحابهم يقولون إن الجواهر الفردة تسبح بحركتها في الخلاء نظرا إلى إمكان الخلاء وعدم الحاجة إلى افتراض

شيء آخر.

وجاء طمس ن وأصحابه فخطأوا ديمقراط ولسوبوس بدعوى إمكان الخلاء وقالوا بامتناع الخلاء فافترضوا الأثير مالئاً للخلاء وجعلوا الجواهر الفردة أجزاء من الأثير تدور فيه كالزوابع. وجاء غوستاف لبون ومن اتبعوا آراءه فقالوا بحدوث الجواهر الفردة وإنها نشأت من تكاثف الأثير في قديم الزمان لسبب لا يعرف وإن المادة تنعدم وتكون قوة والقوة تنعدم وتكون أثيراً فخالف الذين قبله في قولهم إن المادة أزلية وأبدية.

وأما قولك إن حرية النفس تجذب إلى آخره. فإنه لا ينبغي لذي الرشد والشرف أن يغفل عن أن النفس لها شؤون. فإن النفس إن ساد عليها شرف الانسانية وراقي الشعور نهضت بكل همتها لحفظ حرقتها من استعباد الجهل الساقط السافل والأميال الشهوانية البهيمية وتجردت جهد وسعها لحماية شرفها ولحفظ مستقبلها من التهديد حتى تثق باطمئنانها من أخطار السقوط ورأت أن المدنية هو الناموس الذي ينتظم به اجتماع البشر في حفظ شرف الانسانية وحقوقها المعقولة. نعم إذا ساد على النفس شهوانيتها البهيمية جذت الآراء التي تسهل لها اللذات الوقتية وتلهيها بإغفالها عن كل أدب روعي وكل فضيلة تمتاز بها عن البهائم. تلك الآراء التي تمنى الأمان من أخطار التهديدات المهذبة المكملة. ولكن لتأسف كل الأسف أن حرقتها الشهوانية المطلقة على مبدأ الآراء المذكورة هي معرقة بالسلطة السياسية والقوانين البشرية مهما تساهلت. وإما دعارة الفوضوية ووحشيتها وهمجيتها فإن السياسات ضامنة لقطع الآمال منها فلا تمن نفسك بمدنية فوضوية موهومة تصفي لك اللذات على مبدأ الآراء المادية براحة وبدون عراقيل ولا خطر تهديد. فإنك لا بد لك من أن تخضع لنير السلطة وترزح شهوانيتك تحت قوانين الشرف والمدنية فانظر ما هو الأحسن هل هو التهذب بشرف

القوانين الإلهية المكملة لك روحيا وأديبا واجتماعيا أو هو التحرير بين الانهماك بالملاذ الشهوانية التي مناك بصفاتها (أبيقورس) وبين الحذر من رادع القوانين البشرية في النظام المدني.

الدكتور: يا للأسف إن كلام رمزي وأمثلة من العصرين وأحوالهم وأفعالهم لتمثل للناس أن اختيار المذهب المادي لم يكن على أساس علمي بل على أساس شهواني وفرار بالذات الأهوائية والأخلاق البهيمية من سيادة الشرايع الإلهية وحدودها كفرار عبد يغمض عينيه ويسد أذنيه ويقول لا أرى لي مولى ولا أسمع دعوته ولا تهديده فيها أنا ليس لي مولي. أنا حر في أميال نفسي بلذة وراحة فكر قد أمنت من العراقيل والتهديد لا أفتح عيني ولا أذني إن شرايع السيد تكدر لذاتي. عمانوئيل: لا يا أيها الدكتور إن هذا الذي تأسف منه ليس رأيا خصوصا لرمزي وأمثلة من العصرين بل هو كلمة زعيم المذهب المادي (أبيقورس) فإنه قال: (إن راحة البال التي تقوم بها سعادة الانسان هي في اضطراب دائم من جري الريب الواقع من نسبة الانسان إلى الخليقة وإلى الله) - وإنني لأحتشم محضر الدكتور من زيادة البيان.

الوجوب والامكان والامتناع
الدكتور: يا رمزي لنلتفت إلى كلمتك ونقدك موافقتي للشيخ في مبادئ الامكان والامتناع فهل تريد أن أهتك شرف وجداني وأتجاهل عن ناموس الفطرة الشعورية.

ألا ترى أن الطفل يلتقم صفحة من ثدي أمه ثم يعدل سريعا حتى إذا التقم حلمة الثدي استمر على الرضاع فيجري في ذلك على مبدأ الامتناع والامكان.

إذا أريت الطفل شيئا وأطعمته بأنه مرغوبه فإنه يتأمل فيه وينظر هل

يمكن أن يكون هو ذلك المرغوب لكي يرجو أخذه أو يجب أن يكون هو فيطلبه أو يمتنع أن يكون هو فيعرض عنه وهكذا حاله إذا أريته شيئاً وخوفته بأنه مما يؤذيه وعلى ذلك يجري شعور الحيوانات فيما ترغب فيه وتحذر منه.

وإنك أنت بذاتك اعتمدت في كلامك وبيانك على الامكان والوجوب والامتناع في مثالك بالصوف والچوخ فإن الوجوب هو معنى قولك (ومن الضروري يكون) والامكان هو معنى قولك (ميسور) وإن ديمقراط وأصحابه بنوا نظرياتهم على إمكان الخلاء و (طمسن) وأصحابه بنوا نظرياتهم في الأثير على امتناع الخلاء.

فهل لك يا رمزي عداوة شخصية مع الألفاظ والامكان والوجوب والامتناع. أفلا يلزم الانسان أن يكون حر العلم والكلام.

رمزي. إنك إذا سمعت كلام الإلهيين في الإلهيات تضجر كثيرا من قولهم ممكن. واجب. ممتنع. إمكان عام. إمكان خاص. وجوب

بالذات. وجوب بالعرض. امتناع بالذات. امتناع بالعرض. أما إني أضجر كثيرا إذ يكررون هذه الألفاظ. أما عندهم غير هذا يا ترى؟

عمانوئيل: إن لكل صناعة ولكل فن مواضع وأدوات خاصة ولا بد لمن يتكلم في مباحث تلك الصناعة وعملياتها أن يكثر من ذكر آلاتها حسب اقتضاء العمليات فالنجار إذا تكلم في نجارته يكثر في كلامه.

خشب. مسمار. فاس. منشار كبير. منشار متوسط. منشار صغير. منشار مظهر. مثقب كبير. مثقب متوسط. مثقب صغير. مثقب برغي.

مبرد. رندة كبيرة. رندة صغيرة.

وهكذا ولا تسمعه يقول في عملية النجارة سدا. لحمة. فحم.

منفاخ - والكيمياوي إذا تكلم في العمليات الكيماوية يكثر في كلامه

تكرار قوله أكسجين. هيدروجين. نتروجين. كلور. كربون. صوديوم

فصفور. غاز وهكذا ولا تسمعه يقول في عملياته بنك حوالة سعر القماش

شعب مملكة. وزارة. فاسمح لي إذا قلت إن البدوي الوحشي يضجر إذا حضر كلام النجار أو الكيمياوي في عملياته وسامحني إذا قلت إن الكيمياوي إذا أعرض عن فنه ومظهر علمه وكنز ثروته لمستقبله وحبذا أن يضيع حياته الثمينة في مراسح اللهو ورقص الانسان وإدمان المشروبات وأحاديث الغرام ولذات المغازلة فإنه يضجر ويتألم إذا سمع الكيمياويين يتكلمون في، مواضيع فنهم ويقول ها قد كدروا لذتي بهذه الألفاظ الفارغة التي تهدد الأناس واللذة بتذكار سجون المعامل.

يا رمزي إن المتكلمين في الإلهيات لا غرض لهم بخصوصيات الموجودات وإنما يجعلونها بأجمعها جملة واحدة في معمل النظر لكي يحللوها من طريق الامكان والوجوب والامتناع إلى المعلول وعلته الأزلية وكيفية التعليل وخواص العلة الأزلية والفاعل الأول.

فالإمكان والوجوب والامتناع هي الآلات الثمينة في هذا التحليل فلا تضجر إذا فحصوها من حيث الذاتية والعرضية ولا تضجر من تكرار ذكرها فإنها هي الآلات الدخيلة في هذه العملية: هل رأيت كتاب أنوار الهدى ص ٥ و ٦ و ٣٠ و ٣١ فإنه قد تعرض لمثل كلامك في الامكان والوجوب والامتناع.

رمزي: لا. لم أره ولكني لست بعاطل عن مطالعة الكتب فإنني كثيرا ما أطالع الجرائد الوطنية وكتب الروايات العصرية. عمانوئيل: أسفا وأنت شرقي تطلب مجد الشرق ولا تنظر إلى كتاب شرقي عالم قد أودع فيه نظريات راقية ونقودا ثمينة وهو مبذول مجانا. هلا تطالعه للنقد عليه أقل لو كنت تقدر.

الشيخ: أيها الدكتور ألا نعود إلى كلامنا على المادة والأثير لأكشف لك عن حدوثها وامتناع أزليتها بحيث لا يصح الوقوف عليها بالتعليل.

أعيان وتجار: العفو يا شيخ اسمح لنا بأن نقول كلمة ننفت بها عن

قلوب حرا تتقلب على جمر الأسف والغیظ. إنا أناس مسلمون في بلاد الاسلام ولنا الأمل الوطيد بأن علمائنا يحمون اعتقاداتنا وديانتنا من عوادي الشبهات بالبيان الواضح المقنع ويدافعون عن الاسلام من تصدى للنقد عليه وحاول بإلقاء الشبهات والتشكيكات أن يبدل آدابه وشرايعه وأخلاق المسلمين.

وها هو الخطر والتهديد للاسلام بالنقود والردود محقق بنا. وها هي البواخر تحمل إلى بلادنا من مصر وبيروت في كل شهر ألّوفا من الكتب التي وجهت نيرانها إلى الاسلام وكتابه ونبیه عداء. يكفيك منها كتاب هاشم العربي مع تذييلاته. وكتاب الهداية المطبوع بمعرفة المرسلين الأمريكان ولا حاجة لذكر الكتب الصغار ككتاب تعليم العلماء وكتاب حسن الايجاز وكتاب أبحاث المجتهدين وكتاب رحلة الغريب ابن العجيب وغيرها من الكتب ولا زال المبشرون اليسوعيون يلقون علينا الشبهات بحرية تامة ونشاط.

وهذا يهون بالنسبة إلى انتشار كتاب شبلي شميل في تأييد المذهب المادي والتنديد بالإلهيين ويعضده دخائل المقتطف ويؤيده غمزات بعض العصرين بتحسين مضامينه والرومانات بتلويحها وهناك أوبئة أخرى (قد تمشت في مفاصلها كتمشي النار في الفحم) يا شيخ إن أولادنا وشباننا كادت الشبهات أن تخرجهم من أيدينا فتراهم كالرمل السيلال يثورون مع كل زوبعة.

هب إنا نعلم أن هذه الشبهات مغالطات لا مساس لها بالحقيقة لكن ماذا نضع فيما لا نهتدي السبيل إلى دفعه وماذا نضع بما يعلق بأذهان البسطاء والأغرار وماذا نضع مع أولادنا وشباننا المغرورين فهل من الهين أن يقع هذا كله وأنتم ساكتون. أم تقولون لا ندري بذلك. لماذا لا تدرّون؟

هل يرجى جلاء هذا الغبار وتمحيص هذه التمويه وشفاء هذا الداء

ودفاع هذا التهاجم إلا ببركة علمكم. ولنا الثقة التامة بأن فيكم من يداوي هذا الداء في أسرع وقت بأوضح بيان يتهجج به الشعور ويثبت به اليقين بدلالة الحقيقة والعلم الراسخ فماذا يمنعكم والحرية مطلقة والارشاد واجب فإن مكالمتك ومكالمات عمانوئيل قد جلت عنا ظلمات كانت متراكمة علينا وأشعت في أفكارنا أنوارا تجلو لنا الحقائق رأى العين وتلاشى الشك باليقين. فهل من الحائز أن تحجبوا عنا هذه الإفادات وتتركونا نخبط في ليل الشكوك والشبهات فتذهب مساعي الرسول الكريم وأئمة المسلمين في الهدى ضياعا.

الشيخ: يا إخواننا أما أولادكم وشبابكم فإننا تتبعنا أحوالهم فلم نجد عندهم صورة شبهة تزلزلوا من أجلها ولا مغالطة علمية تليق أن تشوش أذهانهم ولم نجد عندهم إلا الانهماك بالأفكار الغربية الجديدة من دون شعور علمي ولا حذق صناعي وغاية ما عند أحدهم أن يسمى نفسه متنورا وغاية بضاعته في ذلك أنه يطالع بعض الجرائد والمجلات فيتلقى منها الفتاوى بالتسليم سطحيا وليس له من علمياتها وصناعاتها إلا قراءة الألفاظ.

ومهما تكلمه لا يكون جوابه في الاحتجاج لخيالاته إلا الاطراء برقي الغرب والتويخ لانحطاط الشرق من دون أن يكون له من رقي الغرب. نصيب. يسمى طفراته في اتباع الأهواء شجاعة أدبية. وتفحماته في الشهوانية وخلع القيود تنورا. وإننا نحيبه بكل ترحيب إذا طلب حل مشكلاته بالبيان العلمي والحجة الأدبية. وله ما يشاء من الملاينة.

يا إخواننا وأما عتابكم لنا على السكوت فنقول لكم قد كتب الشيخ رحمة الله الهندي سابقا كتاب (إظهار الحق) وأجاد فيه وأفاد وكتب في هذا العصر (كتاب الهدى). ورسالة التوحيد والتثليث. وكتاب نصائح الهدى. وكتاب أنوار الهدى) وها هي مطبوعة فهل تدرون بها. وهل رأيتموها. وهل يوجد عندكم منها عشر معشار ما عندكم من الكتب

الأجنبية العصرية في الروايات الرومانية.
وهناك كتاب آخر هو أعم نفعاً وأقرب لفهم العموم قد جاراهم في
محاوراتهم المألوفة لهم. وقد تعرض للأديان وكتبها. ونظريات الماديين
وكلماتهم وذكر معارف القرآن الكريم، وحججه، وأخلاقه، وآدابه،
وصلاح شرايعه، ومدنيته، وإصلاحه، ووجوه إعجازه،. بطرز يؤنس
المطالع وترتاح إليه النفس. ولكن مضت مدة وكتبه وأصحابه يطلبون من
يطبعه لنفسه طبعاً تجارياً ولو باشتراك جماعة ولو بعد النظر إليه
واستحسانه. ينادون بذلك في نصرة الدين فلا يجدون إلا نفوساً لاهية أو
مواعيد كاذبة (عاد الدين غريباً) - نعم يسر الله طبعه بهمة العلماء العاملين
واشتراكهم مع قليل من المتدينين الذين ربطتهم التقوى بأهل العلم
جزاهم الله خير الجزاء.

وفوق ذلك إنكم تعاتبوننا. سامحنا الله وإياكم ووفقنا لما يحب
ويرضى يا إخواننا وهذا الحال مما يزيد البصيرة في كرامة دين الإسلام
وعلو مقامه وبهجة إشراقه بنور الحق ووضوح الحجة. حيث أنه مع
تقاعد المسلمين عن نصره يتقدم في سيره هذا التقدم الباهر على رغم
المعائر الأهوائية.

عمانوييل: عد أيها الشيخ إلى كلامك مع الدكتور في حدوث
المادة وإنه لا يصح الوقوف على الجواهر الفردة لو أمكن فرضها ولم
يبرهن العلم على امتناعها.

وإنه لا يصح الوقوف بالتعليل أيضاً على الأثير لو ثبت فرضه.
الشيخ: نعم وليبيان ما نقوله في ذلك وجوه (الأول) إن الماديين
قد اضطروهم لتعليلهم للكائنات إلى أن يثبتوا للجواهر الفردة حركات
مختلفة الوضع والمحل، وقوى مختلفة.

وذلك يستلزم تركيبها من عنصر تشترك به في الجوهرية وعناصر تميز
كل واحد عن الآخر باقتضاء المسير في الطريق الخاص به والحركة

الخاصة به فيبطل كونها أجزاء لا تتجزأ من كل وجه بل تكون مركبة محتاجة إلى فاعل يؤلف أجزائها. وينتقل الكلام في التعليل إلى ذلك الفاعل فإن كان فاعلا بطبيعته لزم أن يكون مركبا أيضا يعلل جزء منه جزء الجواهر الذي تشترك به في الجوهرية ويعلل جز منه مميزات الجواهر بعضها عن بعض. فينتقل الكلام في تعليل هذا.

وهكذا وإن كان ذلك الفاعل فاعلا بإرادته انتقل الكلام في التعليل إليه وعلى كل حال لا يصح الوقوف على الجواهر الفردة في التعليل. الدكتور: كيف قالوا بأن للجواهر حركات مختلفة الوضع والمحل، وقوى مختلفة.

الشيخ. المعروف عن ديمقراط أن الجواهر الفردة لها بنظر بعضها إلى بعض حركة دائرة وحركة اصطدام مستقيمة. وعن (لوسيبوس) أنها تتحرك في الفراغ منذ الأزل والأشياء تظهر وتخفى بحسب ما تجتمع وتنفصل. وعن (إبيقورس) أن الجواهر متحركة دائما في الخلاء الذي لا نهاية له بانحراف بعضها على موازاة بعفر بحيث تصطدم وتحدث حركة لولبية مخروطية كحركة الزوابع فتؤدي إلى تراكيب عديدة وصور متنوعة ومتغيرة.

فيلزم من قول لوسيبوس وإبيقورس أن تكون حركة الجواهر مختلفة الوضع لأن الحركة لو كانت واحدة في الجهة والسرعة لما اصطدمت الجواهر أبدا.

هذا زيادة على كون الحركات مختلفة المحل والمسرى بحيث لا بد من تعليل اختلافها باختلاف مميزات الجواهر بعضها عن بعض. وقال (بخنر) أما حركة الجواهر عندنا فمن تضاد قوتي الجذب والدفع الذين نعتبرهما غريزتين في الجواهر.

فنقول: إن أراد أن في واحد منها قوة الجذب وفي الآخر قوة الدفع لزمه تركيب الجواهر المذكورة من جزء تشترك به الجواهر في الجوهرية

ومن أجزاء تختلف غرائزها باقتضاء قوة الجذب وباقتضاء قوة الدفع. وإن أراد أن الجوهر الواحد يشتمل على القوتين لزمه تركيب الجواهر وانقسامها وتجزئتها إلى أجزاء بعضها يكون لقوة الدفع وبعضها يكون قطبه لقر الجذب. هذا مع غض النظر عن مباحث تجري ههنا من حيث تكافؤ القوى واختلافها.

وحاصل الكلام أن الجواهر الفردة التي لا تتجزأ لو أمكن وجودها في نفسها (وهو مستحيل كما بينه العلم) لكانت باعتبار هذه الأقوال مركبة ذات أجزاء في الماهية والصورة تحتاج إلى علة تؤلف أجزائها. وتجريها في حركاتها المختلفة، وتعين لها أمكنتها المختلفة. فلينظر إذن في حال هذه العلة ولا يصح لنا أن نقف في التعليل على الجواهر وقوفا علميا.

وأما الأثير فإنه منقسم إلى أجزاء يختص كل منها بمكان غير ما يختص به الآخر فإن كان هذا الاختصاص من طبع الجزء لزم أن يكون كل جزء مركب في الماهية من شيء تشترك به جميع الأجزاء في الأثرية ومن شيء يقتضي بطبعه الحلول في المكان الخاص به فأجزاء الأثير إذن مركبة في الماهية تحتاج إلى علة لتأليف ماهيتها، زيادة على كونه في الصورة مركبا ذا أجزاء يحتاج إلى علة تؤلف أجزائه الصورية. وإن كان اختصاص كل جزء من الأثير ناشئا من فعل فاعل هو غير طبع الأجزاء لزم الانتقال بالتعليل إلى ذلك الفاعل والبحث عنه.

ثم إن المنقول من رأي (طمسن) هو إن الجواهر الفردة إنما هي حلقات زوبعية في الأثير أو الهيولي فالعالم مؤلف من سائل تام الاتصال مالى للخلاء ومن هذه الحلقات الزوبعية المنتشرة وهي ليست سوى أجزاء هذا السائل المتحركة فيه.

فنقول هذه الحلقات الزوبعية التي هي أجزاء السائل هل هي باقية على طبيعة السائل وصورته حينما هي جواهر فردة أم تغيرت صورتها؟

فإن تغيرت قلنا من هو وما هو الذي غيرها؟ لا يمكن أن يقال غيرها طبع الأثير أي أن طبيعة الأثير اقتضت أن تتغير بعض أجزائه إلى الجواهر الفردة وزابعها حينما لم يكن هناك كائن غير الأثير.

كيف يمكن أن يقال ذلك وهو يستلزم أن يتغير الأثير بطبعه إلى الجواهر الفردة دفعة واحدة ويكون زوبعة واحدة والذي يفرضونه خلافه.

وإن لم تتغير بل كانت على صورة الأثير وطبعه قلنا من هو وما هو الذي حركها؟ لا يمكن أن يقال حركها طبع الأثير.

كيف يمكن وهو يستلزم أن يتحرك الأثير بأجمعه دفعة واحدة ويكون زوبعة واحدة والذي يفرضونه خلافه.

أفلا يستلزم أيضا أن يكون العالم كله كتلة واحدة من نوع واحد لأن علة الحركة على الفرض واحدة بسيطة؟

وإن قالوا إن المغير والمحول هو غير الأثير قلنا فليجر النظر والتعليل في هذا المغير أو المحرك.

هذا والمعقول عن رأي الدكتور (غوستاف لبون) أن الأثير تكاثف في الأزمان البعيدة بسبب لا نعلمه فصار مادة صلبة) أفلا يلزم النظر إلى تعليل هذا السبب الذي تكاثف به الأثير.

هل تكاثف كل الأثير فلم يبق أثير. أم تكاثف بعضه؟

رمزي: يا شيخ ليس لك أن تحكم في مجلسك وأنت على كرسيك وتقول. (يلزم أن يكون هذا مركب الماهية ويلزم أن يكون هذا مركب الماهية) كما قلت في الجواهر والأثير. فإن الحكم بتركب الماهية إنما يقبل إذا شهدت به بوثقة الكيمياوي. ولا يقبل من الجالس على كرسي النظر المجرد.

الشيخ: إذا قيل لك عن قطعتين من الذهب بوزن واحد غطست إحداهما في إناء فيه ماء فصعد الماء إلى درجة معينة ثم أخرجت القطعة

وغطست الأخرى فيه فارتفع الماء إلى درجة أعلى من السابقة فماذا تقول في القطعة الثانية.

رمزي: أقول إنها مركبة من الذهب ومعدن آخر أخف منه في الوزن.

الشيخ: كيف شهدت باختلاف عناصر القطعة وحكمت بتركبها وأنت على كرسيك هذا. هل كرسيك بوتقة كيماوي.

رمزي: الشعور العلمي يقضي قضاءه ويحكم حكمه سواء كان على الكراسي أو في السيارات أو في المعامل.

الشيخ: إذن فاسمح لشعوري أن يبدي نظرياته على الكرسي كما سمحت لشعورك أن يقضي قضاءه ويحكم حكمه.

رمزي: إن الحركة هي التي كونت الجواهر الفردة في وسط الأثير وبها تتكون الصور والأشياء. وليس للحركة سبب سوى الحركة نفسها. فالحركة أزلية أبدية.

عمانوئيل: إن كانت الحركة كونت الجواهر الفردة من الأثير فقد تغير كيان الأثير فلا يكون أزليا واجب الوجود.

وإن قلت إن الحركة كونت الجواهر بعد عدمها لا عن مادة موجودة فقد أبطلت قول أصحابك الماديين بأنه لا يعقل حدوث شيء موجود بدون

مادة موجودة وهدمت أساس ماديتهم. وأيضا إن الحركة أكوان متتابعة، ينعدم كون ويحدث بعده كون آخر.

وهكذا. فما هو الأزلي الأبدي. هل هو الكون المنعدم أو هو الكون الحادث بعده الذي لا بد من أن ينعدم.

رمزي: الحركة لها وجود دائم. ألا ترى أنك إذا أدت شعلة النار إدارة سريعة قوية فإنها تحدث منها دائرة نارية متصلة.

عمانوئيل: يا رمزي يا صاحبي إن هذا الخيال الوهمي لا يموه إلا

بقاء المتحرك في الأمكنة التي تحول عنها.
وأما تبدل الأكوان وانعدام الحركة السابقة فهو مفروض كلامك في
الإدارة القوية السريعة. ومع ذلك فإنك كأنك لم تسمع اتفاق العلم
والوجدان من المتقدمين والمتأخرين على أن هذه الدائرة وهمية لا وجود
لها ولا حقيقة.

فالمقدمون عللوا خيال هذه الدائرة ووهمها بوجود الحس المشترك
الذي يحفظ خيال المحسوس بعد زواله عن آلة حسه.
والمتأخرون عللوه بأن الصورة التي ترسم على الطبقة الشبكية في
العين لا تزول عن الشبكة بزوال الشبح بل تبقى نحو عشر الثانية.
هذا كله هين ولكن يا رمزي لم تضطهد العلم وتشوهه جمال
التعليل.

هل سمعت قائلاً يقول ليس للجدار سبب إلا الجدار نفسه. ليس
للشئ سبب إلا الشئ نفسه. ليس للضحك سبب إلا الضحك نفسه؟؟
لا، لا تزعج العلم وأهله بمثل هذا الكلام. قل هذا الشئ
الحادث لا علة له واسترح من حيث تعب أهل العلم.
رمزي: هذا الكلام الذي قلته رأيت في الكتب المطبوعة
للماديين.

عمانوييل. أقول لمن كتب هذا الكلام كما قلت لك.
لا يوقف بالتعليل إلا على واجب الوجود
الدكتور: يا شيخ ما هو الوجه الثاني المانع من الوقوف بالتعليل
على الجواهر والأثير.
الشيخ. هل يمكن أن نقف بالتعليل موقفاً علمياً على شئ نفضه
محتاجاً في وجوده إلى علة.

وهل يمكن أن نحكم بأزلية هذا الشيء مع احتياجه إلى العلة أو العلل الكثيرة السابقة عليه.

هل عند تاريخ يدلنا على الأزلية. إذن ما هو مستندنا لدعوى الأزلية.

هل هذه الدعوى مقدسة لا مسؤولية عليها؟
الدكتور: وأنت يا شيخ إذا أردت أن تصف شيئاً بالأزلية وأنه العلة لجميع الكائنات فما هو استنادك في دعوى الأزلية.
الشيخ: إذا أوصلني السير العلمي والدرس في كيان الكائنات إلى ما هو واجب الوجود لذاته، وغير محتاج في وجوده وكيانه إلى غيره فحينئذ أعترف له بالأزلية بشرط أن لا يكون يتأثر بغيره أو يتغير عن كيانه الأزلي.

فإن الأزلية ملزومة للأبدية كما هو مسلم ومقرر في العلم في آرائه القديمة والحديثة.

الدكتور: لماذا لا تقول. إن الجواهر الفردة واجبة الوجود لذاتها وإن الأثير واجب الوجود لذاته.

الجواهر الفردة لا تكون واجبة الوجود

الشيخ: قد ذكرنا صحيفة ٢٨٧ واحداً من أدلة العلم على امتناع الجواهر الفردة أعني الأجزاء التي لا يمكن عقلاً تجزيها وهناك أيضاً أدلة متعددة ترجع كلها إلى الاعتبار بالمحسوسات. وهب أنا أغمضنا النظر عن ذلك فما هو الدليل الذي يضطرنا إلى الاعتراف بوجود الجواهر الفردة مع أنها تفرض على نحو لا يدركها الحس.

الدكتور: إن العلم بطبيعته وكيمياويته يضطرنا إلى الاعتراف بالجواهر الفردة. فإن الهيدروجين يتركب مع الأكسجين على نسبة اثنين

إلى واحد فيكونان ماء. والكلور يتركب مع الصوديوم بنسبة خمسة وثلاثين ونصف إلى ثلاثة وعشرين فيكونان ملح الطعام. وأيضا لو لم يكن الجسم مؤلفا من الجواهر الفردة لم يمكن تعليل الحالات الطبيعية كالمسامية والانضغاط والتمدد والمرونة ونحو ذلك فلا بد من التسليم بالجواهر الفردة.

الشيخ: عجا هل ترى الكيمياوي يعد الجواهر الفردة ويأخذ من حسابها التفصيلي وعددها هذه النسب التي تذكرها؟ فيعتمد على عدده للجواهر الفردة في تركيبه وتحليله؟ ويقول هذه خمسة وثلاثون ونصف جوهر فرد من الكلور وهذه اثنان وعشرون جوهر فردا من الصوديوم ويعدها واحدا بعد واحد؟ هل سمعت هذا من أحد من أهل الدنيا من الأولين والآخرين. ألا، وإن الكيمياوي إنما يأخذ النسبة بالوزن. وأما المزج والتركب فيكفي فيهما اختلاط أصغر الدقائق وتأثير بعضها ببعض تأثيرا كيمياويا.

وأما تعليل الحالات الطبيعية المذكورة كالمسامية والانضغاط ونحوها فيكفي فيه الانفصال بين أصغر دقائق الجسم فإن الدقيقة تكون أصغر من جزء من مائة جزء من عضو من أعضاء الحيوان الذي قيل أن ملايين منه تعيش في نقطة الماء الذي يحمله رأس إبرة. أو جزء من مائة جزء من طعمة غذاء يتناوله هذا الحيوان. فمن الغريب في العلم أن الرأي الجوهري يدعي أنه ينتهي انقسام الجسم إلى حد محدود وهو الجزء الذي لا يتجزأ مع اعترافهم بأن الجزء لم ينته بالتجربة.

رمزي: إن العلم قد لوصل إلى استعمال أوزان الجواهر الفردة من كثير من العناصر وقاس نسبة الجوهر الفرد من هذا العنصر مع وزن

الجوهر الفرد من العنصر الآخر. وأوضح أن الجوهر الفرد من الهيدروجين إذا كان وزنه واحدا فوزن الجوهر الفرد من الأوكسجين يكون ستة عشر، ومن النتروجين أربعة عشر، ومن الصوديوم ثلاثة وعشرين، ومن الكلور خمسة وثلاثين ونصفا، ومن الماء العذب الصافي المقطر اثنين وعشرين إلا عشرا ونصف العشر. وقد ذكروا القياس في جميع العناصر المشهورة بحسب جواهرها الفردة، ورسوموا لذلك جداول في الوزن الجوهري.

عمانوئيل: عجبنا هل قال واحد من أهل العلم الأولين والآخرين إنه وزن جوهر فردا منفردا من كل عنصر وقاس وزن كل جوهر فرد منفرد مع الآخر؟ ألم تقرأ في الطبيعيات الابتدائية أن الجوهر الفرد لا يكاد يدركه التصور وإنما هو افتراض محض فكيف تقول قولك هذا؟ أفلا تدري أنهم يأخذون العناصر متساوية الحجم فيجدونها مختلفة الوزن في التركيب الكيماوي فيزعمون أن جواهرها الفردة متساوية في العدد وبناء على هذا الزعم يجعلون التفاوت بأوزان الجواهر الفردة على نسبة يجعلون فيها الجوهر الفرد من الهيدروجين واحدا ويقيسون عليه وبهذا القياس يفسرون أحلام الجواهر الفردة ويجعلون لها أوزانا مختلفة. عمانوئيل: أيها الدكتور إذا مزجنا مثقالا من ملح الطعام مع مائة مثقال من الماء المصفى وصار الماء مالحا فهل شاعت دقائق الملح في جميع الماء وانقسمت دقائقه على حسب دقائق الماء.

الدكتور. نعم والتجربة خير شاهد.

عمانوئيل: هل يمكن للتصور أن يلحظ دقيقة من الملح تعادل عشرة آلاف جوهر فرد.

الدكتور: نعم لا بد من ذلك فإن صغر الجوهر الفرد إذا لم يمنع من تصوره وفرض وجوده وتأسيس المباني العلمية فكيف لا يمكن أن نتصور ما هو أكبر بخمسة آلاف مرة وكيف لا يمكن أن نحقق وجوده.

عمانوييل: إذا أخذنا دقيقة ملح تعادل عشرة آلاف جوهر فرد ومزجناها في ماء يعادل هذه الدقيقة مائة مرة فإلى كم دقيقة انقسمت هذه الدقيقة.

الدكتور: تنقسم إلى مائة دقيقة كل واحدة تعادل مائة جوهر فرد. عمانوييل. دقيقة الملح التي تعادل مائة جوهر فرد. قل لي كم جوهر فرد يكون كلورها وكم جوهر فرد يكون صوديومها بحساب أن النسبة في كلور الملح إلى صوديومه كنسبة خمسة وثلاثين ونصف إلى ثلاثة وعشرين أليس يجب في هذا لعملية التجريبية أن يكون في جواهر الكلور جزء وكسر من جواهره الفردة وفي جواهر الصوديوم جزء وكسر من جواهره الفردة.

يا حضرة الدكتور إن العلم التجريبي يبين لنا نسبة أجزاء المركبات بعضها من بعض والتجارب توضح لنا انقسام الدقائق فيما هو أكثر منها. والتصوير بهذا النحو من العمليات المختلفة الأشكال يتكفل لنا بقسمة كل ما تفرضونه جوهرًا فردًا إلى الكسور البسيطة والمركبة ويبطل فرض الجواهر الذي لا يتجزأ ويحكم بامتناع فرضه إذن فكيف تقول إن العلم الطبيعي يضطر إلى الاعتراف بالجواهر الفردة نعم يضطر إلى الاعتراف بقبول الدقائق للصغر العجيب والانقسام المدهش كما قيل في خيوط نسيج العنكبوت وانقسام قمحة من (الستركنين) في مقدار ألف وسبعمائة وخمسين ألف قمحة من الماء. ومقدار من الفضة في ملايين الملايين من أمثاله من الحامض النتريك.

الشيخ. لا شك أنا نرى في العالم في حيوانه ونباته وجماده أنواعا مختلفة وماهيات متباينة. مني، ودم، ولحم، وعظم، وعصب، وعروق، وأنسجة، وشعر، وصوف، وريش، إلى غير لك من أجزاء الحيوان المختلفة في الماهيات والألوان، والخواص وخشب، وأوراق، وأوراد وثمار مختلفة الألوان والخواص والماهيات وحجر مختلف بالألوان

والخواص، ورميل، وتراب مختلفة الألوان ومعادن متباينة الماهيات مختلفة الألوان والخواص فأسألك أيها الدكتور هنا لكشف الحقيقة
سؤالات ثلاثة.

السؤال الأول. هل الجواهر الفردة لكل من هذه الأنواع كانت من الأزل على صفات النوع وخواصه فجواهر المني مني من الأزل، وجواهر الدم دم، وجواهر اللحم لحم. وهكذا بحيث تكون صفات الجواهر وماهياتها وخواصها متباينة منذ الأزل؟

السؤال الثاني: هل هذه الجواهر منذ الأزل وإلى الأبد هي على ما هي واحدة وصفة واحدة وخاصية واحدة لم تختلف ولم تتغير لا في الأزل ولا في الأبد لا في ماهيتها ولا صورتها ولا خواصها.
السؤال الثالث: هل هذه الجواهر منذ الأزل على ماهية واحدة وصفات واحدة ولكنها بالحركة وأعمال الطبيعة تتغير ماهياتها وتتبادل صفاتها وخواصها مثلا تكون ترابا ثم تكون نباتا ثم يأكله الطير فتكون لحما ثم يأكله الانسان فتكون دما ثم تتحول مينا. وهكذا.

الدكتور: ماذا تفيدك هذه السؤالات. إن أصحابنا يقولون إن الجواهر لا يلحقها تغير طبيعي ولا كيميائي.
الشيخ: ماذا يقول أصحابك في الجوهر الفرد هل يقولون بأنه يتغير عن كيانه الأزلي وخصائصه الأزلية؟
الدكتور: يقولون إن لكل جوهر من الجواهر شكلا ولونا وثقلا ونحوها وإنها تبقى على حالها إلى الأبد فلا يلحقها تغير طبيعي ولا كيميائي.
الشيخ: هل يقول أصحابك إن في المادة والعناصر شيء موجود

غير الجواهر الفردة.
الدكتور: لا. ليس المادة الموجودة والعناصر إلا مجموع من
الجواهر الفردة.
الشيخ: أما قولك بأن لكل جوهر من الجواهر شكلاً فيلزمه
الاعتراف بأن الجواهر الفردة تتجزأ بالقسمة وهو واضح فيبطل قولكم إن
الجواهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ.
وأما قولكم إن لكم منها لونا وثقلا ونحوها وإنما تبقى على حالها
إلى الأبد فلا يلحقها تغير طبيعي ولا كيميائي فهو معارض بالعلم
والوجدان واعترافكم.
فإن من واضحات العلم والوجدان واعترافات أصحابك أن العناصر
عند تركيبها تفقد خواصها الأصلية وتكتسب خواص أخرى قد لا يكون
بينها وبين الخواص الأولى علاقة ولا نسبة.
فإن الكلور غاز سام والصوديوم جامد سريع الاشتعال بالماء الساخن
ومن تركيبهما يحصل ملح الطعام المصلح.
ومن تحليل هذا الملح المصلح يحصل الغاز السام والجامد الذي
يشتعل.
وإن روح الملح سام للغاية وكذا الصودا الكاوية ومن مزجهما
وإحمائهما يتولد الماء والملح وهو القوام في نفع الإنسان لحياته.
وأمثلة هذا كثيرة وكلها تشهد بتغير الجواهر عن كيانها الأول وكيانها
الثاني وهكذا مهما تواردت عليها الأعمال الكيميائية.
ودع ما نشاهده من التغير بأعمال الطبيعة مما لا يحصى بل عليه
جرى ناموس الكون في جميع الآتات.
انظر إلى مادة نشوء الإنسان وأمثاله من الحيوان في الرحم سواء قلنا
إن تلك المادة هي مني الذكر أو بيضة الأنثى. وتأمل واحسب كم يلحق

أجزاء تلك المادة من التغيرات إذ تصير دما ولحما وعضاما ومخا وعصبا وأوردة وعروقا وعضلات وجلدا وشعرا وصوفا وأظفارا بأوصاف مختلفة وخواص مختلفة وألوان متعددة.

وانظر إلى غذاء الانسان والحيوان إذ يتغير ويصير جزءا من الحيوان من أحد هذه الأجزاء المذكورة ثم يتحلل بالتبادل ويغير بتغيرات أخرى لا تحصى.

ثم أنظر إلى بيضة الطير حينما ليس فيها إلا مائع أبيض ومائع أصفر فإذا بها تنفلق عن طير له أعضاء مختلفة وأجزاء متنوعة وألوان كثيرة مختلفة تترقى إلى ألوان ريش الطواويس.

وانظر إلى هذه الحيوانات إذا ماتت كيف تتبدل أجزاؤها وتتبادل عليها التغيرات الكثيرة.

وانظر إلى النبات من أول نشئه إلى أحوال كبره وورقه وورده وثمرته وبذره وأحوال فنائه فكم يلحقه من التغيرات والألوان والطعوم والخصائص.

وانظر إلى أحوال الأرض وما يتولد فيها من المعادن والصخور والأحجار وما يلحقها من التغيرات التي لا تحصى.

وبالجملة كل ما تشاهد في عالم الماديات لا ينفك عن لحوق التغيرات له بكثرة مدهشة تفوق حد الاحصاء. تلك التغيرات المختلفة الجهات الكثيرة.

وعلى قولكم إن عالم الماديات عبارة عن مجاميع من الجواهر الفردة نقول لك إن هذه المجاميع لا زال التغير يتبادل عليها حالا بعد حال فإننا نشاهد أن التغير لا زال يسلبها كيانا ويكسوها غيرها مما لم يكن لها. وهكذا وهكذا.

ويقول أصحابك إن قوة الجذب وقوة الدفع غريزتان للجواهر الفردة

وإن قوة الجاذبية في جواهر الجامدات أشد منها في السائلات. وفي السائلات أشد منها في الغازات ويلزم أن تكون في الجامدات مختلفة أيضا بمراتب الشدة.

فإنه لا بد من أن تكون قوة الجاذبية في جواهر الحديد أشد من قوة الجاذبية في لب السيسبان مثلا وهكذا في نسبة بعض الجامدات إلى بعض. وكذا السائلات. ومن المعلوم أن الأعمال الطبيعية والكيميائية تحول الغازات إلى سائل وتحول السائل إلى جامد وتحول الجامد من نوع إلى نوع آخر أشد منه جاذبية. وتعمل العكس وتدور على المادة بأعمالها في التحويل طردا وعكسا حلا وتركيبا.

فهل يمكن أن يقال ببقاء الكيان الأول للجوهر الفرد مع ما يطرأ من التغيير على قوته الغريزية. هذا التغيير المدهش بتبادله. أيها الدكتور إن الموجود لا بد أن يكون له كيان خاص في وجوده فإذا كان واجب الوجود كان ذلك الكيان واجب الوجود فلا يمكن إذن أن يتغير ذلك الكيان الواجب.

إذن فالجوهر المتغير الكيان لا يكون واجب الوجود.

الدكتور: لماذا لا نقول إن الأثير الأزلي هو واجب الوجود.

الأثير لا يكون واجب الوجود

الشيخ: الأثير الافتراضي لا يكون واجب الوجود فإن (غوستاف لبون) يقول (إن الأثير تكاثف في القديم بسبب لا نعرفه فصار مادة) فالأثير تغير كيانه إلى المادة المتغيرة على الدوام فلا يكون واجب الوجود.

وأما على قول (طمسن) بأن الأثير سائل تام مائل للخلاء والجواهر الفردة أجزاء ذلك السائل تتحرك فيه بحركات زووعية فتحدث منها الصور

المتنوعة) فنقول إن تلك الجواهر الفردة المتحركة التي هي أجزاء الأثير إن كانت أثيرا متحركا فقد تغير كيان إلى التحرك الزوابعي وتغير أيضا بتغير تلك المتحركات إلى الصور المتنوعة بالتغير الذي لا يحصى على مدى الدهور.

وإن قلتم إن الأثير تغير كيانه فصار جواهر فردة متحركة تلحقها التغيرات التي لا تحصى. قلنا إن الذي يتغير كيانه لا يكون واجب الوجود.

يا من ينتهي بتعليل الكائنات إلى افتراض الأثير المزعوم. هل عندك طريق في تعليلك لا يستلزم تغير كيان الأثير؟ كلا. لا تجد طريقا. الموجود المادي لا يكون واجب الوجود. ولا يمكن أن يوقف عليه بالتعليل للموجودات موقفا علميا مهما تحركت زوابع الدعاوى وتسلسلت أنواع المصادر. الدكتور: هل بقي وجه يمنع من الوقوف بالتعليل على الجواهر الفردة أو الأثير.

موجد هذا الكون المنتظم عالم بغاياته الشيخ: إن الذين يفترضون الجواهر الفردة أو الأثير يفترضونها عديمة الشعور. والذي يصح الوقوف عليه بالتعليل إنما هو موجد العالم والكائنات.

وهذا الموجد الأزلي هو عالم يوجد على الحكمة والغايات المعلومة له. فإن كل ناظر إلى هذا الكون يراه في جميع عوالمه وأنواعه وأطواره وأدواره ومواليده منتظما على نظام فائق متناسب وحكمة باهرة وغايات كبيرة شريفة.

وكل جزء منه صغيرا كان أو كبيرا يراه مسخرا للغايات الجليلة معدا للفوائد الكبيرة مستعملا في الآثار الباهرة جاريا على حكمة فائقة. وكلما أمعن النظر وأحسن الجهد تجلت له حسب استعداده من الغايات والحكم ما لم يكن يخطر على باله. وها هو العلم قد صار يكشف كل يوم عن أسرار وغايات لم تكن في الخيال. أسرار وغايات يرتاح لها الشعور ويعظمها العلم ويستزيد منها العالم المجدد الحر.

ألا، وإن الوجدان يحكم بأوليات حكومته وبديهيات قضائه أن الموجد لأمثال هذه الأمور التي تهتفت بغاياتها لا بد من أن يكون عالما بتلك الغايات قد أوجد موجوداته لأعمال غاياتها ونتائج فوائدها التي نعرف منها ما لا يحصى ويكشف العلم في كل حين عما يبهر العقول بحكمته وعظيم فائده.

هذه القطع الصوانية التي وجدها الحفريون في جوف الأرض على هيئة فاس ومنشار وسنان.

كيف حكم الوجدان من أهل العلم وسائر الناس بأنها صنعها البشر قبل ألاف من السنين لأجل غاياتها وفوائدها التي كانوا يتصورونها. وهذه موجودات العالم بأجمعها في جميع أدوارها مرتبة على نظام الغايات مستعملة فيها على أتقن الحكمة كيف لا يحكم الوجدان بأنها صنع صانع أنشأها لأعمال غاياتها المعلومة لديه.

إذا وجدنا مدينة ذات شوارع متوازنة وبيوت شامخة وغرف منظمة وآلات للضياء وآلات لتعديل الحر والبرد وطلمبات تقسم الماء بميزان متقن إلى جميع مساكن البلدة ومعاملها وطلمبات تجذب فضلة الماء المتكدر بالعوارض وتأتي به إلى معمل يصفيه ويقذف بطلمبا إلى أخرى إلى طلмба التقسيم وهكذا وعلى هذا تدوم دورات الماء. ووجدنا فيها تلفونا وتلغرافا ممدودين بأتم الأدوات وأحسن الاتقان. ومقادير وافرة من

قضببان المغناطيس واللواب والبراغي ولفات من شريط النحاس وصفائح
من الحديد اللين. وبطاريات بكؤوسها ومزيحها ومفاتيح وقوابل ورواقم
وألواح معدنية وأعمدة وشريطا وغير ذلك من الأدوات اللازمة. ووجدنا
أيضا فونغرافا يعرفنا بكلامه كيف نتكلم بالهاتفون وكيف نتخابر بالتلغراف.
وكيف نركبهما من أجزائهما وكيف نصلح خللهما. ووجدنا كراسي
على كرسي منها عدة نسخ كتب فيها مسائل أصول الهندسة والحساب
بخط جيد وإتقان فائق في ترتيبها وأشكالها متساوية الوضع والكتابة
والأشكال.
وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها مسائل الهيئة الجديدة
وأشكالها.
وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها الفلسفة الطبيعية
بأبوابها وأشكالها.
وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها علم الكيمياء بأبوابه
ورسوم أعماله.
وعلى كرسي آخر عدة نسخ كذلك كتب فيها علم التشريح وفوائد
الأعضاء وأشكال التشريح لكل جزء من أجزاء الحيوان منفردا ومجتمعا
بماله من التشعب والانعطاف والاستقامة والاندغام والهيئة وشرح ذلك
بالإشارات والبيان الكافي فهل يسمح الوجدان أن تتوهم أو تحتل أن هذا
كله من فعل الطبيعة البكماء بالصدفة العمياء حصل من مجرد حركة
الجواهر الفردة وتجمعها على مرور الدهور.
فصار مدينة عامرة وبيوتا ومعامل وأمكنة وتلفونا وتلغرافا وفونغرافا
وأدواتها وكتبا متعددة على ما وصفناه.
حصل هذا كله من دون صنع صانع ولا توسط شعور ولا قصد
غاية.

هل يشك ذو شعور بأن هذه التي ذكرناها إنما هي صنع صانع.
صنعت لأجل غاياتها التي يقدرها صانعها بعلمه.
إذن فهذا العالم المنتظم وموجوداته التي تبهر العلم والعقل بغاياتها
الكبيرة المستعملة فيها كيف يقال إنه بتأثير الطبيعة البكماء والصدفة
العمياء بلا شعور بغاية ولا حكمة!!؟
لماذا لا يقال ذلك فيما ذكرناه من القطع الصوانية. والمدينة وما
فيها!؟

كرامة، لقرآن في حججه
يا أصحابنا وإن القرآن الكريم قد احتج على هذا الأمر بنحو العموم
ووبخ العقول على غفلتها وغلبة الأوهام على وجدانياتها حيث أنها تقضي
في الأمور الجزئية الطفيفة المستحقة في جنب نظام العالم وتحكم
بوجدانها بأن هذه الأمور الجزئية الحقيرة لا بد من أن يكون وجودها
بإيجاد عالم بغاياتها أو جدها لأجل الغايات.

ومع ذلك يخادعها الوهم في خلقة العالم الكبير وما فيه من الحكم
والغايات فقال في الآية الرابعة عشر من سورة الملك المكية: (ألا يعلم
من خلق) خالق هذا العالم بالنظام العجيب وموجده على الحكمة الباهرة
هل يمكن أن يكون لا يشعر ولا يعلم بغاية خلقه ولم يوجد لأجل غاياته
كلا.

ولم يكتف في حجته بهذا الاجمال وإن كان كافيا لذوي العقول
الحررة. بل استلفت شعور الانسان إلى وجود لا يغيب عنه ولا يخفى عليه
مهما خفيت الأشياء. ذاك هو خلق الانسان ونشؤه وتناسل نوعه وآلات
نفعه وخصائص صورته فقال في الآية الخامسة والسادسة والسابعة من

سورة الطارق المكية (فلينظر الانسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب) وقال في الآية السابعة والستين من سورة مريم المكية (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) متجليا بهذا الهيكل الانساني الجميل الراقي في حسن الخلقة العجيبة والشعور.

وقال في الآية السابعة والثلاثين من سورة القيامة المكية: (ألم يك نطفة من مني يمى) ويستهان به بالاستمناء باليد وجماع اليأس والزانية وفي اللواط (ثم كان علقة فخلق فسوى) (١) بعد أن كان علقة لا صورة لها إلا صورة الدم فخلق بأحسن حلقة وأتم صورة وأحسن نظام يحفظ شخصه ونظام يحفظ نوعه بأن خلق فيه جهاز التناسل وبقاء النوع بناموس الاجتماع والحنان والألفة التي تقوم بالتناسل والتوالد (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) (٢) وجعل لكل منها جهازا خاصا يؤدي وظيفته في التناسل وبقاء النوع وجعل فيهما ميلا يضطرهما إلى الاجتماع والاقتراب لكي يسلم جهاز التناسل من الذكر وديعته إلى جهاز التناسل من الأنثى.

ثم أحتج بالآلات الموجودة فيه التي يعرف عموم البشر عظيم نفعها في الحياة والمجتمع الانساني فقال في الآية الثامنة والتاسعة من سورة البلد المكية (ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفقتين) فإنه مهما جهل الانسان بمنافع أعضائه وأجزائه فإنه لا يجهل الأعجوبة من منافع العينين في الرؤية ومنافع اللسان والشفقتين في الكلام. وإن اختلف الناس في مبلغ إدراكهم لعجائب هذه الأعضاء وكان الطبيب والمشرح يدر كان ما لا يدركه سائر الناس من العجائب والأسرار الشريفة في خلقه هذه الأعضاء وعظيم نفعها في الحياة.

(١) سورة القيامة: الآية / ٣٨.

(٢) سورة القيامة: الآية / ٣٩.

ثم احتجج بمبدأ الانسان وخلقه وبعض أقسام شعوره الآلي الذي يدرك كل أحد من الناس أنه الشعور النافع في الحياة والمجتمع الانساني فقال في أول سورة الانسان المدنية (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) المراد أفراد الانسان. ومن ذا الذي يقول (لا) كل أحد يعلم أنه وبني نوعه قبل مدة لم يكن شيئاً مذكوراً ومعروفاً يعتنى به.

أين كان الانسان قبل أن يولد بألف سنة هل كان شيئاً مذكوراً؟ ألا أقدم عهده بمبدأ نشأته وامتياز وجوده نزول نطفته من أبيه في الرحم (إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) (١).

ثم استلقت النظر والتدبر إلى صورة الانسان ووجهه وإتقانها واختلاف تراكيبها التي يعسر إحصائها وحدها مع قلة أجزاء الوجه التي هي جبهة وحاجبان وعينان وخدان وأنف وفم فقال في سورة الانفطار المكية (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم)* الذي خلقك فسواك فعدلك* في أي صورة ما شاء ركبك) (٢) بحيث تمتاز من بني نوعك علي طبق الحكمة التي يقتضيها انتظام النوع الانساني فجعل كل واحد خلقاً سوياً معتدلاً التركيب بأجزاء متساوية النوع والعدد وقال في الآية السادسة والستين من سورة المؤمن المكية والآية الثالثة من سورة التغابن المكية (وصوركم فأحسن صوركم) بالانتظام والاتقان. فهذه الآيات وغيرها تقيم الحجة على الناس بحسب شعورهم المشترك وتؤكد الحجة على كل راق في الشعور بحسب رقيه في التنبه والعلم.

(١) سورة الانسان: الآية / ٢.

(٢) سورة الانفطار: الآية / ٦ - ٨.

وقال في الآية الثانية عشر إلى الخامسة عشر من سورة (المؤمنون) المكية (لقد خلقنا الانسان) في بدء خلق هذه النوع الكريم (من سلالة من طين * ثم جعلناه) في تناسله بعد ذلك (نطفة في قرار مكين) من جهاز التناسل في الذكر وجهاز التنازل في الأنثى وكل منهما كاف في أداء الوظيفة في استقراره وصيانتته في أحواله وأطوار تصويره إلى تمام نشؤه الرحمي (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما)

وقال في الآية والسابعة والثامنة والتاسعة من سورة السجدة المكية (الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة) مستخلصة يتكون منها الانسان (من ماء مهين) مستقدر لا يعتنى به (ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون).

وقال في الآية والثامنة والسبعين من سورة النحل المكية (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون).

هذا ما يعرفه كل أحد من نعمة الخلقة فكيف إذا: نظر العالم إلى أسرار خلقتة فينظر إلى عظامه التي هي دعائم لبدنه وحفاظ لأجزائه الشريفة ومعدلات لوضعه وأمخال لحركاته ومرتبات لأوضاعه وإلى ما جعل لها من الأغشية وأوضاع المفاصل والرباطات والغضاريف لحفظ كيانه وارتباطها وإمكان حركاتها.

وإلى الجلد الذي غلف بدنه وجمع أوصاله وحسن صورته ووقى به الأنسجة الغائرة وأودعه حاسة اللمس وجعل منه البشرة بمنزلة القشرة بوضع محكم وجعلها سميكة صلبة في الأجزاء المعرضة للضغط كراحة اليد وأخمص القدم.

ورخوة خلوية فيما بقي وجعل (الأدمة) باطن الجلد لدنة في الغاية

متينة في درجة عظيمة في الموافقة لوقاية الأجزاء الباطنة من الآفات وجعل في الجلد منافذ تقوم بحاجات الانسان في بقاء شخصه ونوعه وجعل في الجلد أيضا مساما كثيرة جدا لإفراز فضول بدنه وامتصاص مروحات أعضائه.

وجعل العين على كيفية وفي محل يمكنانها من مجال واسع للبصر ووضعها في التجويف الحجابي وقاية لها من الآفات واستخدام في وقايتها الحواجب والأجفان والأهداب زيادة على ما لهذه الأجزاء من الفوائد. وجعل العين من طبقات ثلاث ومياه ثلاثة.

فالطبقة الأولى: كرة مؤلفة من الصلبة والقرنية من أمامها.

والصلبة خمسة أسداس الكرة والقرنية سدسها وزاد في تحديب القرنية لتكون أقوى على جمع النور وثقب الصلبة من الخلف لمرور العصب البصري الذي يحمل حس البصر إلى الدماغ.

وعند هذا العصب تكون وريقة رقيقة غربالية تمر من ثقبها خيوط العصب ويمر من أكبر ثقبها الشريان المركزي ليزود العين بدورة الدم وهو مصحوب بوريد لرد الدم إلى القلب في دورة الدم ما عدا أوردة أخرى لإكمال هذه الوظيفة. وحول الوريقة الغربالية ثقب أصغر من الأولى تمر منها الأوعية والأعصاب الهدبية. والقرنية هي الجزء الشفاف ولها طبقات ووريقات وأعصاب وأجزاء يطول شرحها وتبهر العلم بفوائدها.

والطبقة الثانية: مؤلفة من المشيمية إلى الخلف وهي خمسة أسداس الكرة ومن القزحية من الأمام وهي فاضل عضلي حلقي وراء القرنية في مركزه فتحة كبيرة هي الحدقة سميت قزحية لاختلاف لونها بحسب الأشخاص كالسواد والزرقة والشهل وجعلت بهذه الألوان لتمتص انتشار النور وهي والشبكية يثقبهما العصب البصري والشرايين والأوردة. الثالثة: الشبكية وهي غشاء عصبي لطيف قيل ترسم على وجهه

صور الأجسام الخارجة.
وتأمل في الجهاز السمعي والأذن ظاهرها وباطنها وتركيبها وحكم
أجزائها الباهرة وأجزائها العجيبة المدهشة كالصماخ ووضعه والدهليز
والطبلة والعظيمات الثلاثة والحصى الأذنية وتيه الأذن والقنوات الهلالية
وانتفاخاتها وانعطافاتها، والقوقعة وعصي كورتى والأعصاب السمعية
والشريانات والأوردة.

وانظر في وضع الفم العجيب وأجزائه ووظائفها والأسنان المرتبة
على مقتضى الحاجة وأحكام وضع الطواحن الفوقانية بأن جعل لكل
واحدة منها ثلاث شعب. وانظر إلى غدد الفم وما ذكر لها من الفوائد
الباهرة.

وتأمل في الجهاز الهضمي وما فيه من عجائب الحكم وإتقان
التركيب وتغليف الأحشاء بالبريتون المستقسي لحفظها بسيره وانعطافاته
وانعكاساته.

وانظر إلى المعدة ووضعها وما اشتملت عليه من الطبقات والأجربة
والغدد والبواب والشرايين والأوردة والأعصاب لأداء الوظائف والغايات
التي أدرك العلم بعضها.

وتأمل في الايثيليوم الذي جعل لوقاية الأمعاء بمنزلة البشرة للجلد
وتأمل في الأمعاء وحكمة تركيبها، ووضعها، وانعطافاتها، وانقسامها،
وصماماتها، واختصاص كل منها بصمام يحبس ما فيه إلى أن يؤدي ذلك
المعاء وظيفته من الهضم وغيره ثم يقذفه إلى غيره. فمنها المعاء الدقيق
المتصل بالمعدة بواسطة البواب والمتلفف المشتمل على الطبقات
والشرايين والأوردة والأعصاب والغدد والأوعية الرواضع الليمفاوية
اللبنية. قيل وفيه يجتمع الكيموس وعصارة البنكرياس وإفراز الغدد
المعوية، وفيه ينفصل بعض المواد الغذائية وهي الكيلوس عن المواد
الثقلية. وينقسم إلى الاثني عشري وهو أوسع أقسام المعاء الدقيق

وأكثرها ثباتاً.
وبعده الصائم وهو أوسع من القسم الذي بعده وجدرانه أغلظ
ويسمى صائماً لأنه يوجد في الغالب خالياً.
وبعده اللفائفي وهو أضيّق وأرق، وينتهي بابتداء المعاء الغليظ
الممتاز بغلظه وتثبّت وضعه وشكله المعقد وحزمه المتكفلة بأعمال كبيرة
في الضغط والهضم والدفع. وينقسم الغليظ أيضاً إلى الأعور وهو جراب
في مبتداه. وتأمل في وضعه وسعته وصمامه الذي يمنع سيل ما فيه إلى
اللفائفي ولا يمنع السيل من غيره إليه.
وبعده القولون وهو محيط بالمعاء الدقيق وصاعد من ابتدائه عند
ملتقاه مع اللفائفي والأعور ثم يستعرض في البطن من اليمين إلى اليسار
ثم ينزل في المراق الأيسر ثم يتعرج وينتهي بالمستقيم الذي هو الجزء
الأخير منه. ومن فوائد الغليظ هضم الطعام الذي ضعف عن هضمه
المعاء الدقيق واستخلاص ما بقي من المواد الغذائية منه.
ومهما أدرك العلم وفحص التشريح من فوائد هذا الجهاز العجيب
وفوائده أجزاءه وأوضاعه وأعمالها العجيبة فإنه قليل من كثير وهو مع ذلك
يوقف الناظر موقف البصيرة ويعرفه آيات الحكمة الباهرة.
وتأمل في الدماغ والنخاع المسمى بالحبل الشوكي القائمين بأمر
كبيرة في الحياة والشعور كيف قد روعى ضعف جوهرهما عن الصدمات
فجعل في المحافظ المتينة والعظام القوية. وغشياً بالأم الحنونة
والعنكبوتية والأم الجافية.
ولأجل حاجتهما إلى القوى والتغذية وإفراز الفضول قد أخذنا
نصيبهما من الدورة الدموية ووصلت عامة أجزائهما بما يحتاجان إليه من
الشرابين والأوردة والأوعية والأعصاب.
وتأمل في القلب وانقسامه إلى بطين أيمن وبطين أيسر وأذين أيمن
وأذين أيسر.

وإلى دوامه على الانبساط والانقباض وانظر إلى هذه الأجزاء الأربعة للقلب مع صماماتها والشرايين والأوردة وصماماتها وكيف يتألف بواسطة ذاك الانبساط والانقباض طلبات سحب وطلبات ضغط تدبر الدورة الدموية فتكون الصمامات بمنزلة مصاريع الطلب على ناموس مصناريع طلبها السحب ومصاريع طلبها الضغط. وانظر إلى الشرايين وانبعث جذعها من البطن الأيسر للقلب وكيف تتشعب من جذعها إلى عامة أجزاء البدن كتشعب الشجرة إلى الأغصان الكثيرة وإن موقع السطحية منها وما هو قريب من السطحي يكون غالباً في المواطن المحمية كجهات الاثناء في الأطراف.

ومن فوائدها أنها تحمل الدم الصالح من البطن الأيسر للقلب بواسطة جذعها وضغط البطن بانقباضه وتوصله إلى عامة أجزاء البدن. وانظر إلى صمامات الشرايين وفوائدها التي منها موازنة الدم في قنوات الشرايين ليؤدي الوظائف المطلوبة. وانظر إلى تفمم الشرايين وهو أن جميع أغصانها وفروعها تتواصل فيما بينها بقنوات عرضية شريانية لكي تقوم هذه التفهيمات بالوظيفة الشريانية في إيصال الدورة الدموية وغيرها من مغذيات البدن وقواه عندما يعرض لبعض أجزاء الفروع الشريانية من السدد والاختناق وشد الجراحين أو قطعهم للشريان وغير ذلك. وانظر إلى سير الشرايين فإنه في الغالب مستقيم لكنه قد يتعرج لموافقة حركة الأجزاء كالشريان الوجهي والشفوييني وكذا الشرايين الرحمية رعاية لكبره عند الحمل

وانظر إلى جعل الشرايين كنزة البناء متينة مرنة لكي تقوى على الدم المدفوع بالضغط وتقبل الاتساع عند زيادته أو عروض مزيج له. وهي أيضاً قنوية الوضع لا تنخفض كالأوردة إذا حلت، ومتحركة دائماً نابضة بالانبساط والانقباض. والمظنون أن كل قناة بين صمامين تكون بانبساطها طلبها جذب من التي قبلها من جانب القلب وطلبها ضغط للقناة التي بعدها. وهذا يكشف عن أهمية محمولها في الحياة.

وربما يكون منه النسيم اللطيف المسمى أكسجين الهواء لكي تحظى جميع أجزاء البدن بزيارته وتحيته بترويحه. وربما تكون لحركتها فوائد آخر لم يصل إليها العلم بعد. كما أنه لا سبيل إلى حصر محمولها الحيوي بمادة أو مواد معينة. وقد رؤي للشرايين العظيمة أوعية دموية تسمى أوعية الأوعية وهي شرايين تبعد عن نقطة توزيعها. ولها أيضا أوردة تأخذ منها الدم الوريدي إلى الأوردة المرافقة لها، ولها أعصاب تؤدي الوظائف العصبية. وانظر إلى الأوردة التي هي أغلظ وأكثر عددا من الشرايين وهي أيضا متشعبة في عامة أجزاء البدن تشعب الأغصان من جذعها المتصل بالبطين الأيمن من القلب. ومن فوائدها أنها تجمع الدم من جميع أجزاء البدن وترجع به إلى البطين الأيمن من القلب. ومن سير الدم في الشرايين ورجوعه في الأوردة تكون الدورة العامة للدم. وانظر إلى الأوعية الليمفاوية، وانتشارها في الجسد، وصماماتها المانعة لسائلها عن التقهقر، أو لأن تجعل السائل متوازنا في أوعيته لكي تتوازن أعماله، أو لأن تقوم بعمل آخر. وانظر إلى تفهماتها ووضعها لكي تقوم بغاية التفهم الجارية في الشرايين والأوردة. وانظر أيضا فيما ذكر لها من الفوائد من امتصاصها الكيلوس والمواد السائلة (ليمفا) وحمل ذلك السائل الصالح أخيرا إلى الدورة الدموية. وإلى الآن لم يشخص العلم حقيقة هذ السائل لكي يعرف مقدار أثره في الحياة وحقيقته... وإن لفظ ليمفا بمعنى سائل. وتأمل في وظيفة الرئة ودوام حركتها بالانبساط والانقباض وفي أوردتها وشرايينها. فإن الشريان الرئوي يخرج من البطين الأيمن للقلب فيحمل منه الدم الأسود الوريدي الراجع إليه من أجزاء البدن في الدورة الدموية العامة وينقله بفروعه وأغصانه إلى الرئة فتصفيه وتطهره من

العناصر الضارة وتمده بما يلزم لقيام الحياة وتحوله إلى دم أحمر شرياني فيأخذه الوريد الرئوي ويوصله دما صالحا إلى البطن الأيسر مبدأ الدورة العامة وهكذا في كل دورة.

وقيل في تصفية الدم في الرئة وإمداده بالمواد الحيوية إن الدم يأخذ من التنفس الداخل أكسجين الهواء ويفرز المواد الضارة أو الكربون فتخرج بالتنفس الخارج.

وانظر إلى الكبد وأجزائها ورباطاتها وأعصابها وشريانها وفروعه والوريد البابي والوريد الكبدي وفروعهما والقناة الكبدية والأوعية الليمفاوية وفي وظيفة الكبد في إفراز الصفراء من الدم وإرسالها إلى الحوصلة المرارية.

وإلى ما قيل من أن الشريان الكبدي يحفل الدم الشرياني للكبد لأجل تغذيته.

والوريد البابي يحمل الدم الممزوج بالصفراء لكي تصفيه الكبد. والوريد الكبدي يحمل الدم الصافي من الصفراء إلى القلب فيكون الكبد قائما بوظيفة دورة دموية صغرى لأجل تصفية الدم كما في الدورة الرئوية.

أو كما قيل في الطب القديم من أن الكبد محل هضم الكيلوس وتمييز الاخلاط منه بعضها عن بعض وتقسيمها على مجاريها ومعادنها حسب وظائفها في قوام الحياة.

وما عسى أن يقال في الأوعية البولية، وآلات التناسل، والأعصاب، والأغشية، والغدد، والعضلات، والرباطات، والغضاريف، ومواضع ملتقى العظام، وأوضاعها الموزونة بالحكمة، وأعمالها المدهشة وغاياتها العجيبة.

ولا يخفى أن الذي أدركه علماء الطب والتشريح من فوائد أجزاء الحيوان وغاياتها في الحياة من كثرة سعيهم إنما هو قليل من كثير خفي

عليهم. ولا زال العلم يجد في استكشاف الحقائق المجهولة فيتجلى له منها تدريجا ما يتهجج به ارتياحا.
ثم أنظر إلى أجزاء الحيوان على اختلافه وامتيازاتها التي يقتضيها وضع الحيوان وحاجاته وما يراد منه.
فهل يكون هذا كله بلا موجد يعلم بالغايات؟ الغايات الكبيرة الشريفة التي أدرك العلم بعضها وذكرنا يسيرا من ذلك.
هل يسمح الوجدان بأن يقال إن هذا كله من الصدفة العمياء والطبيعة البكماء؟ وكيف يغيب عن الشعور ما ذكر في صحيفة ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ وقد بنى القرآن الكريم احتجاجه في الإلهية على هذه المقدمة الفطرية البديهية التي عليها عمل البشر في جميع أدوارهم وأحوالهم فوبخ ذوي الأغراض على تغافلهم عن هذا الأمر الذي جعلناه في صحيفة ٥٩ المقدمة الأولى فقال من جملة ذلك في سورة الملك المكية (ألا يعلم من خلق) كما ذكرناه صحيفة ٣٣١.
أما أنه. لو سمح القصور بهذا القول للمغفل الغبي الجاهل فإن العلم والشعور الحر لا يسمحان به للعالم والعارف والطبيب والمشرح الملتفتين إلى عجائب أجزاء الحيوان وغاياتها الشريفة المدهشة بعناية حكمتها.
رمزي: إن جملة من أجزاء الحيوان لا فائدة فيها ولا غاية. وذلك كالغدة الدرقية، والزوائد الدودية والغدد الوحيدة في سطح الأمعاء بل إن الغدة الدرقية والزوائد الدودية معرض للأمراض المهلكة. عمانوئيل: يا صاحبنا يا رمزي. هذا الدكتور المتقدم في الطب والتشريح لماذا لم يقل مثل ما تقول؟
ولماذا لم يجعل مثل قولك اعتراضا علينا. أو تشكيكا في مقصدنا فإنه لا بد من أن يكون سمع ما تكلمت أنت به أو رآه مكتوبا كما رأيته أنت.

ألا تعرف أن شرف علمه يمنعه من أن يعترض بمثل اعتراضك
من أين علمت أن الغدد الوحيدة لا فائدة لها ولا غاية في وجودها؟ هل
أعلمتك بذلك الطبيعة البكماء؟

هل أنت حينما كنت جنينا في بطن أمك رصدت الغدد الوحيدة في
أمعائها وراقبت أحوالها بمهارة العلم وجودة الفحص وعلو الفطنة فكشف
لك العلم الصحيح والتجربة عن أن الغدد الوحيدة لا غاية لوجودها ولا
فائدة حتى في حفظ جوهر المعاء أو مساعدته في أعماله؟ وهل جرى لك
مثل ذلك مع الغدة الدرقيّة؟

لا، يا صاحبي لا ينبغي أن نجعل جهلنا بالفائدة والغاية دليلا علميا
على عدمها.

هب أنا حالا لا نخجل من أجل ذلك من العلم. ولكننا نندم كثيرا
إذا قيل لنا إن الدكتور فلان انتزع الغدة الدرقيّة من جملة من المصابين
بمرض الجوائز فوقعوا بالبلاهة التامة.

حيث يكشف لنا العلم عن أن الغدة الدرقيّة لها المداخلّة الكبيرة
في حفظ الشعر واستقامته. بل إن كبرها في الأنثى عند الحمل يكشف
عن أن لها مداخلّة كبيرة في امتصاص المواد العفنة ومنعها عن التصاعد
إلى الدماغ.

وأما ظهور الأمراض الشديدة فيها فإنه يكشف عن أن لها عملا كبيرا
في حبس المواد الضارة عن الوصول إلى الأعضاء الشريفة.
ولكن تلك المواد قد تزيد على ما للغدة من القوة النوعية فيظهر
المرض كما هو السنة في جميع الأعضاء فانظر إلى القولون والرئة.
وبمثل هذا يجري الكلام في الزوائد الدورية.

ثم يا رمزي إن الذي ذكرناه من الأجزاء وعجائب غاياتها ليكفي
الوجدان الحر في حكمه بأن موجدها أو جدها لأجل تلك الغايات التي
كان يعلمها. وهب أنه توجد أجزاء لا غاية لها كما تقوله أنت فغاية ما

يدل ذلك على أن الموجد قد يخالف الحكمة ويوجد أشياء لا فائدة لها. إذا رضي لنا شرف العلم والأدب أن نقول إن هذا العضو لا فائدة فيه. وهيئات.

رمزي: إن هذه الغايات المذكورة في كلام الشيخ هي التي أوجدت الموجودات التي تحصل الغايات منها. فإن الرؤية هي التي أوجدت العين التي تحصل منها على ناموسها وأجزائها، والسمع هو الذي أوجد الأذن التي يحصل منها، والشعور هو الذي أوجد الدماغ الذي يحصل منه.

وكل غاية هي التي أوجدت العضو التي تحصل منه. وحياة الشخص هي التي أوجدت الأجزاء الحيوية لذلك الشخص. إذن فما هي الحاجة إلى موجد آخر عالم بالغايات المذكورة يوجد الموجودات لأجل غاياتها.

عمانوئيل: قد سمعنا هذا الكلام عن بعض الصحف العصرية كما رأيت أنت.

ولكن ليس لنا في حقوق الشعور والخطاب أن نسأل عن المعنى الذي فهمته أنت من هذا الكلام واعتمدت عليه في كلامك، فهل تقول إن هذه الغايات صار علم الموجد بها داعيا له لإيجاد الموجودات التي تحصل منها الغاية.

كما أن تصور النجار للجلوس على الكرسي يكون داعيا له لأن يصنع الكرسي.

وبهذا الاعتبار نتسامح ونقول إن الجلوس التصوري أوجد الكرسي.

بمعنى أنه صار داعيا للنجار الذي هو الموجد الحقيقي للكرسي. أو تقول إن هذه الغايات هي الموجد الحقيقي والفاعل للإيجاد فلا

موجد سواها ولا علة فاعلية غيرها.
يا صاحبنا يا رمزي إن القول الأول هو عين قول الإلهيين بأن
الموجد للموجودات أو جدها لداعي علمه بغاياتها وحكمتها.
وأما القول الثاني فهو قول غير معقول. يا صاحبنا إن الغايات التي
تذكرها هي أعدام محضة قبل وجود الأجزاء التي تحصل عنها.
فهل يقول ذو شعور بأن العدم والمعدوم يكون موجدًا وعلة فاعلة
للإيجاد. هل يقول أحد إن المعدوم يكون موجدًا حقيقيا للموجود؟؟
أنت تقول إن الغايات تحصل بالأجزاء فكيف تكون موجدًا وعلة
فاعلية للأجزاء؟

أعيد سؤالي عليك وأقول لماذا لم يتكلم الدكتور بمثل كلامك مع
أنه هو المترشح لمكالمة الشيخ. أتدري لماذا؟ لأن له علم وشعور يميز
بهما ما يكتب في الصحف.

ومن حجج القرآن الكريم
الشيخ: وقال الله تعالى تأكيدًا للحجة وقطعا للمعاذير في الآية
الثانية من سورة الجاثية المكية: إن في السماوات والأرض آيات
للمؤمنين) بالحقايق المتجلية، لا يغالط إيمانهم بها غمزات العصبية
وفلتات التقليد الأعمى ومكابرة الوجدان الحر بعبودية الهوى وشكوك
الوساس. فترى هؤلاء يهتدون بنور عقولهم ووجدانهم الحر في العرفان.
كما يهتدون بذلك في سائر الأمور (وفي خلقكم) أيها الناس وما
فيه من عجائب الغايات وإتقان للصنع وبدائع الحكمة الباهرة كما ذكرنا
وذكر العلم منه قليلا من كثير (وما ييث من دابة آيات لقوم يوقنون) على
نهج مستقيم في الاهتداء بأسباب اليقين ودلائل العلم.
فلا تراهم يصرفهم الهوى عن اليقين مع وضوح الحجة أو يلوي

أفكارهم إلى زخارف الأوهام. وفي الآية السادسة من سورة يونس المكية (إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض آيات لقوم يتقون) وبالجمود الأعمى، ونفائص الجهل المركب، ورذيلة اتباع الأهواء، ومكابرة الحجة الواضحة والوجدان الحر، ومضار الانحراف عن النهج الواضح، وهلكة الوقوع في تيه الضلال. لا حاجة لنا في أن نبهض الهيئة الجديدة بأن نقول إن السماوات أفلاك تامة منضدة في غاية اللطافة والشفافية بحيث لا تحجب عن النظر شيئاً. ولا حاجة لنا أيضاً في الطالبة بالحجة الكافية على أنه ليس هناك أفلاك موجودة وسماوات منضدة وأنه ليس الموجود إلا أجرام الكواكب تدور سياراتها في الفضاء ويستقر مركز ثوابتها في الفضاء - ولا تحسب أنا نعتمد على الهيئة القديمة وما خيلته من دعاوى الأبعاد والأجرام والأفلاك الجزئية.

فإن حجة القرآن الكريم لا مساس لها بشئ من ذلك. بل يمكن أن نجاري الهيئة الجديدة ونقول إن المراد من السماوات مراتب العلو المحددة بمدارات السيارات.

وكيف كانت الحقيقة فانظر إلى ما في السماوات من الكواكب العجيبة من ثابتة في مركزها وسائرة في مدارها على نظمات مستمرة. هذه الثوابت لماذا لم تعمل بها جاذبية وبماذا لزم كل كوكب مركزه. ولنتكلم على وفق الهيئة الجديدة، فانظر إلى حركة أرضنا وسيرها على منطقة البروج بمدار بيضي، أبعد عن الشمس يكون عند السرطان في نصف الكرة الأرضية الشمالي، وأقربها عند الجدي في النصف الجنوبي. وإن أردت أن تلتفت إلى ما في هذا الوضع من الغاية العجيبة والحكمة الباهرة في التعديل وموازنة الحر والبرد والقرب والبعد من الشمس بحسب اليابسة المسكونة فاعرف أن أقصى وصول اليابسة من أرضنا في جهة الجنوب إنما هو رأس القرن من أمريكا الجنوبية وهو لا يزيد على الدرجة الخامسة والخمسين من العرض الجنوبي مع قلة

المسافة فيما بين المشرق والمغرب وقلة الساكنين. واعرف أن اليابسة المسكونة من آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية تمتد إلى نحو الدرجة الثمانين من العرض الشمالي مع كثرة المسافة جدا في ما بين المشرق والمغرب وكثرة الساكنين فالنصف الشمالي إن قرب من الشمس من حيث البروج بعد عنها من حيث المدار البيضي، وإن بعد عنها من حيث البروج قرب منها من حيث المدار البيضي. كل ذلك مراعاة لأهمية العمران في القسم الشمالي الواسع بحسن التعديل والموازنة.

ثم انظر إلى دور الأرض على الشمس على منطقة البروج وحركتها اليومية على نفسها فكم ترى في ذلك من الغايات الكبيرة في موازنة الآثار، وتعديل العمران، وتوزيع المنافع، وأخذ كل جزء من الأرض حظه من النور بناموس مقدر على الدوام، وتعديل الحرارة والبرودة، وتنفس الاستراحة، واستنشاق النسيم الخالص، وموازنة الزمان، وحفظ التاريخ.

وانظر إلى قمر أرضنا كيف تبع الأرض في دورها على الشمس واستقل بمداره على الأرض مائلا متحايدا عن منطقة البروج بهيئة مقدره وحركة متوازنة. وانظر إلى ما في ذلك من الغايات الكبيرة التي منها جعل تاريخ شهري يعرفه العموم، وتوقيت تجريبي للناس في ليالي الشهر بحسب الطلوع والغروب والعلو والانخفاض ودليل هاد في غمرات البحار وفلوات البوادي. ومنها موازنة تأثيراته ونوره الضعيف في المسكون. ومنها تقليل اتفاق الخسوف والكسوف. ولولا ذلك الميل لوقع الخسوف والكسوف في كل شهر، ولينظر الفلكيون المكتشفون لأقمار المريخ، والمشتري، وزحل ويعتبروا بالحكمة التي راعت أبعادها عن الشمس فمنحتها بالأقمار التي تعكس إليها نور الشمس فتزين لياليها بهجة النور وبهائه وكبير نفعه وعظيم أثره.

وقد وازنت الأقمار على الأبعاد فجعلت لأرضنا قمرا واحدا. وللمريخ الزائد على أرضنا بالبعد جعلت قمرين. وللمشتري الزائد على

المريخ بالبعد جعلت أربعة أقمار، ولزحل الزائد على المشتري بالبعد جعلت ثمانية أقمار أو أكثر. فياله من عطاء يراعي الحاجة ويجري على الحكمة.

هذا ما يعرف من غايات الصنع ومواقع الحكمة في العالم العلوي البعيد عنا.

النظام الأرضي وعجائب غاياته وهلم إلى النظام الأرضي وانظر إلى ما فيه من الغايات الكبيرة والعجائب الباهرة التي لا تخضع إلا إلى سلطان القدرة ومواقع الحكمة. البحار وعجائب غاياتها

وانظر أولاً إلى البحار وبديع التصرف بها بنحو يبهر العقول. إذ جعلت بحيث لا يعثرها التعفن ولا التغير بالمؤثرات كما يتغير الماء المحقون ويتعفن في أيام يسيرة.

وناهيك به مخزنا للماء الذي به تقوم حياة الحيوان والنبات حيث جعلتها الحكمة تسقي جميع المسكونة بالأمطار والثلوج وبالقنوات المندفعة بالقوة إلى العوالي من الهضاب ورؤس الجبال فتنبثق عيوناً تجري منها الأنهار بعد أن تحيلها العناية في الأمطار والثلوج والعيون مياها عذبة سائغة تقوم بتربية الإرواء والأمد بالقوة كالأم الحنون. وناهيك بها ملطفا للهواء ومعدلا للحرارة، وجادة تسهل المواصلات السفرية ونقل الأحمال الثقيلة.

وانظر إلى عجيبة المد والجزر في البحار وإن كنا لا يظهر لنا من فوائدها إلا حفظ كيان المواني والمرافي مما يتراكم فيها على طول الزمان بالجاذبية وقذائف الأمواج.

وأعجب من ذلك أن المد والجزر السائدين على عموم البحار لا سيادة لهما على البحر الأبيض المتوسط بحر الروم الممتد من بوغاز جبل طارق إلى بوغاز القسطنطينية.

ولا على البحر الأسود الممتد من فوق باطوم إلى الباسفور. ولا على البحر البaltيك مما بين فرنسة وكرينلاندا إلى سويدن وفينلند مع اتصال هذه الأبحر الثلاثة بالمحيط بل إن البaltيك لا يمتاز عن المحيط الاatlنتيك بمضيق وبوغاز يحده.

أفلا تعجب من البحر الأبيض المتوسط إذ يجري فيه تيار كبير من بوغاز جبل طارق على الدوام ويجري إليه البوسفور من البحر الأسود ومع ذلك لا تجد لمائه زيادة. فهل أنت تقول كغيرك إن ما يجري فيه يخسر مثله بالتبخير. أفلا تدري أن جاره البحر الأسود يفند هذه المزاعم ويوبخها بالنقد إذ يقول بلسان حاله أنا جاره وتبخيري مثل تبخيره وأمطار مياهي مثل أمطاره ولا مدد لي من تيار ونحوه بل إنني دائم الجريان على البحر الأبيض فماذا يجبر خسراي؟! هل ظهر علي النقص؟ إن فوق أوهاكم تديرا. ووراء الطبيعة البكماء حكمة.

وانظر إلى بحر الاatlنتيك وهو ما كان غربيه أمريكا وشرقيه أوروبا وإفريقيا وربما يبلغ عرضه أربعة آلاف ميل. وانظر إلى استقامة الرياح فيه ولزومها لمهب مستقيم. فهو فيما بين الدرجة الثلاثين من العرض الشمالي ومثلها من الجنوبي تكون رياحه مشخصة معلومة. ففي شمالي خط الاستواء لكون ما بين الشمالي والمشرق، وفي جنوبيه ما بين الجنوب والمشرق، وفيما يقرب من خط الاستواء تكون من المشرق.

وانظر إلى المحيط الباسفيك وهو المحيط الحليم الهادي وهو ما تكون أمريكا في شرقه وآسيا وأستراليا في غربه. ويمتد من نحو

الدرجة السادسة والستين من العرض الشمالي إلى الثامنة والخمسين من العرض الجنوبي. وهو على هذه السعة غالب الهدو والسكون واستقامة الريح حتى قيل إن السفن لا تحتاج فيه إلى تغيير وضع الشراع. وما تاهت فيه سفينة ولا تضررت - فكأن العناية لحظت طرق المواصلة بين أمريكا والقارات في الشرق والغرب في الباسفيك والاتلنتيك فرفعت في لبح هذه البحار العظيمة أخطار العواصف والزوابع.

وانظر إلى تيارات البحار التي لم يحص العلم عددها وشعبها ومواقع سيرها والتقاءها ورجوعها وإنما ذكر منها ما بلغه الاكتشاف المتشتمت. فمن ذلك التيار الاستوائي في البحر الهادي الذي يخرج من شواطي أمريكا الجنوبية فيما بين مملكتي (بيرو) و (شيلي) جنوبي خط الاستواء ويسير بنحو الاعتدال إلى الغرب إلى نحو جزائر (ماليزا) الواقعة في شمالي استراليا ويخرج منه عند أول الجزائر فرعان أحدهما يسير إلى الشمال الشرقي موازيا لجزائر اليابان وما بعدها من آسيا إلى بوغاز (بهرنج) في أول المنقطعة الباردة في طول ١٧٤ غربي باريس تقريبا.

والفرع الثاني يتوجه إلى الجنوب نحو (زيلاندا) الجديدة إلى المنقطعة الباردة. ومن ذلك التيار الاتلانتكي الخارج من سواحل إفريقيا الاستوائية من خليج (غينا). فيسير بنحو الاعتدال إلى نحو رأس (سان روك) من أمريكا الجنوبية فتسير شعبة منه إلى الجنوب مع شواطي أمريكا الجنوبية إلى طرفها تقريبا فيما دون الدرجة الستين من العرض الجنوبي وترجع من هذه الشعبة شعبة إلى رأس الرجاء الصالح ثم نميل إلى الشمال إلى خليج غينا. ويرافقه في طريقه الشمالي بينه وبين الشاطي شعبة من التيار البارد الجنوبي - وتسير الشعبة الأخرى من نحو سان روك أيضا مائلة إلى الشمال الغربي إلى جزائر (أنثيله) في خليج (المكسيك) وهناك يقوى التيار فيسمى بالتيار الخليجي ويسير محاذيا لشطوط الولايات المتحدة مائلا إلى الشمالي الشرقي إلى شواطي الأرض الجديدة قرب الدرجة الخمسين من العرض الشمالي وهناك يندفع بعضه

في تيار قطبي وبعض يتوجه إلى الشرق فتسير شعبة في البالتيك مارة على سواحل (كريتلاندا) و (أيسلاندا) وإنكلترا ونروج وشعبة تسير مع شاطئ البرتغال إلى شاطئ إفريقيا ويدخل البحر المتوسط من بوغاز جبل طارق شعبة منه، وهناك شعب أخرى من التيارات الاستوائية. ومن التيارات التيارات القطبية التي تحمل الماء البارد إلى المناطق المعتدلة والحارة.

ألا تنظر إلى الغايات الكبيرة والحكمة الباهرة في هذه التيارات. ألا ترى أن العناية بالغايات قد لحظت السير في أقطار الدنيا لعموم العمران فشرعت للسائرين جادات منتظمة محدودة دائمة تتكفل بحسن الدلالة وراحة السير وعموم المواصلة وربط القارات بعضها ببعض والأمان من أخطار التيه وغيره.

فكأن العناية تنادي يا من يريد السفر إلى أميركا اسلك بسفينتك الجادة المشروعة للدلالة والأمان وهو التيار الذي في خليج غينا وسر على استقامة الجادة وحدودها إلى رأس (سان روك) في أميركا. فإن كنت تريد أميركا الجنوبية فخذ جادتك الأمانة في الشعبة الجنوبية إلى أي شاطئ أردت.

وإن كنت تريد أميركا الشمالية فخذ جادتك الأمانة في الشعبة الشمالية فاسلك في الشعبة الموازية لجزائر (أنتيلة) إن كان قصدك إلى الممالك المتحدة والأرض الجديدة وكندا. وإن كان قصدك إلى بلاد المكسيك والشواطئ الواقعة على خليج المكسيك فاسلك في الشعبة الداخلة إلى الخليج الخارج مما بين (كوبا) ورأس (فلريدا) وإن كنت تريد الرجوع إلى إفريقيا فاطلب الشعبة الراجعة إلى غينا. وإن كنت تريد المسير في الجادة إلى كريتلاندا وإيسلاندا وبريطانيا ونروج فاطلب الشعبة المارة بهذه البلاد.

ويا من يطلب السفر من أميركا إلى مشارق آسيا اسلك في الجادة

الأمينة من قرب (بيرو) إلى جزائر (ماليزا) وإن كان لك غرض في جزائر (أسيانكا) فإنها على القرب من جادتك. وإن كان لك غرض في زيلاندا الجديدة فسر في الشعبة الشمالية ولك حسن الدلالة والأمان من كثير من الأخطار.

يا أهل الشواطئ الباردة لكم البشرى بتعديل البرودة بحرارة التيارات الاستوائية المارة بشواطئكم، واستنبتوا بعض النباتات التي لا تنبت فيما يساوي بلادكم في درجة العرض حيث لا تزورها التيارات الاستوائية، وأقبلوا زيارة الأخشاب الاستوائية وانتفعوا بها. ويا سكان الشواطئ الحارة ويا سالكي البحار بشراكم بتعديل الحرارة بالتيارات القطبية الباردة. وإن كنتم تعدون من فوائدها ضغط البخار لكي يتصاعد فينعد سحابا مطرا فاعرفوا شرف هذه الغاية. ألا وإن اختصاص التيارات بمجاريها من جنوبي خط الاستواء، ولزومها لها ودوامها على حالها وتشعها في نقاط مخصوصة ورجوع بعضها من الغرب إلى الشرق وذهاب بعضها إلى الجنوب بميلة إلى الغرب كالمار بشواطي البرازيل إلى آخر أميركا الجنوبية. وميل بعضها إلى الشمال الشرقي كالمار من خليج المكسيك إلى الأرض الجديدة والمار من جزائر ماليزا إلى بوغاز بهرنج ووجود التيارات القطبية المتوجهة إلى جهة خط الاستواء لا إلى الغرب هذا كله مما يعرفك الخطأ في الوجوه التي ذكروها لتعليل التيار بأمور طبيعية. بحيث لا يقف زيف هذه الوجوه أمام النقد العلمي على رعم الصدقة العمياء الممشوقة والطبيعة البكماء المحبوبة. ألا: تعجب ممن يعرض عن البحث عن غاية الكائن ولا يجد السير في اكتشاف فوائده النافعة في الحياة والعمران. ومع ذلك يتقهقر إلى أوهامه في تعاليل الصدفة العمياء فيضطهد شرف الغايات ويصرف عنها الأنظار لولا بقية روح علمي بقي من تأسيس السلف يحرك على طلب الفوائد والغايات فيما ينفع البشر.

الأرض اليابسة

وانظر إلى مسكننا الأرض كيف قد مهد الكثير منها للسكنى والزراعة واختلفت أوضاع الباقي للقيام بلوازم العمران ودوام الراحة في المسكون وتعديل لوازمه، وكيف جعل تفجر العيون من الأعالي لكي يتهيأ عموم الري، وأمدتها الأمطار لإكمال النفع.

أفلا تنظر إلى سيول الأمطار وذوبان الثلوج وجري الأنهار الكبيرة، كم تحمل من الجبال والوهاد في سيلها الجارف من الأطيان والصخور على مر الدهور والأحقاب وتقذفه في البحار على وجه لو أهملت العناية إصلاح هذا الحال وتداركه لاضمحلت الجبال والهضبات وملاً الطين أعماق البحار والخلجان فاستولى الماء على المسكون.

وها أنت وكل الناس تعلمون أن الجبال. والهضبان، والبراري والوديان والبحار والخلجان على حالها منذ زمان يبلغه التاريخ بجهده. وهذه الآية الكبيرة التي يكفي العاقل فيها أقل تنبيه قد أشار إليها القرآن الكريم واستلقت العقول إلى أعجوبتها وحجتها بقوله تعالى في سورة الذاريات المكية في الآية الثامنة والأربعين (والأرض فرشناها فنعم الماهدون).

وقوله في الآية الثانية والثلاثين من سورة النازعات المكية. (والجبال أرساها) وحفظ وضعها ومهاد الأرض بأسباب القدرة وآثار الحكمة ورعاية الغايات بإتقان ماهد لا تغفل عنايته عن رعاية دام المهاد ورسو الجبال في مراكزها على الناموس الذي تقوم به غايات خلقها ونعمة منافعها فلا تقوى العوارض والكوارث على تغيير هيئة هذا المهاد وهذه الجبال.

بل لا تزال العناية في تعديل وضعها وحفظ صورتها النافعة. والمظنون أن المستخدم المسخر في هذا التعديل هي النار السيارة في

جوف الأرض على الدوام لأداء هذه الوظيفة الكريمة وغيرها من سوق الماء وإصعاده إلى العوالي كرؤوس الجبال وأعالي الهضاب، وتوليد المعادن والصخور والأحجار لتقوم بمنافعها للبشر، وتعديل مياه البحار وحفظ مناسباتها، وتصعيد البخار لأداء منفعه إلى غير ذلك مما لم يدر كه العلم بعد.

وانظر كيف جعل لهذه النار السائرة منافذ تخرج منها وجواذب تعدل سيرها وتدفع عادية حركتها القوية عن الأرض. وهذه المنافذ هي منافذ البراكين (جبال النار). وهي فوهات في أعالي كثير من الجبال تخرج منها النار بأحوال عجيبة ترشد إلى الحكمة الباهرة. ومع ذلك فقد أبقت الآيات أثرا للاعتبار وإشارة إلى الموعظة وعظيم المنة وذلك أن هذه النار السائرة قد تزيد على مجاريها أو تكثر في مكان لأجل تأديه أعمالها فتحاول أن تخرج من قشرة الأرض فتحصل الزلازل الخفيفة أو الهائلة وربما يتعقبها الانفجار أو الخسف وفي ذلك ألطف استلفات إلى النعمة العظيمة والغاية الكريمة في خلق جبال النار (البراكين) وسائر الجبال الجاذبة للنار والمثبتة لقشرة الأرض. وإلى ذلك أشار القرآن الكريم في الآية الخامسة عشر من سورة النحل المكية بقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم) ونحوه في الآية الواحد والثلاثين من سورة الأنبياء والعاشر من سورة لقمان المكيين.

ولولا هذه الجبال الراسية بالحكمة والمصرفه للنار لاستولى الميدان والزلازل على الأرض.

وانظر إلى أجزاء الأرض وقطعها المتجاورة فإنك تراها مختلفة اختلافا كثيرا لم تجر على قياس مطرد، فترى في المنطقة الحارة فيما يقرب من البحر أو ما يبعد عنها أرضا طينية زراعية، وأرضا صخرية نارية، وصخرية كلسية، وأرضا رملية بينها طبقات مستحجرة، وترى ذلك في المنطقتين المعتدلتين والمنطقة الباردة الشمالية.

وانظر إلى الثمار التي تنبت في أرض واحدة وتسقى من ماء واحد

وهي متساوية في مهب النسيم وإشراق الشمس وتأمل في حكمة اختلافها في الأوضاع والخواص والطعوم واللذات.

إحتجاج القرآن الكريم

وقد جمع القرآن الاحتجاج بهذا كله في سورة الرعد المكية في الآية الثالثة والآية الرابعة بقوله تعالى: (وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) في خصائص هذا الكون وآثاره فيعرفون دلائل القدرة وآثار الحكمة (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضه على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) لزوم تعليل الحادث وآيات قصد الغايات.

وقد أوضع القرآن ما بلغه سير العلم بعد جهد جهيد من أن كل ثمرات التوالد ونتاج التوليد الذي يبقى به النوع من الحيوان والنبات جعل فيها ذكورة وأنوثة زوجين اثنين للتلقيح وأثمار النتائج. وأنظر إلى ما يبيث في الدنيا من دابة. وتأمل في عجائب الخلق فيها ومواقع الحكمة.

وانظر أقلًا إلى الإبل وتسخيرها لمنافع الانسان في المفاوز المعطشة والمسافات البعيدة، تصبر على العطش وتقنع بالحطب، وانظر إلى الحكمة كيف راعت أحوالها مع الأحمال الثقيلة ونظرت إلى جسر ظهرها الطويل، وضعفه عن معاناة الحمل الثقيل وصدمه ارتجاجات الأحمال وزياد ثقلها عندما تنهض للقيام وعندما تبرك.

فجعل لها السنام لكي تكون كيفية تحميلها على نحو يتوجه فيه الثقل من الأحمال وارتجاجاتها إلى قوائم يديها ورجليها. فتكون قوائمها هي الدعائم المقاومة للثقل الكثير.

وجعل لها في صدرها ثفنة تعتمد عليها عند النهوض وتسهل تحريك يديها للقيام وتقي عظام صدرها من ضغط الحمل وثقل ارتجاعه. وراعت الحكمة طول أعناقها فجعلت تركيبها عموديا لكي تخف وتعين بخطراتها على المشي، وجعلت أخفافها عريضة لينة مراعاة لعلوها وكبر جثتها وثقل أحمالها.

وقد استلقت القرآن الكريم أنظار الناس إلى التبصر بعجائب هذا الحيوان المؤلف وما في خلقته من أنواع الحكمة التي تتساهل بها الألفة فقال تعالى في سورة الغاشية المكية في الآية السابعة عشر (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) فيعرفوا من درس خلقتها مواقع الحكمة. وأكد الحجة بقوله تعالى في آية ١٨: (وإلى السماء كيف رفعت) سواء قالوا بأنها طبقات شفافة تتضمن الكواكب النيرة من سيارة وثابتة أو أن المراد منها أجرام الكواكب القائمة في مراكزها والسائرة في مداراتها على هذا النظام العجيب (وإلى الجبال كيف نصبت* وإلى الأرض كيف سطحت) (١) هذه الأشياء التي هي نصب أعينهم ألا ينظرون إلى خلقتها وثباتها على مواقع حكمتها وغايات إيجادها.

وانظر إلى (الكونغو) أو (الكانكور) الحيوانات الكيس. كيف قد راعت الحكمة والرأفة ضعف أولادها حيث يولدون على الحالة الجنينية بحيث لا تتحمل الآثار الخارجية والحر والبرد فجعلت للأم من جلدها كيسا في أسفل بطنها تحضن أولادها فيه في حال ضعفهم فهم فيه ورؤوسهم إلى ناحية أقدامها يرتضعون وهم في مهد تربيتهم أو الرحم الثاني إلى أن ينالوا القوة.

وانظر إلى السمك الرعاد وعجيب خلقته التي تنادي أيها الناس تنبهوا واكتشفوا من هذا الخلق العجيب جهاز التلغراف، الجهاز الكهربائي الذي يشابهه الجهاز الكلفاني، حتى قيل إن بعضهم عد في

(١) سورة الغاشية، الآيتان: ١٩ و ٢٠.

رعادة كبيرة ١٢٠٠ عمود، وأن عدد الصفحات في البطارية في نوع ما بين مائتين وخمسين ألف وثلاثمائة ألف و ١٢٠٠ موشور وبين الصفحات سائل زلالي في المائة تسعون ماء وملح عادي.

ومما ينبغي أن تستلفت له الأنظار الحرة أنا ذكرنا في الدورة الدموية أن الشرايين في الحيوان المولود تحمل من القلب دما شريانيا صافيا طاهرا من الفضول يقسم غذاءه على عموم الأعضاء، وأن الأوردة تحمل من الأعضاء دما وريديا مخلوطا بفضول البدن فتؤديه إلى الرئة لكي تطهره من الفضول والمواد الضارة فيعود إلى القلب فإلى الشرايين وهكذا.

فذكر لك الآن أن الحال في الجنين على العكس حيث إنه يكون من ناحية المشيمة مادة غذائه وإلى ناحيتها مخرج فضوله. فكانت الأوردة تحمل من الوريد السري المشيمي دما شريانيا طاهرا من الفضول تزور بغذائه أعضاء الجنين ثم ترجعه الشرايين إلى المشيمة دما وريديا حاملا إليها فضول الجنين بالشريان السري المشيمي وعلى هذا تجري الدورة ما دام جنينا، وبمجرد ولادته تنقلب دورة الدم إلى ما ذكرناه أولا. عجا هل يكون هذا التدبير البارع وجمال الاتقان الرائع من طبيعة بكماء وصدفة عمياء؟

كل هذا الذي ذكرناه من عجائب الحكمة والغايات وهو بالنسبة لما لم نذكره ولا ندركه قطرة من بحر هل يكون كله من فلتات هذه الطبيعة وهذه الصدفة؟؟

إذا دخلت غارا صخريا ووجدت تجويفه على شكل هندسي فيه شئ من الكتابات وشئ من النقوش وشئ من حسن التخطيط وتنظيم قياس تجويفه، فإن وجدانك لا يسمح أن يكون ذلك من صدفة الطبيعة. بل تقول من أين لهذه البكماء وصدفتها هذه الصناعة البارعة المنظومة بسلطان العلم والشعور، صانع هذا المكان الجميل مقتدر على الصناعة عارف بالهندسة والكتابة وحسن التصوير، راقى الشعور، فله

الثناء على صنعه لهذا المنظر البهيج الدال على قدرته وعلمه.
يا صاحبي فأين أنت عن النظر في عجائب هذا العالم وإتقان غاياته
وجمال حكمته الفائقة ونظامه الباهر. وما ذكرنا لك من ذلك إلا قطرة من
بحر وقليل من كثير.

فكيف تسمح بذلك كله لطبيعة فاقدة الشعور. ما هي الطبيعة؟
هل هي الفرد أو النوع أو الجنس؟ هل لها وجود غير موجودات العالم؟
أم ليست هي إلا انتزاع وهمي ينتزعها العقل ويفترضها من تماثل
الموجودات؟ يا صاحبي هذه الآلات الصوانية التي ذكرناها صحيفة ٥٧
والمدينة التي ذكرنا مثلها صحيفة ١٠٦ إنها تقصر ولا تقاس بنظام حلقة
الحيوان فضلا عن غيره. وأراك وجميع الناس لا تسمحون بأن تكون من
صنع الطبيعة العديمة الشعور وقلته الصدفة.

فكيف تسمحون بأن هذا العالم العظيم العجيب وغاياته الشريفة
المنتظمة في دهوره ومواليده كله يكون بصدفة الطبيعة البكماء.
ما أعجب حالك وحال أصحابك مع طبيعتكم، فتارة تستحقرونها
ويأتي وجدانكم أن تسمحوا بأن تنسبوا إلى صدفتها واحدا حقيرا مما
ذكرناه من الآلات الصوانية ومثال المدينة والمغارة. وتارة تفرضون لها
وجودا أصيلا وتسمحون لصدفتها بما لا يحصى من عظام العالم في
دهوره ومواليده.

أين وجدانكم الذي تحكمون به في أمر القطع الصوانية ومثال
المدينة والمغارة؟ ما أقوى يد تغمض عيون الوجدان في شأن العالم
وصنعه!! أي يد مبرقة هذه؟ ماذا يعينها وبأي نشاط تعمل أعمالها. ما
أعجب هذه اليد المبرقة، قد شابكت يد العلم فلوتها، وغطت على
عين الوجدان فأسقطت حسها، لم يكن في الحسبان أن بذر أبيقورس
للاستراحة الشهوانية ينمو هذا النمو في الأذهان مهما دملتها الأهواء
بشهوانيتها.

لا إحال لسانك يستطيع أن تقول كما يقوله بعض الشهوانيين

العديمي العلم والشعور والذين لا بضاعة لهم ولا حجة إلا تبسم
الاستهزاء وقولهم أين صانع العالم العليم الحكيم هل هو في آسيا أو
أوربا أو إفريقيا أو أميركا وفي أي بلد هو إنا لا نراه بأعيننا ولا نلمسه
بأيدينا ولا نسمع له صوتا.

ألا تقول لهم قولوا ما هي الطبيعة، وأين هي، ولا نطالبكم ببيان
وجودها الحقيقي الفعال في الموجودات وإعطائها الوجود الأصيل
الحقيقي، أين رأيتم الجواهر الفردة؟ ولا نعارضكم بامتناع فرضها.
كيف رأيتم مدارتها، وإلى أي جهة كانت تدور.

وما هو مقدار حركتها في السرعة؟

أين عصفت عليكم زوابع الأثير.

وأين رأيتم الأثير وكيف وجدتموه. لا نطالبكم بهذه الافتراضات
الموهومة.

ولكن هل رأيت أبصاركم أو سمعت آذانكم أو لمست أيديكم أشياء
لا شك في وجودها وتحققها.

منها هذا الشعور والادراك الذي يمتاز به الحيوان ويفتخر بكماله
الانسان.

ومنها هذه النفوس التي هي ملكة الأبدان وسلطان الحياة والشعور
وعروس الوجود. هل أحسستم بها بحواسكم؟ ومنها روح الحقيقة ومظهر
النعمة ولباس الزينة ومنشأ انتزاع الطبيعة وهو ذات الوجود الذي تزينت به
الموجودات العالمية وتحققت حقائقها وأزهر ببهجته العالم.

هل يرى أحد ذات الوجود أو يحس به بحواسه؟

لا تقل نعم.

فإنك إنما تحس الموجود المحسوس لا بذات الوجود. أين
الحواس من إدراكه؟

لماذا تعلق الشعور بالقوة التي في الدماغ أو غيره، ولماذا تعلق هذه القوة وسائر الأعمال الإرادية بالحياة. ولماذا تعلق الحياة بالنفس.

لماذا لا تقول إن هذه كلها من صدفة الجسم. لكن الحجر المسكين لم يتوقف لهذه الصدفة ولم يسمح دلالة هذه الأنسة بمواصلته يوماً.

لماذا دام هجرها للحجر المسكين؟

يا من يبعث الشعور والفطرة على التعليل، ويعرف أنه مسؤول للإنسانية وشرف الشعور وسلطان العلم عن استقامة التعليل والوقوف فيه على موقف علمي لا تتحمل فيه ملامة الشعور والوجدان وتوبيخ العلم. أين أنت عن التعليل بواجب الوجود العليم الحكيم؟ ماذا يصدق عنه؟

إذا صدقت النظر في شأن مولود الحيوان رأيت العجب وعرفت أن له مدرسا رؤوفا عالما يعرفه كيف يسلك في طريق الحياة الجديدة الذي لم يره قبل ذلك ولم يعرفه. فترى المولود حين خروجه من بطن أمه كأنه تلميذ أكمل دروسه وتلقى علمه وأذى امتحانه وصارت له نوبة العمل في أعمال معيشته ولوازم حياته.

قد كان في الرحم ولم يألف في حياته هناك إلا ظلمات وأحشاء ومشيمة تبعث إليه من الحبل السري غذاءه وتأخذ فضوله من دون طلب منه ولا سعي في أمره. لم يعرف تغذيا بفم ولا غذاء من الثدي ولا طلبا للمعيشة ولا سعيًا للرزق ولم يعرف أما ولم يألف لها حنانا. فتراه في أول ولادته ينادي بطلب غذائه ويسعى جهد قدرته في معيشته.

فترى طفل الإنسان إذا وضعت أمه على الثدي أول مرة يحاول الامتصاص ويدير فمه على الثدي باستعجال يطلب طريق رزقه فكأنه قد

ألفه دهرًا وقضى في لذته وطرا وأنس به زمانا حتى إذا التقم الحلمة سكن بكأؤه وقر قراره وصار يمتص اللبن بإقبال والتذاذ وسكون واستعجال. كأن له في هذه الأمور سابق تدرّيس وعلم وامتحان وتجربة ومحبة وألفة. ولقد شاهدت شاة حين ولادتها فرأيت جنينها زار الأرض مخرجا رأسه من كيسه طالبا للفرار منه كأنه يعرف أن هذا الكيس قد صار في دورة الولادة سجن الضيق والضرر والفقر بعد أن كان بيت الراحة والحماية والكفاية.

فصار ذلك القادم الجديد الغريب يرغو بلجاجة ويتحرك باستعجال متوجها إلى ناحية رأس أمه الذي لم يره قط. يزحف مرتعشا ويتحرك مستعجلا متكلفا حتى إذا وصل إلى رأس أمه وتمكنت من لحس ما عليه من الرطوبات سكنت حركته واطمئن في مريضه فكأنه يقدم أعضائه إلى أمه لكي تلحس رطوباتها. أيها القادم الجديد هذه الرطوبات كانت ثوبك المألوف في دور الجنينية فلماذا تساعد على نزعه. متى عرفت أنه يكون قدرة مضرّة في دور الولادة؟ وحتى إذا سكن عن أمه ألم الولادة وقامت عن مريضها تحامل للقيام على تكلف كأنه يطلب أليفا أنس به زمانا ففقدته أو طريقا اعتاد لسلوك فيه فضل عنه أو رزقا سعى في تحصيله مدة فضاغ منه وصار يضع فمه على مواضع من بطن أمه يحوله من موضع إلى موضع حتى إذا التقم الثدي أقبل عليه بنشاط وابتهاج كأنه وجد ضالته وحظي بأنيسه القديم. وإنك إذا تتبعت مواليد الحيوانات تجدها كلها على هذا المبدأ في الشعور الابتدائي كأنها متخرجة من مدرسة قد درست فيها هذه التعامل على معلم عالم رؤوف بها. فهل يكون هذا كله من دون عالم فعال مدبر يلهمها رشدًا ويعلمها تدبير أمرها.

وفي هذا المألوف المعروف كفاية. فلا حاجة إلى ذكر عجائب المنقولات من أحوال الحيوان (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم)*

الذي خلقتك فسواك فعدلك* في أي صورة ما شاء ركبك) (١) وحبك بالحياة وزينة الشعور وراعى شؤونك في نشأتك وأطوار حياتك الجنينية وبعد الولادة. فأين أنت عن رشدك ولماذا تاه شعورك وبماذا انخدع وجدانك؟ من هو الذي أوجدك. ومن هو الذي حبك بجمال الحياة وزينة الشعور جنينا ووليدا (أفي الشك فاطر السماوات والأرض) (٢) (ألا يعلم من خلق) (٣).

تضطرك الفطرة إلى تعليل الموجودات التي تشاهدها فتحرفك أوهام الأهواء إلى افتراض الجواهر الفردة وحركتها والأثير وزوابعه أو تكاثفه. ومهما انحرفت ومهما افترضت فإنك لا تقدر أن تقف بالتعليل في إيجاد الموجودات إلا على ما هو واجب الوجود في نفسه. ولا تقدر أن تصفه بوجود الوجود ما لم تقدر أن تنزهه عن كل ما ينافي وجوب الوجود. وأين أنت من ذلك وقد مر إنك مهما افترضتها ومهما تدعي فيها لم تقدر أن تنزهها عن تغير الكيان، ونقص الامكان، دع هذا ولكن واجب الوجود الذي ينتهي إليه التعليل في وجود الكائنات لا يمكن للوجدان الحر إلا الاعتراف بأنه عالم بغايات خلقه قد خلق لأهل الغايات.

فكيف يصح لكم أن تصفوا الجواهر الفردة والأثير بوجود الوجود مع أنكم افترضتموها عديمة الشعور والادراك. الدكتور: يا شيخ إنني طالما أوجه فكري في هذه الأمور التي ذكرتها وغيرها وعلى الخصوص ما يجده في علم التشريح من عجائب الفوائد والغايات ودلالة الخلقة على قصدها. وأقدر أن ما خفي على العلم أعجب وأدل على قصد الغاية

(١) سورة الانفطار: الآية / ٦ - ٨.

(٢) سورة إبراهيم: الآية / ١٠.

(٣) سورة الملك: الآية / ١٤.

وأزيدك يا شيخ أني طالما تضايقني الشدائد وتنقطع آمالي من الأسباب الطبيعية فأجد نفسي تلتجئ بفطرتها إلى مدير فعال بالإرادة تراه مالك التصرف والتسبب ملك القدرة والرحمة فطلب منه كشف الشدة بقدرته ورحمته على رغم الأسباب العادية، وتظل شاخصة النظر إلى رحمته. فيكثر عجبي من نفسي وتوجهها والتجائها ابتداء بفطرتها إلى من تراه خالقا قادرا عالما يفعل بإرادة على رغم التزامي بالمذهب المادي. وطالما درست أحوال الناس عند شدائدهم وانقطاع آمالهم من الأسباب العادية فأجد نفوسهم تجري بفطرتها على مبدأ نفسي في الالتجاء إلى مدير عالم قادر، وكثير من هذه النفوس لا تعترف له في العافية والسعة. لكن يا شيخ إن اعترافنا بالإلهية دونه عقبات:
(الأولى): إنا لا نقدر أن نعرف حقيقة هذا الخالق العالم الواجب الوجود.

وهذا مما يصدنا عن الاعتراف به فإنه يصعب على النفوس أن تعترف بوجود موجود لا تعرف حقيقته..

(الثانية): إنا نرى الكثير من الناس قد تاه في هذا المقام. فإن منهم من يقول بتعدد الآلهة.

ومنهم من يقول إن الإله يتجسد ويلبس ثوب الناسوت فيخضع بالطبيعة لاحتياج البشرية ونقائصها والشدائد الواردة عليها.

ومنهم. ومنهم. وهذا كله يصاد مقام الإلهية ووجوب الوجود على خط مستقيم. من يتغير كيانه كيف يكون واجب الوجود؟ أي كيان منه واجب الوجود هل هو الكيان الأول المنعدم أو هو الكيان المتجدد الحادث؟ أم أن وجوب الوجود لا يرتبط بكيان وجودي، بل بكيان وهمي انتزاعي لا وجود له.

(الثالثة): إن الذين يدعوننا للاعتراف بالإلهية يريدون منا أن نعترف لهم بسيطرة دينية ونخضع تحت نير ونزرع تحت ثقل. مع أنا

نرى الكثير من هذه السيطرات بعيدا عن الحقيقة. مشوه التعاليم وهذا لا يهون.

يا شيخ فإن دعانا العلم والوجدان إلى الاعتراف بالإلهية صدتنا هذه العقبات..

ولا تحسب أنني ممن يصدده تكميل الشريعة الإلهية وتعليمها الروحي وزجرها عن فلتات الشهوانية ونقائص البشرية المهددة للكمال والأدب والمدنية والاجتماع والمستقبل الصالح للإنسان.
الشيخ: هذا الكلام عجيب غريب منك ومن أمثالك.
فإننا نقول لك:

(أولا): إذا قادتك العلم والوجدان إلى الاعتراف بوجود الموجود فهل يسوغ لك في شرف الشعور والأدب أن تجحد وجوده لأنك لا تعرف حقيقته من أجل قصورك عن إدراكها؟ إنك إذا رأيت شيئا تقصر عينك عن تمييز حقيقته فهل يسوغ لك أن تقول لا وجود لهذا الشيء. إنك لا تعرف حقيقة النفس للحيوان ولا مائز العقل للإنسان فهل يسمح لك الشعور بأن تقول ليس للحيوان نفس يمتاز بها عن الحجر وليس للإنسان عقل يمتاز به عن سائر الحيوان.

فعليك أيها الدكتور أن تتبع العلم وحثته ودلالة الوجدان إلى حيث يوصلانك وتقف حيث يقفان.

وثانيا. إن اختلاف الناس وتيه كثير منهم في أمر الإلهية هو عادة جارية للجهل المركب الذي يقتحم على كل حقيقة.
فهل يسوغ إنكار الحقائق لأجل اختلاف الناس فيها وضلالهم عن سبيلها في متاهات الجهل والقصور.

هل يوجد في الحس ما هو أجلى وأظهر من النور. أفلا تدري باختلاف الطبيعيين فيه حيث قال بعضهم: إنه مادة وذرات تنتشر من

الجسم المنير بواسطتها تدرك العين المرئيات.
وقال بعضهم: إنه حاسة يحدثها نقر تموج الأثير على عصب
البصر. التموج الصادر من الأجسام المنيرة. فما أبعد ما بين هذين
المذهبيين.

ومما يزيد في خفاء حقيقة النور ويجعل الآراء فيها عرضة للنقد
والتزييف ما كشفت عنه التجارب من النور الغير المرئي. كالنور الأحمر
من الحل الطيفي لنور الشمس. و كالنور الغير المرئي من النور للكهربائي
الذي اكتشفه (رونكين).

ومما يزيد في خفاء حقيقة النور ما يوجد من الاختلاف الكبير بين
النورين، فإن نور الشمس لا ينفذ إلا من الجسم الشفاف وإذا حل على
مكان ينكسر.

والنور الكهربائي لا ينكسر، وينفذ من الأجسام الكثيفة ما عدا
الفلزات. والمأمول من العلم أن يظهر من اكتشافاته ما يجعل العقول
حائرة في حقيقة النور.

وهذه الكهربائية التي أعملت في الأفاعيل الكبيرة قد قال قوم فيها
إنها عبارة عن قوتي سيالين يكونان ممزوجين متكافئين في الأجسام الغير
المكهربة. وبتفريق هذين السيالين تظهر الكهربائية وتهيج وبتحادهما
تتفرغ ويبطل التهيج.

وقال قوم قوة واحد في الأجسام متوازن، وبزوال الموازنة تتكهرب
الأجسام، وبعود الموازنة تتفرغ ويبطل التهيج. ما هي حقيقة السيال؟
وكيف يكون جاذبا، وكيف يكون دافعا، وأين يذهب إذا تفرغ، وأين
يذهب إذا انقطعت دائرته، هل يختص بسطح الجسم، ولماذا يختص،
وكيف يتكهرب الهواء والفضاء، ولماذا تختص الكهربائية برؤوس المروس
أو تزيد فيها؟

لا زالت زوابع الجهل المركب تذهب بالأفكار في كل متاهة. قد

قحمتها في ضلال إنكار الوجود بعد العدم ودعوى امتناعه، مع إنك وكل أحد ترون وتجدون في كل ساعة ألؤفا وألؤفا مما حدث بعد العدم. إن مثلك لا ينبغي أن يخفى عليه أنه يلزمه النظر الصادق في أمر الحقيقة واتباع الحجة الواضحة والدليل الهادي لكي ينجو من تيه الضلال، ويتمسك بما وصل إليه من العرفان.

فانظر هداك الله في أمر الإلهية بعين البصيرة وأثبت أقدامك في مراكز اليقين. فإذا تجلى لك أمر الإله وعلمه وحكمته فهل يقبل شرف إنسانيتك أن تفر فرار العبيد فتجحد الإله لمحض خوفك من الخضوع لنير تعاليم متدلسة باسم الدين. أليس من اللازم عليك أن تنظر في أمر التعاليم التي تدع، إليها. فما عرفته أنه من التعاليم الإلهية الحقيقية أخذت به وأرشدت بني نوعك إليه.

وما عرفته أنه من الأهواء المتدلسة باسم الدين أعرضت عنه وأوضحت لبني نوعك ضلاله. فإن هذه التعاليم المتدلسة كما قلت أنت هي نير الشقاء وغل الضلال والعناء. وثقل الخسران الباهض. ولكن هل يخفى عليك أن التعاليم الإلهية الحقيقية هي من رحمة الله للبشر وهي تاج الشرف وزينة الكمال وفخر الأحرار يستريحون إلى كمالها وعدلها وإصلاحها من عبودية الشهوانية البهيمية ونير الأهواء الخسيسة. فيا للعجب من فضيلتك أيها الدكتور أراك تحيد عن الحجة الساطعة في أمر الإلهية والمحنة الواضحة في العلم وتعلل بهذه التشبثات الباردة.

الدكتور: ألا تحري يا شيخ في الاحتجاج على المعارف الإلهية لكي أعيد النظر وازداد في البصيرة.

الشيخ: مهما اختلفت الأهواء وتشعب الجهل فإنها لا تثني فطرة الإنسان الأولية عن حكمها بلزوم تعليل الكائن والنظر في علته وإن اقتصر بعض المغفلين والقاصرين على ما يهيمه في حاله الحاضر وحاجته الوقوتية

الطيفة.

ولكن جميع النفوس في نظرها إلى هذا العالم وما يحدث فيه كل آن من الموجودات التي لا تحصى لا زالت تطلب الوقوف على مصدر هذه الكائنات ومبدأ وجودها.

كانت الأهواء ههنا قد عملته أعمالها بدسائسها.

فكان نوع الناس بجامع الفطرة الانسانية قديما وحديثا ينظرون إلى العلة الفاعلة في إيجاد الموجودات مدرجين مادتها في لفيف الموجودات الحادثة.

إذ يجدون بفطرتهم وإحساسهم وبرهانهم إمكان وجود المادة بعد عدمها وخضوع وجودها للقدرة الفعالة. فإنهم يجدون موجودات بصورة ومادة لم يكن لهما سابقة في الوجود. ويوضح لهم العلم بدلائله والفطرة بسيرها المستقيم أن القول بقدم المادة مهما تقلبت به الأفكار واحتالت له إنما هو رأي مخدوع، ودعوى تحتوشها النقود والردود. وكيفما كان فإنه لا يغني شيئا عن لزوم القول بقدم العلة الفاعلة الايجاد والنظر في أمرها وإن كانوا قد ذهب بهم في ذلك المذاهب الكثيرة حسبما تسمح الفرصة للأهواء وغفلات الجهل أو يستقيم السير في نهج العلم اليقين.

ثم نبغ من خلال الأعصار وشذاذ البشر قوم صرفتهم الصوارف عن النظر إلى العلة الفاعلة في إيجاد العالم فتساهلوا في أمرها ووجهوا همتهم إلى افتراض المادة ووصفوها بالأزلية مع اختلافهم في وجوه افتراضها. وأوكلوا أمر العلة الفاعلة إلى صدفة حركة الجواهر أو زوابع الأثير أو تكاثفه وأغمضوا النظر عن تعليل هذه الحوادث الافتراضية أعني الحركة والزوابع والتكاثف. فخيّلوا أنهم قد أصابوا الموقف العلمي في التعليل ومركز اليقين الثابت.

ولكن يا صاحبي يا حضرة الدكتور إن ثوب الأزلية لا يكون بحياكة

آرائنا وخياطة ألسنا لكي نلبسه لمن نشاء بل إن صفة الأزلية صفة حقيقية لها لوازم مقومات. ولها منافيات لا تجتمع معها في شئ واحد. كيف تكون الجواهر الفردة أو الأثير أزلية يوقف عليها بالتعليل وهي ليست واجبة الوجود.

وكيف تكون واجبة الوجود وهي لا تزال متغيرة الكيان بتقلبها باختلاف الصور والحقائق وتقلبات الحركة كما تزعمون؟ وكيف يكون الأثير واجب الوجود مع أنكم افترضتموه مركب المقدار محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل يوجدها ويؤلفها بالتركيب. وكيف تكون الجواهر الفردة واجبة الوجود مع أن فرضها غير متجزية مستحيل وبحسب فرصكم لاشتمالها على قوتي الجذب والدفع وأن لها حركات مختلفة الوضع والأمكنة والجهات وكونها متجزية يستلزم تركيبها في المقدار فتكون محتاجة إلى أجزائها وإلى فاعل يوجد أجزائها ويؤلفها.

هذا كله في المادة وقد مر مشروحا.

العلة الأولية الأزلية الفاعلة للإيجاد

وأما العلة الفاعلة للإيجاد فمهما تساهلتم في أمرها وحاولتم صرف الأنظار عنها ألجأتكم الضرورة إلى أمرها فقلتم إنها صدفة الحركة. الحركة هي أكوان متتابعة ينعدم الأول فيحدث الثاني. ما هو العلة الفاعلة لهذه الحركة.

هل نخادع عقولنا ووجداننا ونقول إنها أزلية.

ما هو الأزلي منها.

هل هو الكون المنعدم أو الكون المتجدد؟ أم نذهب بالتسلسل إلى

غير النهاية رغما على بدهة العلم في بطلانه وخصوص حجتك المذكورة
صحيفة ٦٩ و ٧٠.

كرامة القرآن في حجته وتوبيخه

وقد احتج الله على المتغافلين عن خالق العالم فقال جل شأنه في
الآية الخامسة والثلاثين والسادسة والثلاثين من سورة الطور المكية (أم
خلقوا من غير شيء) يخلقهم ويوجدهم بعد عدمهم.

هل يمكن في الشعور أن يقولوا بذلك (أم) يقولون إنهم (هم
الخالقون) لأنفسهم هلى يتحملون شناعة هذا القول (أم) يقولون إنهم
(خلقوا السماوات والأرض) هذا العالم الكبير هل خلقوه وهم عدم
وقبل وجودهم؟

إذن يا صاحبي لا محيص للعلم وشرف الشعور والانسانية عن
الانتهاء بالتعليل لفاعلية الایجاد إلى الفاعل الأزلي ولا يمكن وصفه
بالأزلية إلا أن تعترف له بوجوب الوجود والاستغناء في نفسه عن
الموجود. ولا نقدر أن نصفه بوجوب الوجود ما لم نعترف له بلوازم
وجوب الوجود وملتزم بها.

وما لم تنزه ذاته المقدسة عن منافيات وجوب الوجود. وقد أسلفنا
دلالة الفطرة وحكم الشعور والوجدان السليم على أن هذا الواجب الموجد
للعلم لا بد من أن يكون عالما قد أوجد موجداته لأجل غاياتها التي
يعلمها ويقدرها بعلمه قبل وجودها كما رسمناه من صحيفة ١٠١ إلى ١٣٣
وستسمع بعون الله دلالة العلم والوجدان على أن موجد العالم لا يمكن
إلا أن يكون موقدا بإرادته وعلمه بالمراد. وهذا التكرار الملخص تذكاري
لما تقدم.

وتأسيس للكلام في مطلوبك من الجري في الكلام على المعارف
الإلهية.

واجب الوجود العالم
يلزم في وجوب الوجود أن لا يكون الواجب مركبا في الماهية
والمقدار.
فإن المركب محتاج إلى أجزائه وإلى فاعل يركبها ويؤلف بينها
والمحتاج لا يكون واجب الوجود.
إذن فلا يكون الواجب ماديا فإن المادي مهما فرض له من البساطة
في الماهية لا بد من أن يكون مركبا في المقدار وقد امتناع فرض
الجزء الذي لا يتجزأ:
وأیضا فإنه إما أن يكون ساكنا في مكان خاص فيلزم أن يكون فيه
مع جوهريته وماديته المطلقة جهة تقتضي سكونه في المكان الخاص.
وإما أن يكون متحركا فيلزم أن يكون فيه أيضا مع ماديته المطلقة
جهة تقتضي حركته الخاصة. فيكون مركبا محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل
يؤلفها فلا يكون واجب الوجود. وإن كان السكون في المكان الخاص أو
الحركة الخاصة من تأثير فاعل آخر يتصرف فيه لم يكن واجب الوجود
وانتقل الكلام إلى ذلك الفاعل المتصرف.
الدكتور: كيف يمكن أن نتصور موجودا غير مادي.
الشيخ: إن وجود الماديات وتعليلها المستقيم دليل يقودنا إلى
الاذعان بهذا الموجود الغير المادي ويجبرنا على الاعتراف به.
فإنه لا بد من تعليلها بواجب لذاته ولا يمكن أن يكون واجب
الوجود ماديا.
إذا شهدت بوجود الموجود آثاره وأعماله المحسوسة بكثرة مدهشة
فلا يصح لنا جحوده أو التوقف عن الاعتراف به لمحض قصورنا عن
تصور حقيقته.

ولماذا لا نلتفت بذلك إلى قصور أفكارنا عن معرفة جملة من الحقائق.

وإلى متى وحتى متى نكون معجبين بأفكارنا فنقابل الحقائق بالجحود الأعمى والتوقف السخيف.

عادة جرينا عليها ولم يردعنا عنها ظهور خطئنا وجهلنا وكثرة الحقائق التي نعترف بها ولا نهتدي إلى معرفة كنهها سبيلا.

سمع الناس على بعد باختراع التلغراف فضجوا بالجحود والتشكيك اغتررا بأوهامهم في الطبيعيات حتى إذا شاهدوا أعماله حمد صوتهم وصاروا يعللونه بالقوة الكهربائية التي لم يعرف كنه حقيقتها حتى الآن.

وسمع الناس بالفونغراف (صندوق الأصوات) فتسرع الناس حتى بعض الخواص الممارسين للطبيعيات وجأهروا بجحوده والتشكيك في أمره اغتررا بأوهامهم في طبيعة الصوت.

ذكر التلغراف اللاسلكي فلج السامعون بجحوده والتشكيك فيه حتى مع ألفتهم للتلغراف السلكي.

ذكر النور الغير المرئي (نور رونتكين) فعده السامعون من الخرافات اغتررا بأوهامهم في طبيعيات النور والشفافية والكثافة. وإلى الآن لم يعرف كنه الحقائق المؤثرة في هذه الأعمال.

يرون الناس أعمالها ويقفون في معرفة كنهها موقف المبهوت. نرى أعمال النفس في الحياة والشعور ولا يمكننا درك كنهها.

نعم قد تسرع بعض الناس في البحث عن ماهيتها فصار هذا يقول هذا رأيي هكذا، وهذا يقول رأيي هكذا آراء مجردة وفتاوى كأنها مقدسة لكن ذات النفس تشمئز من أوهامها وتضجر.

ما هي القوة وما هو كنهها، ما هي ماهية النفس والشعور، ما هو الوجود؟ هذه الأمور كلها غير مادية فكيف اعترفتم بوجودها؟ أليس ذلك

لأجل مشاهدة أعمالها. إذن فماذا يمنعكم عن الاعتراف بوجود واجب الوجود مع مشاهدة أعماله في هذا الكون الذي لا بد من تعليله به. يا من يفترضون الأثير افتراضاً مزعوماً ويربطون به التعليلات الطبيعية قولوا إنه في غاية اللطافة والبساطة ولكن ما هي حقيقته. هل هو مادي؟ أستم تزعمون أن المادة من نتائج زوابعه أو تكائفه.

قد أذنتم لكثير من الحقائق أن لا تكون مادية ولا بظهر لعالم الماديات والحواس إلا أعمالها فماذا يصدكم عن الازعان بذلك لواجب الوجود؟

أم تريدون أن نتقهقر في التعليل إلى ما لا يمكن أن يكون واجب الوجود. أليس من شرف الانسانية أن لا تتلون في أفكارها. أليس من شرف العلم أن يجري في نهج مستقيم عادل؟ ألا تنظر إلى غفلات الأهواء، هذه الغفلات والطفرات التي يسمونها شجاعة أدبية. أنظر إليها كيف فعلت أفاعيلها.

الدكتور: هل يمكن معرفة شيء من شأن هذا الواجب الوجود. الشيخ: نعم من الأمور ما تكون معرفته ضرورية للإذعان بوجود الوجود. فقد تكرر فيما مر أن واجب الوجود لا يكون مركباً لا في الماهية ولا في المقدار. لأن التركيب بجميع وجوهه يصاد وجوب الوجود. أليس المركب محتاجاً إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها؟ فأين يكون وجوب الوجود.

ومن ذلك يتضح أن واجب الوجود يلزم أن يكون في غاية البساطة والقدس في التركيب من جميع الوجوه. الدكتور. يا غبطة القس ويا عمانوئيل هل أنتم مدعون بما ذكره الشيخ من الدعوى والاحتجاج.

القس: هل يمكن العدول. عن جادة الحق اليقين والحجة الواضحة.

الدكتور: إذن فأسألکم عن التثليث والأقانيم التي يقول بها أصحابكم النصرى كما قال بها البراهمة والبوذيون وكثير من الأمم الوثنية.

هل هذه الأقانيم الثلاثة ترجع إلى التركيب في الماهية والجوهر بحيث تكون الأقانيم عبارة عن أجزاء هذا المركب، أم ترجع إلى أن الإله الواجب متعدد في الوجود بحيث تكون الأقانيم أفراد جنس الإله الواجب كأفراد الانسان؟

القس. قل ما تعرفه في هذا المقام يا عمانوئيل.

عمانوئيل: يقول أصحابنا إن أمر الأقانيم والثالوث فوق عقولنا لكنه موافق للعقل وقد نطق به الكتاب المقدس فوجب اتباعه. هكذا يقولون.

الدكتور: ما معنا قولهم (فوق عقولنا) هل يقولون إن العقل يراه ممتنعا ومستلتما للمحال لأنه إما أن يرجع إلى كون الإله مركبا فلا يكون واجب الوجود ولا إلها ولا قديما ولا أزليا. وإما أن يرجع إلى تعدد الآلهة وهو باطل.

إذن فكيف تقبلون قول كتابكم بهذا الذي يراه العقل ممتنعا ومحالا.

أليس العقل هو ميزان الحقائق وميزان صدق الكتاب وكذبه. ما كنت أحسب أن في الناس من يصدق كتابا في قوله الذي يحكم العقل بامتناعه وكذبه.

أم يقولون. إن أمر الأقانيم والثالوث يراه العقل جائزا ممكنا ولكنه لا يهتدي إلى إثباته سبيلا فجاء الكتاب النبوي فكشف الغطاء للعقل عن هذه الحقيقة المجهولة فوجب على الناس قبولها.

إذن فعليهم:

أولاً أن يوضحوا مرادهم من الأقانيم والثالوث وبينوا إمكان ما يقولون وعدم امتناعه عند العقل. حتى إذا وصلت النبوة إلى بيان الكتاب النبوي كان عليهم.

ثانياً أن يبينوا سند هذا الكتاب بأجمعه إلى النبوة الحقيقية واتصاله بطريق العلم واليقين لا بالتعاليل الواهية والتخمينات الباردة. ومن شروط نسبة الكتاب إلى النبوة أن لا يكون فيه شيء مما يضاد العقل ويحكم العقل بكذبه وبطلانه. ولا شيء مضاد لأصول الدين المعلومة من أساسيات تلك النبوة. ولا أساسيات ذلك الكتاب في تعليمه وأن لا يكون متناقض التعليم الديني. بل يكون كاملاً في شرق الكتب الإلهية النبوية.

(وعليهم ثالث) أن يوضحوا صراحة الكتاب في أمر الأقانيم والثالوث صراحة مفيدة في تأسيس التعليم وإعلان الديانة. يا عمانوئيل هل هذه الأمور الثلاثة مستطاعة لأصحابك. عمانوئيل: أحب تأخير الكلام في هذا حتى يتضح لنا الحال في أمر توحيد الإله وحكاية تعدده وتجسده وحينئذ تتم مباني الكلام وتتمهد أساسياته.

امتناع تجسد الإله الدكتور. هذا الإله الواجب هل يتجسد وهل يلبس الطبيعة البشرية لكي يرفع قدرها ويظهر مجده وقدرته. كما بقوله البراهمة والبوذيون وكثير من الرومان والأمم والنصارى. الشيخ: أفا كونه تعالى شأنه جسداً من الأزل بمعنى كونه مادياً من الأزل فقد تقدم امتناعه على الواجب الوجود فإنه يلزم من كونه جسداً كونه

مركبا في المقدار أو في الماهية ومقدورا لمن يلجئه إلى السكون في المكان الخاص أو الحركة الخاصة.
وأما حدوث التجسد له وتغير كيانه الأول فقد مر في كلامنا وكلامك أن واجب الوجود لا يمكن أن يتغير كيانه.
ولزيادة الايضاح نقول إن قد ذكرنا أن واجب الوجود لا بد من أن يكون منزها عن التركيب وفي غاية البساطة من كل جهة. فذلك الكيان بتلك الحقيقة البسيطة هو واجب الوجود ومن وجوب وجوده يلزم كونه أبديا.

فمن الواضح إذن أنه يستحيل أن يتبدل هذا الكيان إلى كيان آخر وإن كان بسيطا فإن الكيان الأول يخرج عن كونه أبديا وواجب الوجود وأما الكيان الثاني فهو حادث بالضرورة فلا يكون واجب الوجود. بل يجري نحو هذا البيان حتى لو فرضنا الكيان الأول لوجب الوجود مركبا فإنه بفرض تغيره إلى كيان آخر مركب أو بسيط يخرج عن فرض كونه واجب الوجود. وهذا بديهي وقد ذكرته أنت في صحيفة ٣٦٣.

ويا للعجب من قولك (ويظهر مجده وقدرته) أي مجد وقدره يظهر أن بالتجسد. هل يظهران بالخضوع لفقر البشرية وحاجتها إلى الطعام والشراب. أم بذلة الآلام والاضطهاد. أم بالصلب والاستزاء والقتل كما ابتلى به من زعم الناس أنه إليه متجسد مثل بوذا. وكرشنا. واندرنا. والمسيح. وغيرهم ممن ألهمه المكسيك والرومان وغيرهم.
عمانوئيل: يذكر الفصل الرابع عشر من كتاب أعمال الرسل أن (بولس. وبرنابا) دخلا (لستره) وشفى فيها مقعد عاجز الرجلين فقال الجموع من أهل لستره إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا. فكانوا بناء على وثنيتهم بدعون برنابا (زفس) أي المشتري. ويدعون بولس (هرمس). أي عطارد. فقال بولس وبرنابا للجموع في التوبيخ على ضلالهم والاحتجاج عليهم (لماذا تفعلون هذا نحن أيضا بشر تحت آلام

مثلكم، فوجدت في هذا الكلام احتجاجا ثمينا على بطلان تأليه البشر فإنه يستلقت الأذهان الغافلة إلى الأمر البديهي وهو أن البشر الخاضع بطبيعته لسلطة الآلام وتقلبات التغير الدائم كيف يكون إليها. الدكتور: هله تفتخر يا عمانوئيل بوجود هذا الكلام وهذه الحجة في العهد الجديد وهل تجعله دليلا على سداد العهد الجديد في تعليمه في الإلهية.

عمانوئيل: إنني أعرف مواقع إشاراتك في هذا الكرم. ولا تحسب أنني أخضع لأسماء الكتب وكل ما انطوى فيها. وإنما أخضع للتعليم الصحيح حيثما أظهر مجده بحجته الواضحة بالسير العلمي. لا بطفرة الشجاعة الأدبية. ولا تحسب أنا في غفلة عما تشير إليه فإننا قد انتقدنا على أناجيل متى، ومرقس، ولوقا، وكتاب أعمال الرسل تعليمها بتعدد الأرباب وجعل البشر ربا وأشرنا إلى تحريفها وسقوط حجتها، كما انتقدنا على إنجيل يوحنا تعليمه بتعدد الآلهة وأشرنا إلى تحريفه للمعنى وسقوط حجته.

فانظر إلى الأول في صحيفة ٧٢ و ٧٣ و ١٧٠ - ومنتقد أيضا على كتاب أعمال الرسل قوله في شأن المسيح في العدد السادس والثلاثين من الفصل العاشر (هذا هو رب الكل) - وعلى رسالة رومية قولها في العدد الخامس من الفصل التاسع (ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إليها مباركاً إلى الأبد) - وعلى رسالة العبرانيين قولها في العدد الثامن من الفصل الأول في المسيح (وأما للابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور - ١٠ وأنت يا رب في البدء أسست السماوات والأرض هي عمل يديك) - وهل ترانا لا ننتقد على رسالة فليبي قولها في الفصل الثاني (المسيح يسوع ٦ الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس) - أولاً ننتقد على إنجيل يوحنا قول في أول الفصل الأول: (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله - ١٤ والكلمة صار جسداً)

أو لا ننتقد على رسالة تيموثاوس الأولى قولها في العدد السادس عشر من الفصل الرابع (الله ظهر في الجسد).

امتناع الحلول والاتحاد

الدكتور: هذا الإله الواجب الوجود الذي يمتنع أن يتغير كيانه هل يتحد مع شيء فيكون هو وذلك الشيء واحدا.

الشيخ: ما هو معنى الاتحاد هل يتغير كيان واجب الوجود إلى كيان ذلك الشيء، أو يتغير كيان ذلك الشيء إلى كيان واجب الوجود، أو يتغير كيان الواجب وكيان ذلك الشيء بالاتحاد فيحدث كيان آخر؟ إذا كان يمتنع أن يتغير كيان واجب الوجود أو يكون الشيء الحادث بالتغير واجب الوجود فكيف يمكن أن يقال بأحد الوجوه الثلاثة.

إذا هان التنقض على الأهواء فإنه لا يهون على النفس الشريفة والعقول المستقيمة.

الدكتور: هذا الإله الواجب الذي يمتنع افتقاره إلى غيره ويمتنع أن يتغير كيانه هل يحل في الأجسام الحادثة مطلقا كما يقوله بعض الوثنيين أو يحل في بعض البشر كما يقول بعض النصارى بحلوله في يسوع (عيسى) المسيح. أو كما يقول بعض المتصوفة بحلوله في أبدان العارفين منهم.

الشيخ: ما هو معنى الحلول الذي يقول به هؤلاء؟ هذا الحلول الذي يخصصونه ببعض الأجسام دون بعض هل يمكن أن يكون مع تقدس واجب الوجود عن كل ما يضاد وجوب وجوده.

هل يحل الإله حلول البياض بالجسم والعرض بالجوهر.

ألا تدري أن البياض الذي هو عرض لا يتقدم بنفسه ولا يمكن أن يكون له تحقق ووجود بدون الجسم بل هو مفتقر في تحققه ووجوده إلى

الجسم.
أم هل يحل حلول الصورة بالمادة.
ألا تدري أن الصورة مفتقرة في وجودها إلى المادة. هل يكون
واجب الوجود مفتقرا في وجوده إلى غيره. إذن فأين وجوب وجود! ماذا
كان واجب الوجود قبل هذا الحلول الموهوم.
، هل كان متقوما بنفسه غير محتاج إلى غيره ثم تغير كيانه إلى الحال
الذي يفتقر إلى غيره.
إذن فأين يكون وجوب وجوده. الذي يتغير كيانه كيف يكون واجب
الوجود أم تقول: إنه لم يكن متقوما بنفسه بل كان منذ القديم محتاجا إلى
التقوم بغيره.
إذن فأين يكون وجوب الوجود؟ أم تقول: إن حلوله في البشر
الخاص يكون من نحو تعلق النفس ببدن ذلك البشر.
فنقول إذن فتكون أعماله وعلومه عند الحلول متوقفة على آلية البدن
كما هو الشأن في نفس الانسان المتعلقة ببدنه.
هذا التوقف في أعماله وعلومه هل كان من اقتضاء كيانه منذ القديم؟
إذن فلا يكون هو العلة الأولى في الخلق ولا يصح الوقوف عليه
بالتعليل.
وبماذا نعلل وجود البدن وآليته، هل البدن هو واجب الوجود؟
المادي المركب في الماهية والمقدار والآلات كيف يكون واجب
الوجود.
أم أن التوقف في الأعمال والعلوم حدث للإله الواجب الوجود عند
تطوره بالحلول في البدن. أليس هذا تغيرا في كيان الواجب؟
كيف يكون التغير إذن؟ من يتغير كيانه لا يكون واجب الوجود. أم

تقول: إن المراد من الحلول هو عناية الإله ببعض البشر وترشيحهم لتعليم الناس بتعاليمه الروحية الصالحة. إذن فلا تختص هذه الكرامة بالمسيح بل هي عامة لكل رسول ولكل نبي. أو ولكل صالح فما هي الحاجة إلى التعبير بالحلول. هذا التعبير المشوه.

الدكتور. ما تقول أنت يا عمانوئيل فقد جاء في العدد العاشر من الفصل الرابع عشر من إنجيل يوحنا من قول المسيح (الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلّم به من نفسي لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال).

عمانوئيل: قد تكلمنا في صحيفة ٧٢ من الجزء الأول على أن إنجيل يوحنا ينسب إلى المسيح (وحاشاه) تعليمه بتعدد الآلهة واستناده إلى تشبث تحريفي واه.

فهل من بعد هذا أحمل مسؤولية من أجل إنجيل يوحنا. وأيضا لا ينبغي أن ننظر إلى مسألة الحلول من إنجيل يوحنا. بل ينبغي أن ننظر إلى إنجيل يوحنا من مسألة الحلول.

وأيضا إن إنجيل يوحنا ومطلق كتب العهد الجديد قد تقلبت واضطربت في أساليب الكلام إذن فلا يؤخذ منها نتيجة في كلام ولا استقامة في مبدأ.

فإن إنجيل يوحنا يوسع نطاق الاتحاد والحلول ويذكر في الفصل السابع عشر عن لسان المسيح في شأن التلاميذ والمؤمنين (٢١ ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ٢٢ ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد ٢٣ أنا فيهم وأنت في) وفي الفصل الرابع من رسالة يوحنا الأولى (٨) ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة ١٦ الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه) فلا يعرف من هذه الكلمات فساد المبدأ أو تشويه الكلام بالتعبيرات

السخيفة.

ومن ذلك ما في الرسالة الأولى لأهل كورنتوش في العدد السادس عشر من الفصل الثالث (أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم) ونحوه ما في العدد الثاني والعشرين من الفصل الثاني من رسالة أفسس. لكن تقف تشبثات التأويل عند العدد العشرين من الفصل السادس من رسالة كورنتوش الأولى في قولها (وفي أرواحكم التي هي الله).

الإله لا يلد

الدكتور. هذا الإله الواجب الوجود الذي لا يتجزأ لا في الماهية ولا في المقدار ولا يتغير كيانه هل يلد أو هل ينبثق من جوهره وكيانه الإلهي موجود آخر نسميه إلهها مولودا من الإله.

الشيخ: ما هو معنى الولادة التي تقولها؟ هل هو أن يفصل جزء من الإله ويدخل أرحام النساء فيكون إنسانا؟

فكيف يكون هذا مع أن واجب الوجود لا يتجزأ ولا يتغير كيانه: وما هو معنى قولك (ينبثق من جوهره وكيانه الإلهي) هل تريد مثل ما ينبثق الثمر من الشجر فتكون أجزاء الشجر ثمرا بسبب تقلب النمو وتطورات أجزاء الشجر بالتغير؟

كيف يكون هذا مع أن واجب الوجود لا يتجزأ ولا يتغير كيانه. الدكتور. ماذا تقول أنت يا عمانوئيل في هذا الشأن.

عمانوئيل: قد عرفت الغرض الذي ترمي إليه. وإني قد تتبعته الكتب المنسوبة لنبوات الديانة الإسرائيلية والديانة النصرانية فوجدتها مضطربة المبدأ قلقة الكلام في معنى الولادة من الله - (فتارة) يلوح منها أنها تريد بالنبوة لله والولادة منه معنى جائزا وإن تشوهت عبارته بسخافة المبالغة.

تريد بذلك محض ارتباط الملة أو الشخص بالإيمان والتوحيد
والصلاح وامتيازه بذلك عن البشر فتشير بذلك إلى امتياز هؤلاء بالارتباط
بالله بالإيمان وصلاح الطاعة كامتياز الولد بالارتباط والانقياد لأبيه وشرف
مكانه عند الأب.

وربما يكون من ذلك ما يحكى عن قول الله في شأن بني إسرائيل.
في التوراة في العدد الثاني والعشرين والثالث والعشرين من رابع الخروج
وفي أول الفصل الحادي عشر من كتاب هوشع (إسرائيل ابني البكر
- أطلق ابني) (لما كان إسرائيل غلاماً أحببته. ومن مصر دعوت ابني)
وفي شأن سليمان بن داود (لأنني اخترته لي ابناً وأنا أكون له أباً) كما في
الفصل السابع عشر والثاني والعشرين والثامن والعشرين من سفر الأيام
الأول والسابع من سفر صموئيل الثاني. وما يحكى عن المسيح في شأن
المؤمنين الصالحين من قوله (لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات
- طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) كما في خامس متى.
والعهد الجديد كثيراً ما سمى المؤمنين (أولاد الله) كما في العدد الثاني
عشر والثالث عشر من الفصل الأول من إنجيل يوحنا والعدد الأول والثاني
من الفصل الخامس من رسالة يوحنا الأولى. والعدد الرابع عشر
والسادس عشر من الفصل الثامن من رسالة رومية.

لكن تارة أخرى تذكر الولادة في العهدين بنحو التأليه التابع للتقاليد
الوثنية بحيث لا يقبل إصلاح التأويل. فمن ذلك ما في العدد السادس
من الفصل التاسع من أشعيا في قوله: (لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً
وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إليها قديماً أبدياً)
ومن ذلك ما تضمنه الفصل العاشر من إنجيل يوحنا من العدد الثالث
والثلاثين إلى السابع والثلاثين فإنه يذكر ما حاصله أن اليهود قالوا للمسيح
(نرجمك لأجل تجديف أي لأجل أنك تتكلم بالكفر والشرك.
فإنك وأنت إنسان نجعل نفسك إلهاً فقال يسوع: أليس مكتوباً في
ناموسكم أنا قلت: إنكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك ولا يمكن أن ينقض

المكتوب فالذي قدسه الأب أتقولون له إنك تجذف (تكفر وتشرك) لأنني قلت إني ابن الله) فانظر إلى هذا الكلام وتعليمه السخيف بتعدد الآلهة. له احتجاجه التحريفي الواهي فإنه ينادي بأن المراد من ابن الله هي النبوة الوثنية الإشرائية.. ومن ذلك ما في العدد الثالث من الفصل الأول من رسالة العبرانيين في قولها في المسيح المعبر عنه بالابن (ورسوم جوهره) أي جوهر الله جل شأنه. أو (وصورة جوهره) أو (وصورة أفتومه).. ومن الدواهي أنه يوجد في العدد التاسع من الفصل الثاني من رسالة العبرانيين في المسيح (لكي يذوق بنعمة الله الموت) والنسخة الثالثة المذكورة في الجزء الأول في صحيفة ١٩ و ٢٠ تذكر في حاشيتها أن هذه العبارة تقرأ هكذا (لأن الله نفسه بنعمته ذاق الموت) تعالى الله عما يصفون وهذا الغلط لو لم يكن جائزا عند أصحابنا النصرى لما رسموا عبارته المشومة في قراءة كتب وحيهم وطبعوها لكي تنشر في العالم. فيا للأسف والعجب.

الدكتور: هذا الإله الواجب الوجود الذي لا يتجزأ ولا يمكن أن يكون مركبا لا في الماهية ولا في الوجود ولا في المقدار. هل يلزم أن يكون واحدا مقدسا عن الشريك في الإلهية. أو يجوز تعدد الآلهة والشركاء في الإلهية. كما خبطت به أفكار الكثير من المتدينين بالإلهية.

الشيخ: لما لزم الاعتراف للإله الذي هو العلة الأولى للكائنات بأنه واجب الوجود ولا يمكن أن يكون متجزيا ولا مركبا لا في الماهية ولا في الوجود ولا في المقدار فكيف يتعدد الإله.

ولأجل تشريح الكلام وتوضيح البيان وتتبع الأوهام في متاهاتها نقول إن تعدد الإله لا بد فيه بعد الاشراك في الإلهية أن يمتاز كل واحد بمميز له عن الشريك الآخر بحيث يتحقق التعدد ويصح الحكم به.

فهذا المائز هل هو بجعل فاعل متصرف. وبتصرفه وتكوينه ميز كل واحد عن صاحبه. إذن فالإله الذي هو الفاعل الأول وواجب الوجود الذي قلنا به هو ذلك الفاعل الذي ميز بتكوينه هذه الأفراد التي تكون بذلك أفرادا عالمية فلا يكون وصفها بالإلهية ووجوب الوجود إلا من أغلاط الضلال والجهل - لا تقل إن هذا الفاعل المتصرف متعدد. فإننا ننقل هذا الكلام بعينه إليه. فإلى أين تذهب وعلى ماذا تقف بالتعليل. أم هل تقول إن المؤثر في إمتياز كل واحد من الأفراد المتعددة هو طبيعي فيه. فنقول لا بد من أن يكون المائز في امتياز كل منها هو غير الجهة المشتركة بينها من الطبيعة الإلهية ووجوب الوجود كما هو واضح. فيكون كل من الأفراد مركبا من الطبيعة المشتركة - ومائزه الطبيعي فيكون محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها ويركبها فلا يكون كل منها واجب الوجود.

لا أراك تقول كما قيل إن المائز بين الأفراد هو نفس الطبيعة المشتركة بينها.

ألا تدري أن الذي يترأى سرا به للخيال من هذا الفرض الموهوم هو فرص شدة القدر المشترك في بعض الأفراد وضعفه في البعض الآخر قياسا فاسدا على مثل امتياز السوادين بالشدة والضعف وامتياز كثير الشئيين من قليلهما.

كيف يخفي عليك أن تحقق الأشدية والأضعفية والاختلاف بهما يتوقف على امتياز الأفراد ولو من حيث المكان والمقدار والحدود ثم يتحقق الامتياز بالشدة والضعف.

أو هل تقول: إن المائز بين أفراد الآلهة المتعددة إنما هو معلول لأمر طبيعي.

فنقول من الواضح الجلي أنه لا بد من أن يكون في التعليل الطبيعي ارتباط طبيعي بين وجود العلة الخاصة ومعلولها الخاص فلا بد إذن من أن تكون علة المائز في هذا الفرد غير علة المائز في الفرد الآخر فيلزم على

فرض التعدد أن يكون في كل واحد من المتعددين جزء هو القدر المشترك بين الآلهة المتعددة وجزء يعلل بطبيعته لكل فرد مائزته الخاص به. فيكون كل واحد من الأفراد مركبا محتاجا إلى أجزائه وإلى فاعل يؤلفها. إذن فكل واحد من الأفراد لا يكون واجب الوجود. بل نقول. إن كل واحد من أجزاء الماهية محتاج في وجوده إلى الجزء الآخر فلا يكون شئ من ماهية الآلهة المتعددة واجب الوجود. فيا للعجب من الانسان. تراه يتفهقر ويضل وأعلام الطريق له واضحة وأنوار الحقيقة ساطعة. فها هو يضطره شعوره إلى تعليل الكائنات تعليلا مستقيما يستقر على موقف علمي يثبت فيه الأقدام. وبأوليات شعوره يقدر مبدأ تعليله قديما أزليا.. حينما تكون فطرته العلمية التي تنبئه من الغفلات تناديه بأن القدم والأزلية والوقوف بالتعليل لا تستقيم ولا تخرج عن الأوهام المستحيلة إلا بالاعتماد على واجب الوجود وحينما يعرفه وجدانه واعتباره في الكائنات العالمية التي تهتف باسم غاياتها إن هذا الواجب الوجود الوجود يوجد الخليقة على الحكمة والعلم بالغاية فاعترف به إليها وسماه في كل لغة باسم خاص مقدس. وحينما يناديه الشعور العلمي بأن وجوب الوجود ينافيه تركيب الموجود بجميع صور التركيب. كيف لا ينافيه؟!

والتركيب تلزمه الحاجة إلى الأجزاء والحاجة إلى فاعل يؤلفها. وينادي بأن الأفراد التي يدعى اشتراكها في الإلهية لا بد من أن تكون مركبة.

فيا أيها الانسان لماذا تفهقرك أوهام الأهواء عن الحقيقة رغما على أساسياتك التي لا محيد لك عنها في شرف العلم وناموس الشعور. تتفهقر وتجعل الإله آلهة متعددة فلا تقدر حينئذ أن تصف واحدا منها بوجوب الوجود الذي هو الأساس في الإلهية وعليه بيتني عرفانها..

لماذا عدلت عن الحقيقة إلى المستحيلات ونكصت عن الجادة إلى التيه وعن المنهل إلى السراب. أين أساسياتك في الإلهية. أم أين الاستقامة في الشعور؟

هذا حال الانسان الأثيم وقد احتج عليه إله الحق ووبخه على التقهقر التعيس في النكوص إلى تيه الضلال من نصف الطريق الواضح. فقال جل اسمه في الآية السابعة والثمانين في سورة الزخرف المكية: (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) جريا على فطرتهم في الوقوف بتعليل الخلق على واجب الوجود الذي اسمه المقدس الخاص به في العربية (الله) كما يسمى في كل لغة باسم خاص به مقدس. فإنه مهما غاب عن الانسان شيء فإنه لا يغيب عنه كونه حادثا بعد عدمه ينادي وجود مجموعته وأجزائه بخلقته على الحكمة وقصد الغاية. فلا بد له من تعليل وجوده بخلقة الله إذن (فأنى يؤفكون) ومن أين جاءهم إفك الضلال بتعدد الآلهة وكيف يجمعون بين الانخداع لإفك الشرك وتقديس الله بوجوب الوجود والكمال الإلهي:

وقال تعالى في سورة العنكبوت المكية الآية ٦١ و ٦٣: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله) على نعمه وظهور الحق وقيام الحججة والله الحججة البالغة (بل أكثرهم لا يعقلون).

وجاء نحو هذا الاحتجاج أيضا في الآية الرابعة والعشرين من سورة لقمان المكية، والتاسعة والثلاثين من سورة الزمر المكية.. وقال جل اسمه في سورة النمل المكية من الآية التاسعة والخمسين إلى السادسة والستين (الله) الذي يعرفونه ويعترفون بأنه الإله الخالق (خير أم ما يشركون) ويجعلونه إلهها مع الله مما لا يقدر أن يجعلوه واجب الوجود. بل ينتج من ضلال شركهم وقولهم بتعدد الآلهة أنهم لا يقدر أن يصفوا واحدا

بوجود الوجود. هذه المخلوقات التي تشارك بها هل تدعون أو تقيمون الحججة على أنها خلقت شيئا. أو أفادت في العالم نفعا (أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبأنا به حدائق ذات بهجة) (١) بعد أي كانت أرضا فقراء موحشة و (ما كان لكم) وبطافتكم (أن تنبتوا شجرها) (١) أفليست الحججة قد دلت على أن الخالق العليم هو الله واجب الوجود. واعترفت الناس وأقرت به.

إذن فكيف يشرك المشركون وأنى لهم بوجوب الوجود مع الاشتراك (إله مع الله بل هم قوم يعدلون) عن الحق إلى الباطل وعن العلم إلى الجهل وعن سداد الحججة إلى وهن الأغاليط (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي) (٢) من الجبال تنفذ منها النار السيارة في الأرض لمنافعها فتكون الرواسي بحكمتها واقية للأرض من الميدان بالزلازل ومخففة لوطأته (وجعل بين البحرين حاجزا) (٢) من القدرة يبقى معه العذب على عذوبته والملح على ملوحته والتيار على جريانه والراكد على ركوده.

أفلا يعترف المشركون أن الجاعل لذلك هو الله الواجب الوجود بل أنهم ليعترفون. إذن فكيف يشركون (إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) (٢) ولا يهتدون إلى رشدهم في العلم وأتباع الحججة، تشذبهم الأوهام وتقلبهم التقاليد على أعقابهم.

ألا، وإن لكل بشر حالات وأوقات تفر بها نفسه إلى الله مولاها فتلتجئ به في حاجاتها وشدائد اضطرارها وكثيرا ما يفرج عنها وهي عارفة بنجاح التجائها وإجابة سؤلها حتى إذا تمتعت بالفرج زمانا نسيت النفوس ذلك التوجه وذلك الالتجاء وتلك الإجابة.

(١) سورة النمل. الآية / ٦٠.

(٢) سورة النمل: الآية / ٦١.

أفلا يعتبر المشركون بتلك الحالات إذ يرون نفوسهم تفر إلى مولى واحد لا تنزل حاجتها إلا بساحة رحمته ولا ترى نجاحها إلا منه. فما الذي أغفلهم عن ذكر ذلك والتبصر به في جميع الأحوال. أفلا ينظرون إلى من تلتجئ نفوسهم عند شدائد الاضطرار (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) (١) في طبقات خلقكم وفنائكم تتعاقبون خلفا بعد سلف تقعدون مقاعد الماضين وتمتعون بأموالهم التي كدوا فيها ومنازلهم التي تعبوا في عماراتها ورياساتهم التي اغتروا بها (إله مع الله) (١) ولو أحسنتم التذكر والتبصر في جميع أوقاتكم بحالات نفوسكم عند اضطراراتها ونجاح التجائها رغما على الأسباب العادية وصدق عرفانها بمولاها في تلك الأحوال التي تتخلص فيها النفوس من أسر الأهواء وتتوجه بحرية فطرتها إلى الله لما اختلجت في عرفانكم الشكوك ولا طمعت فيكم غواية الأهواء وأوهام الشرك ولكنكم (قليلا ما تذكرون) * أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) (٢) بدلالة الكواكب التي خلقها (ومن يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته) (٢) يسخر بها السحاب ليغيثكم برحمة مطره أفلمستم تعرفون الله (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) (٢) وتقصد بوجوب وجوده وكماله الإلهي.

ويا أيها الذين يؤمنون بالمعاد والقيامة بعد الموت (أمن يبرأ الخلق) (٣) كما ترون حدوث الكائنات في الخلق طبقة طبقة وفنائها طبقة طبقة (ثم يعيده) (٣) في أنواع الكائنات على أحسن تماثل وأتم تناسب في طبقاتها ومواليدها ويعيدها في أشخاص الانسان من بعد الموت كما تعترفون به وتنسبون الخلق إلى الله واجب الوجود (ومن يرزقكم من السماء والأرض) (٣) ما به قوام حيوتكم (أإله مع الله) (٣) الذي تعرفونه

(١) سورة النمل: الآية / ٦٢ .

(٢) سورة النمل. الآية / ٦٢ - ٦٣ .

(٣) سورة النمل؟ الآية / ٦٤ .

وتعترفون به وبأنه الخالق وكاشف الضر ومدبر الأمور فأين تذهب بكم الأوهام (قل) (١) لهم يا مجادلهم سامحناكم عن كون تعدد الآلهة من الأوهام المستحيلة وأن الإلهية وكمالها ووجوب الوجود منافية لتعدد الآلهة.

لكن ما هي حججتكم على شرككم وإلهية من تدعونه شريكا لله؟ ولا نطالبكم بأن كلما تدعونه إلهًا مع الله هو رهن لدلائل الحدوث والحاجة إلى الإله الخالق. نغض الطرف عن ذلك لكن هل تكون دعواكم مقدسة لا يسأل عن برهانها. هيهات (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (١) وما هو برهانهم. هل يقدر أن يقيموا الحجة الكافية على أن من يدعونهم آلهة مع الله قد خلقوا خلقًا بقدرتهم الذاتية الإلهية في مقابل قدرة الله وخلقته. من أين تكون لهم الحجة على ذلك.

قال الله جل اسمه في الآية الأربعين من سورة فاطر المكية (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرؤني) بعلم اليقين (ماذا خلقوا من) عالم (الأرض أم لهم شرك في) عالم (السموات) وخلقهم (أم أتيناهم كتابا) يكون لهم وثيقة بالاعتراف باشتراكهم في الخلق في خلق شيء من الأرض والسموات (فهم) بهذا الكتاب وهذه الوثيقة الاعترافية بالاشتراك في الخلق (على بينة منه) وأين يكون ذلك؟

بل (إن يعد الظالمون بعضهم بعضا) في واهيات الشرك وخرافاته (إلا غرورا) وجاء نحو ذلك في الآية الثالثة من سورة الأحقاف المكية والآية السابعة عشر من سورة الرعد المكية. هؤلاء الآلهة المتعددون بالفرض المستحيل ماذا تفرضون لهم أيها المشركون من الحال بالنسبة إلى خلق العالم وتدييره وارتباط مخلوقاته وأطواره، وانتظامه في

(١) سورة النمل، الآية: ٦٤.

أدواره ودهوره. هل تقولون إنهم مشتركون في كل خلق، وفي كل عمل وفي كل تدبير في جميع العالم وفي جميع الأحوال وجميع الأزمان.

مهما تنزلنا إلى المحال وتساهلنا في وجوب الوجود واستقامة التعليل فلا بد في فرض تعدد الآلهة من أن يكون كل واحد من الآلهة الموهومة غير كامل في مقام الإلهية. وذلك لأجل احتجابه عن الكمال الإلهي بالجزء المميز له عن الفرد الآخر.

ذلك الجزء الذي لا يمكن أن يكون من مقام الإلهية لأنه لو كان من مقام الإلهية المشتركة لما كان مميزا في اشتراكها.

إذن فلا بد من أن تختلف علوم هذه الآلهة وأميالها وإرادتها وقدرتها ورحمتها وغضبها وعدلها بحسب طباع تلك الأجزاء المميزة المتباينة. والمفروض أنهم ليس لكل منهم كمال إلهي تام يوحدهم.

ولا عليهم سلطة سياسة تنظم أمرهم، ولا تسديد من تسديد إله كامل في الإلهية فوقهم، ولا حاجة في كيانهم وبقائهم إلى مخلوقهم واستقامة نظامه وبقائه لكي يحافظوا على ذلك فيتنازل كل منهم عن معلوماته وأمياله وإراداته وأعمال قدرته ورحمته وغضبه فينقاد إلى جهل صاحبه وضعفه وتساهله أو شدته. ولا تهديد يلجئهم إلى هذا التنازل لأجل التحزب وعقد الجمهورية الزمنية للمحافظة على كيان اجتماعهم من خطر التهديد المحقق بهم.

وعلى هذا فإن فرضناهم مشتركين في خلق جميع العالم وجميع مخلوقاته وتدبيره في أطواره وانتظامه في أدواره لم يستقم للعالم نظام ولا للموجودات بقاء ولا للطبائع والجبالات ناموس.

وهذا هو مرمى الاحتجاج بقوله تعالى في الآية الثانية والعشرين من سورة الأنبياء المكية: (لو كان فيهما) يعني السماء والأرض (آلهة إلا الله لفسدتا) أي غير الله يكونون آلهة مثله وفي قبالة بدون أن تكون

عليهم سيطرة خالقية إلهية (فسبحان الله رب العرش عما يصفون).
وإن فرضنا اختصاص كل واحد بقسم من المخلوقات في خلقه
وحفظ بقائه وتديره شؤونه في أطواره وأدواره لم يستقم للعالم أيضا نظام
ولا للمخلوقات بقاء ولا للطبايع والجبالات ناموس. فإننا نرى اشتباك
العالم بالعلائق وارتباط الموجودات بالتأثير واقتران الطبايع في النواميس
وتشابكها في التوليد وتركب الموجودات في الخلق.
وهذا هو مرمى الاحتجاج في قوله تعالى في الآية الواحد والتسعين من
سورة المؤمنون المكية (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا
لذهب كل إله بما خلق) حسب ما يقتضيه علمه وإرادته وميله وقوته
وغضبه وعدم الموحد له مع الآلهة الأخرى في الرأي والعمل كما ذكرنا
فينحل نظام الكائنات ويبطل ناموس التكوين (ولعلا بعضهم على
بعض) فإنه لا داعي لتنازل العالم للجاهل والقوي للضعيف والمغضب
للراضي والراضي للمغضب في كل موارد الاختلاف والاختصاص
(سبحان الله) وتقديسا وتنزيها لشأنه العظيم (عما يصفون) بأوهامهم
من نسبة الولد والشريك له، فإنه وصف لا يبقى معه للإلهية شرف ولا
كمال ولا معنى معقول ولا لوجوب الوجود حقيقة، ولا لنظام العالم بقاء.
ولا تحسب أن من يؤله الجماد والحيوان وأجرام الكواكب يقول
بإلهيتها بما هي جماد لا حياة فيه أو بما هي حيوان ناقص الشعور بل
يجعل لها مما وراء الحس شيئا من صفات الإلهية من الحياة والعلم
والقدرة والتصرف والتدبير كما هو شأن الوثنيين.
فالقرآن الكريم جاري بحجته هذه بساطة أفهامهم التي يستلفتها من
جانب المحسوسات والتجارب في الطبايع المحجوبة بنقص الجسمانية
والمادية عن الكمال التام الإلهي حيث لا يكون لها تعليم موحد ولا مانع
عن الاختلاف.
وبقيام الحجة على أن القرآن الكريم كلام إلهي يتجسم هذا

البرهان في الحس والوقوع. فيقال إن هذا إله ينفي شركاءه فلو كان هناك شريك لثار الجدل والانتصار للشرف والدفاع عن الحقوق فاستولى الفساد والانحلال على العالم في هذه الحرب العمومية الإلهية.

يا عمانوئيل يطول تعجبي من أصحابك النصارى. هذه كتبهم التي اتفقوا على أنها وحي الله تصرف بأن المسيح عيسى (ع) مخلوق لله ففي صراحة العدد الخامس عشر من الفصل الأول من رسالة كولوسي إنه بكر كل خليفة وفي العدد الرابع عشر من الفصل الثالث من رؤيا يوحنا إنه بداية خليفة الله.. وإنه يلتجئ إلى الله في مهماته ويدعوه ويتضرع له. فانظر العدد الرابع عشر والخامس عشر من الفصل الحادي عشر من إنجيل يوحنا.

ويستغيث إلى الله في دفع الموت عنه.

أنظر في الفصل السادس والعشرين من متى والرابع من مرقس والثاني والعشرين من لوقا.

وفي السابع والعشرين من متى والخمس عشر من مرقس أنه استغاث بالله على الصليب قائلاً إلهي إلهي لماذا تركتني. وذكرت الأناجيل زيادة على ما ذكرنا اعترافه بأن الله إلهه وأن الله هو الإله الحقيقي فانظر إلى العدد السابع عشر من الفصل العشرين من إنجيل يوحنا والعدد الثالث من الفصل السابع عشر منه وأن الله يسميه عبدي وفتاي فقد جاء في أول الثاني والأربعين من أشعيا عن قول الله تعالى: (هو ذا عبدي أعضده إلى آخر العدد الرابع) وذكر الفصل الثاني عشر من إنجيل متى أن المقصود بذلك هو المسيح أنظر إلى العدد الخامس عشر إلى الثاني والعشرين وإن بدل الإنجيل لفظ (عبدي) بلفظ (فتاي) بل صرحت رسالة أفسس في العدد السابع عشر من الفصل الأول بأن الله إله المسيح بل ذكر أصحابك في قاموس الكتاب المقدس وكتاب

مغني الطلاب في أسماء عيسى المسيح (الانسان يسوع المسيح.. بداءة خليقة الله) - ومع هذا كله ويا للأسف يقول أصحابك إن المسيح إله، حتى إنهم في قاموس الكتاب المقدس في مادة بيت لحم في تمجيد هذه القرية بولادة المسيح فيها قالوا (ففيها إذن تجسد اللاهوت وسكن الله مع الناس) وفي مادة مسيح ذكروا من أسماء المسيح عيسى (الإله القادر على كل شيء، رب الأرباب).

وفي كتاب مغني الطلاب الذي هو تأليف روحانيهم في الكتب الدينية يذكر في عنوان ألقاب المسيح وأسمائه الواردة في العهدين. (إله. إله مبارك إلى الأبد إله الأنبياء. الإله القادر على كل شيء. إله قدير. الإله الحق. الله. ويذكر أيضا في ألقاب المسيح: الشفيع. ملاك الرب. ملاك حضرته. الرسول. ذراع الرب. نبي. فتاك القدوس. عبدي). وأشار إلى أول الثاني والأربعين من أشعيا وكأنه استنكف أن يقول عبد الله أو خاف من التناقض. ويا للأسف. عمانوئيل: التناقض ليس من أصحابنا وكتاب مغني الطلاب فقط بل جاء هذا التناقض في كتب العهدين. فإن نفس التوراة تؤكد تعليمها بوحدة الله وتأكيد النهي عن تسمية غير الله إلهها ففي العدد الثالث عشر من الفصل الثالث والعشرين من سفر الخروج عن قول الله (ولا تذكر اسم آلهة أخرى ولا يسمع من فمك) وفي العدد الخامس والثلاثين والتاسع والثلاثين من الفصل الرابع من سفر التثنية (لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه. إن الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت ليس سواه) وفي العدد التاسع والثلاثين من الفصل من سفر التثنية) أنا هو الرب وليس إله معي).

ومع ذلك تذكر التوراة عن قول الله لموسى في العدد السادس عشر من رابع الخروج في شأن هارون (وأنت تكون له إله) وفي العدد الأول من سابع الخروج (أنا جعلتك إله لفرعون وهارون يكون نبيك) - وجاء في العدد السادس والثامن من الفصل الرابع والأربعين من أشعيا عن

قول الله (أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري، هل يوجد إله غيري) ومع ذلك يذكر في أشعيا عن وحي الله في العدد السادس من الفصل التاسع (يولد لنا ولد، ويدعى اسمه إلهنا قديرا أبا أبديا). وهلم الخطب في العهد الجديد إذ يعلم تارة بتعدد الأرباب وتعدد الآلهة كما مر في الجزء الأول في صحيفة ٨٨. وتارة يحمل المسيح إنسانا مضطهدا يتألم ويجوع ويحزن ويكي ويتصرف به إبليس. ويعترف بأن الله إله، وأنه عبد الله وفتاه، وتارة يجعله إلهها كما مر في صحيفة ٥٩ و ٦١.

كرامة القرآن في حججه وتعليمه

قال الله تعالى في الآية الرابعة والستين من سورة آل عمران: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) وهي كلمة التوحيد توحيد الإله. الكلمة التي تلهج بها ألسنتنا وألسنتكم وكتبنا وكتبكم فكانت هذه الكلمة في مبدأ التعليم وأساس الديانة وصراحة الكتب سواء بيننا وبينكم. فلماذا تحيدون عن ذلك وتهدمون أساس التوحيد وتشوهون التعليم الحقيقي بل تعالوا إلى التمسك بحقيقة كلمة التوحيد و (ألا نعبد إلا الله) الذي نعرف إلهيته ونعترف بوحدانيته فلا ندعو معه إلهها آخر ولا ربا آخر (ولا نشرك به شيئا) كما ذكر في فلتات كتبكم، التوراة الرائجة، والكتاب المنسوب إلى أشعيا، والأنجيل الرائجة، والرسائل المنسوبة إلى بولس (ولا يتخذ بعضنا بعضا) من البشر (أربابا من دون الله) الذي نعترف بإلهيته وقده فلا نجري على تحريف الأنجيل وتعليمها بتعدد الأرباب (١) واتخاذ البشر ربا من دون الله الذي خلقه. فإن اتخذ البشر ربا يرجع في الحقيقة إلى الجحود لشرف الإلهية وجلال الله في حقيقة الربوبية (فإن تولوا) ولم يأخذوا بحظهم من الهدى والرشد والسلامة من التناقض ولم يقبلوا النصيحة ولم يصنعوا

(١) كما مر ذلك في الجزء الأول صحيفة ٧٣.

إلى الحجة القاطعة (فقولوا) لهم في مقام الأعذار والتوبيخ (اشهدوا بأنا مسلمون) لله ربنا بحقيقة توحيدہ متمسكون بكلمة الاخلاص في عبادته كما نعترف لجلاله بالتوحيد. فلا نتقهقر عن ذلك ولا نخادع عقولنا.

وقال تعالى في الآية الحادية والسبعين بعد المائة من سورة النساء (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) في البشر المخلوق الذي تعرفون أنه رهينة الضعف والآلام وفقر البشرية ولا ترفعه إلى درجة الإلهية والربوبية. وكيف تتجاوزون بالمخلوق البشر الفقير وتعدون به عن حدوده المعلومة إلى حدود الإلهية المقدسة عن كل ضعف وفقر المتعالية بكل جلال وكمال وعظمة.

وإنكم لتعرفون بهذا لمقام الإلهية الشامخ وتعرفون ضعف البشرية وفقرها فكيف انخدعتم وتناقضت آراؤكم فغاليتم بالبشر واجترأتم على جلال المقام الإلهي وعظمة الله الذي تعترفون بجلاله ووحدانيته وقدسسه. فراجعوا رشدكم واستقيموا في شعوركم ولا تغلوا في دينكم (ولا تقولوا على الله إلا الحق) الذي يليق بجلال الإلهية ووحدانية الإله ولا تجعلوه والدا ولا تجعلوا له مولودا. كيف يلد الإله؟ وكيف يكون المسيح ولدا له. وكيف تفرضون هذه الولادة الموهومة التي تخصون بها المسيح وتألهونه بها.

ليس الله مركبا مقداريا ينفصل منه جزء ويتجزأ منه شيء وينشق منه منبثق تعالى الله عن ذلك (إنما المسيح عيسى ابن مريم) البشر الخاضع بضعف البشرية وفقر الناسوت كما تعلمون (رسول الله) أكرمه بالرسالة وشرفه بمقامها.

وإن سمعتم بكراماته فإن ذلك من نعمة الله عليه كما تشهد أناجيلكم الرائجة باعتراف المسيح لله بالفضل والمنة عليه (١) كما أكرم

(١) قد كثر في الأناجيل الرائجة ذكر اعتراف المسيح بذلك فانظر أقلا لو ٢٢: ٣٩ و١١: ٤١ و٤٢: ١٧ و٢: ٢٢.

موسى: إيليا واليشع حسبما تذكر كتبكم (١) وإن سمعتم بولادته من غير فحل فخلق الله لآدم وحواء أعجب من ذلك (٢) بل إنه خليقة الله (٣) (وكلمته) كلمة القدرة التكوينية وهي قول الله جل شأنه بأنه بأمر قدرته (كن) كما يذكر أول توراتكم في خلق السماوات والأرض والنور وآدم أن الله تقديس اسمه يقول بقدرته (ليكن كذا) فيكون المخلوق بعد عدمه. وهذه كلمة القدرة والتكوين البديع (ألقاها إلى مريم) وأجراها في آلات تناسلها. فالمسيح أثر كلمة القدرة وصنيعة تكوين الله (وروح) موهوبة (منه) ومحبة بلطفه ومكونة بخلقه (٤) (فآمنوا بالله ورسله) بالثبات على حقيقة التوحيد والحذر من مخادعات الهوى والشيطان ومخالسات الشرك وبتصديق رسله فيما يجيئون به من دين الحق وحقيقة التوحيد المؤيد بدلائل المعجزات (ولا تقولوا ثلاثة) حينما تقولون وتعترفون كما تصرف به كتبكم من أن الله جل شأنه إله واحد. وكيف تقولون إنه ذو أقانيم ثلاثة. الابن على الأرض بشر يتألم ويموت،

-
- (١) أنظر إلى التوراة في سفر الخروج من الفصل الرابع إلى الخامس عشر فيما ذكر من آيات رسالة موسى. العصا. وضربات مصر. وشق البحر. وانظر - إلى معجزات إيليا واليشع مما ذكر في الفصل السابع عشر والثامن عشر من الملوك الأول. والفصل الأول والثاني والرابع إلى الثامن من الملوك الثاني ومن ذلك إحياء الأموات وشفاء المرضى والبرص.
- (٢) أنظر الفصل الثاني من التوراة.
- (٣) كما ذكرناه صحيفة ٣٩١ من صراحة العهد الجديد بذلك.
- (٤) فكما قال الله جل اسمه في شأن آدم في الآية التاسعة والعشرين من سورة الحجر المكية والثانية والسبعين من سورة ص المكية: (ونفخت فيه من روحي) المخلوقة بالقدرة قال جل اسمه في شأن المسيح وأمه في حملها به في الآية الحادية والتسعين من سورة الأنبياء والثانية عشر من سورة التحريم (فنفخنا فيها من روحنا) (فنفخنا فيه من روحنا) وكنى بالنفخ عن إيلاج الروح في البدن رعاية للطاقة الروح كالريح التي تولج الأجسام بالنفخ.

والروح القدس ينزل بشكل حمامة، وينقسم على التلاميذ كألسنة نار، والأب يبقى في السماء. ما هذه الكلمات؟ لماذا توقعون أنفسكم في التناقض بتوحيد الله وتثليثه.

كيف يكون الواحد الحقيقي ثلاثة وكيف تكون الثلاثة واحدا حقيقيا.

وكيف يتعدد واجب الوجود أم كيف يتجسد أم كيف يلد أم كيف يولد (انتهوا) عن هذه التناقضات والمستحيلات فإن الانتهاء (خير لكم) في دينكم وشرف شعوركم. فإنكم محجوجون بكتبكم واعترافاتكم (إنما الله إله واحد) كما تعترفون به وتلهج به كتبكم التي تقدسونها. لا سبيل إلى جحود الوجدانية فإن جحودها يرجع إلى جحود وجوب الوجود وجحوده إلى جحود الإلهية (سبحانه أن يكون له ولد) وما معنى ولادته واتخاذها الولد.

فإن كان ذلك بمعنى الخلق فهو خالق كل شيء (له ما في السماوات وما في الأرض).

أم تقولون إن المقصود من البنوة لله والولدية هي علاقة الإيمان به ورابطة التوحيد كما سماكم بذلك العهد القديم والعهد الجديد كما تقدم في صحيفة ١٥٠ إذن فلماذا تخصون المسيح بالولدية والبنوة وتجعلونها من ألقابه الخاصة به كما يعرف ذلك من الأناجيل والرسائل وأول رسالة العبرانيين.

ما هذا التعبير الرديء الساري من وخامة الوثنية وعدوى الشرك القديم.

فإن القرآن الكريم يشير بحجته القاطعة إلى تكذيبكم في دعواكم إن الوحي سماكم أبناء الله كما ذكرناه عن العهدين الرائجين ففي الآية الثامنة عشر من سورة المائدة قول الله تعالى ذكره (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل) إن صدقت كتبكم الرائجة في نسبة

تسميتكم بهذا اللقب إلى الوحي وكنتم صادقين بهذا اللقب (فلم يعذبكم بذنوبكم) بالعذاب الدنيوي الذي طالما اشتعلت نيرانه في بني إسرائيل الذين تقول التوراة إن الله سماهم (ابني البكر. ابني) ولماذا يعذبكم في الآخرة كما تعترفون به وتفزعون يا معشر النصارى إلى غفران القسوس. إن الابن الحبيب كيف يعذب.

وقال الله جل اسمه في الآية الثانية والسبعين بعد المائة من سورة النساء (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله) ألم تسمعوا أقلا من أناجيلكم أن المسيح كان يصلي لله ويصوم ويجهتد في عبادته والصلاة ويعترف له بالإلهية ويفزع إليه في ضيقاته ومهامته ويتضرع إليه بالدعاء والمسألة (١) ولكن يا للأسف صرتم أنتم تستنكفون أن تسموا المسيح عبدا لله فإنكم أردتم أن تصرفوا إلى المسيح قول أشعيا في أول الفصل الثاني والأربعين (هوذا عبدي الذي أعضده. إلى آخره) فحملكم الاستنكاف على التحريف الصريح وتواطيتهم على أن تكتبوا في العدد الثامن عشر من ثاني عشر متى (هوذا فتاي الذي. إلى آخره) وكتبتم في الثاني من رسالة فيلبي في شأن المسيح ما نصه المشوه (لم يحسب خلصة أن يكون معادلا لله لكنه أحلى نفسه آخذا صورة عبد) فيا للأسف والعجب.

وقال الله تعالى في الآية الثالثة والسبعين من سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) ووجدوا حقيقة التوحيد الذي يلهجون بالاعتراف به ويجعلونه دينهم الأساسي ولا تقوم حججهم على الإلهية ووجوب الوجود إلا به فتناقضوا وتهافتوا وتقهقروا إلى جحود الحقيقة الأساسية وكفروا بها كيف يقولون ذلك؟ (وما من إله إلا إله واحد) لا يعقل تعدد الإله. الإله لا يتعدد وإلا خرج عن كونه إله (ما المسيح ابن مريم) (٢) البشر الذي ولد منها طفلا ثم تدرج في النمو البشري

(١) وقد ذكرنا في صحيفة ١٦٠ موارد ذلك من الأناجيل فراجع.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

إلى أن كبر (إلا رسول قد خلت) ومضت (من قبله الرسل) كنوح وإبراهيم وموسى وجاءوا بمعجزات تضاهي معجزات المسيح ونصحوا أممهم وتحملوا الشدائد في إرشاد الخلق. بل يقول العهد القديم إنه خلت من قبله أنبياء جاءوا بمثل ما جاء به من الآيات كإيليا واليشع (وأمه) امرأة بشرية (صديقة) وقد كانا بشرين فقيرين بفقر البشرية وحاجتها (كانا يأكلان الطعام) لرفع ضرورة الجوع وألمه وصيانة لبدنهما من الفساد بتحليل الطبيعة البشرية. ودع عنك ما كان يعتري المسيح من الحزن والبكاء والتألم والعطش وآثار الخضوع للفقر البشري ونقص البشرية وضعفها. أهكذا يكون الإله يا ذوي الشعور (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) (١) وتخدعهم أهواؤهم فلا يصغون إلى الحجة الوجدانية (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) (٢) وتقولوا فيه (بغير الحق) (٢) فتألهون البشر الضعيف وتجحدون حقيقة التوحيد والإلهية (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) (٢) إذا سولت لهم أهواؤهم ووثنتهم ضلالة الثالوث والأقانيم وتجسد الإله وتأليه البشر وخرافة الولادة من الله. كما لهج به الأسلاف والبراهمة والبوذيون والرومان واليونان وغيرهم من الأمم الوثنية. ولله الحجة البالغة

يا عمانوئيل: إنك قلت في صحيفة ٣٧٢ و ٣٧٣ (إن أصحابك يقولون إن أمر الثالوث والأقانيم جاءت به الكتب المقدسة فوجب قبوله) يا صاحبي أين هذه الكتب المقدسة وأين صراحتها في الثالوث والأقانيم؟!

هل هذه الكتب جامعة لشروط الاحتجاج بها؟
إذن فأين مضت دراستكم في الجزء الأول - أم أين صراحتها - وإنا

(١) سورة المائدة: الآية / ٧٥.

(٢) سورة المائدة: الآية / ٧٧.

قد رأينا ما يتشبه به أصحابكم من كلمات العهدين وجمعت في رسالة قد ردتها رسالة التوحيد والتثليث المطبوعة في صيدا في مطبعة العرفان سنة ١٣٣٢ وفندت مزاعمها بتشبهاتها من حيث اللغة العبرانية ومواضيع العهد القديم ودلالته وربما نعترض لذلك وزيادة فيما يأتي بعون الله. ولكن لا بأس بمراجعة الرسالة المذكورة عاجلا فإنها مبذولة لمن يطلبها. الدكتور: يا شيخ ما هذه الضوضاء في الغلط الكثير من الإلهيين إذ يشركون ويؤلهون الجماد والحيوان والبشر. مع أن الذي يعترف بالإله يكون إشراكه وتأليهه للبشر من خرافة الأغاليط: فلماذا كان ذلك؟

الشيخ: إنك ترى الناس إذا أسلسوا قيادهم للهوى، أو للجهل المركب والتقليد الأعمى، أو للتشامخ والكبرياء كيف تذهب بهم هذه الدواهي مذاهبها وتقحمهم في ورطات الإفراط والتفريط فيتعامون عن بديهياتهم ودلائل وجدانهم ومحكمات أساسياتهم فتسهل عليهم لأجل ذلك مصاعب المستحيلات وتستحکم في أذهانهم خيالات الواهيات. ألا تنظر إلى الماديين لما علقت فكرتهم بالمبادئ المادية كيف ورطهم انهماكهم بها في إنكار الوجود بعد العدم حتى صاروا يغالطون في العبارة ويقولون يستحيل (حدوث الوجود من العدم) لكي يوافقهم الغر الغافل الذي يحسب أنهم يريدون من هذه العبارة أن الوجود لا يكون العدم مادته ولا فاعله.

ألا تراهم كيف كابروا في هذا الإنكار وجدانهم ومشاهداتهم التي لا تحصى.. وورطهم في فرض قديم أزلي لا يصفونه بوجود الوجود حذرا من مطالبتنا لهم بلوازم وجوب الوجود. فأوقعتهم هذه الورطة بين محاذير المستحيلات وهي التسلسل إلى غير النهاية: أو الدور. أو افتراض أزلي لا يمكن تصور أزليته وافتراض الوقوف عليه بالتعليل ولا يؤدي تكلف هذا الافتراض وتحمل مسؤوليته للعلم إلا إلى حيرة الجهل وموقف الحيرة. وها هم قد قلقوا في مزاعم هذا الافتراض الموهوم

ودارت بهم زوابعه بين نظريات الجواهر الفردة وزوابع الأثير أو تكاثفه..
وورطهم انهماكهم هذا أيضا في تعليل وجود هذا العالم (بالصدفة)
والإيجاد بلا شعور ولا قصد للغاية. فراغموا وجدانهم فيما لهذا العالم
وأجزائه من الخصائص الجليلة والحكم الباهر والمقاصد الكثيرة والنظام
العجيب المتقن في أحواله وأدواره ومواليده هذه الأمور التي تنادي بالخلق
على الحكمة وقصد للغاية. ولا يرضون بالصدفة لما دون ذلك كما مر في
صحيفة ٥٧ و ٥٨ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٢٨ يتشامخون في غرورهم بالعلم
والشعور لأجل اكتشاف يسير من نواميس الخلق. ويفرطون بجحود العلم
والشعور لخالق العالم ونواميسه التي لا يكون سير العلم البشري في
ميدانها الأقصر خطوة.

وأما المتدينون فمنهم من أقحمه جهله فيما لا سبيل إليه من معرفة
الحقيقة الإلهية إذ كان السير في جادة الدلائل الحقيقية يحدد معلوماته
ويعرفه قصوره عن الخوض في لجج هذا التيار العظيم بما عنده من
مقدمات العلم البشري الصحيح فغالطته أوهامه بخيالات دلائل تقحمه
أخطار الجهل المركب وتمنيه زورا بالامتياز بالوصول إلى أسرار العرفان
فخبط وتاه ورجع القهقري في لوازم مزاعمه عن قوله بوجود الوجود
وعلم الله وخلقته بالإرادة وحقيقة توحيده.

ومن الناس من يتدلس باسم التدين ويمشي وراء غروره وتشامخه
ولا ترضى غواية تكبره إلا بدعوى مقام الألوهية. فيغالط بمقدمات أسسها
غيره لكي يبني عليها دعواه من الحلول والاتحاد والولادة من الله.
ومنهم من لا يطمع في تأسيس دعوى لنفسه ولا يقدر أن يدلس
نفسه إلا بتابعة غيره من الناس فيغالي بمتبوعه ويرفعه إلى مقام الإلهية
لكي يتشامخ هو إلى أعلى مراتب البشر من الرسالة والنبوة ونحوهما.
الدكتور: اللازم على الإلهيين في سيرهم على جادة وجوب
الوجود أن يكون الإله الواجب الوجود في منتهى ما يتصور من بساطة
الذات وعدم التركيب بجميع ما يتصور من أنحاء التركيب فليس فيه جهة

تعدد أصلا لا من حيث الأجزاء ولا من حيث الأفراد فهو واحد من جميع الجهات المتصورة.

الشيخ: نعم وهل يمكن العدول عن هذه الجادة والاضطهاد لهذه الحقيقة.

لا، لا يمكن لا في الشعور العلمي ولا في الشعور الفطري. الدكتور: هل يخفى على ذي شعور أنه يجب في التعليل الطبيعي. أن يكون بين العلة ومعلولها الخاص مناسبة وارتباط طبيعي. الشيخ. من الواضح أنه يجب ذلك فلا يمكن أن تتعدد المعلولات مع وحدة الجهة التي تعللها تعليلا طبيعيا. فالبسيط الواحد من جميع الجهات لا يمكن أن يعلل طبيعيا إلا مثله بسيطا واحدا من جميع الجهات.

الدكتور: هل يخفى أن التعليل الطبيعي يلزم فيه أن تكون العلة للموجود الخارجي حقيقة موجودة متأصلة في الوجود ولا يكفي أن تكون اعتبارا انتزاعيا يصور له العقل وجودا طفيليا لا حقيقة ولا استقلال له في الخارج وإنما الموجود هو منشأ انتزاعه.

الشيخ: نعم يلزم فيه ذلك ولا محيص عنه.

الدكتور: إذن يا شيخ هذا العالم الكبير المشتمل على ما لا يحصى من الطبائع المتباينة وكل طبيعة مشتملة على ما لا يحصى من الأفراد المتباينة في الوجود.

هذا كله كيف تجعلون علته واجب الوجود الذي يلزم من وجوب وجوده أن يكون في منتهى ما يتصور من البساطة والوحدة من جميع الجهات.

أفلا يلزم أن يكون لكل فرد من موجودات العالم جهة وجودية في واجب الوجود تناسب ذلك المعلول ولا تناسب غيره.

إذن فأين البساطة وأين الوحدة وأين وجوب الوجود.
العقول العشرة - والفلاسفة

لا أخالك تقول مثل بعض الفلاسفة إن الواجب صدر منه العقل الأول بتعليقه الطبيعي وهو واحد بسيط ولكن العقل الأول باعتبار إمكانه ووجوبه بالغير وتعقله لذاته ولغيره تكون له جهات بها صلح أن يتعدد معلوله ويعلل أشياء متعددة ولأجل ذلك صدر منه العقل الثاني مع فلك ونفس.

وهكذا يتدرج صدور القول والأفلاك بالتعليل إلى العقل العاشر وهو العقل الفعال مع الفلك التاسع وهو فلك القمر.

يا شيخ، هل تدري كم على هذه المزاعم من النقود والردود. سامحناهم في بناء مزاعمهم على مزاعم الهيئة القديمة ودعواهم انحصار العالم العلوي بالأفلاك التسعة. وانتهائهم في عدد العقول بانتهاء عدد الأفلاك - ولكننا نقول لهم:

(أولاً): إن الجهات المذكورة إنما هي اعتبارات محض وانتزاعات صرفة ليس لها وجود أصيل حقيقي فلا تصلح لأن تكون معللة للموجود بالوجود الحقيقي ولا يخرج بها الواحد البسيط عن كونه لا يعلل إلا واحداً بسيطاً مثله (١).

(١) قد كتب هذا قبل الاطلاع على ما كتبه العلامة الأوحى المحقق نصير الدين الطوسي (قدس الله نفسه) في مختصره فصول الاعتقاد. وبعد الاطلاع أثرنا التبرك بذكر كلامه طاب تراه في هذه الطبعة الثانية تنويراً للأفكار بأشعة تحقيقه مع مزج كلامه بشئ من شرحه وإيضاحه فقال في مطبوع مصر سنة ١٣٤١ في الصحيفة ال ١٠ و ١١ (قالوا لا يصدر عن الباري تعالى بلا واسطة إلا عقل واحد والعقل فيه كثرة، وهي الوجوب بالغير والامكان الذاتي وتعقل الواجب وتعقل ذاته ولذلك (أي ولأجل الكثرة فيه بهذه الأمور) صدر عنه عقل آخر ونفس وفلك مركب من الهيولى والصورة. ويلزمهم (أي على مبناهم في هذه المزاعم من أن الواحد لا يصدر منه إلا واحد مثله إن العقل الأول واحد لا يصدر إلا واحد مثله وهكذا في جميع المعلولات ولازم ذلك) إن أي موجودين فرضاً كان أحدهما علة للآخر بواسطة أو بغير واسطة (إذ يمتنع عل مبناهم أن يكون الموجودان معلولين لعلة واحدة وبطلان اللازم بديهي) و (أما زعمهم في التخلص عن هذا الالتزام أن العقل الأول فيه كثرة كما ذكرناه فيرد عليه) أيضاً (إن) التكثرات التي (زعموها) في العقل الأول (وتشبهوا بموهومها) إن كانت وجودية صادرة عن الباري جل اسمه لزم صدورها عن الواحد (وهو نقض لمبناهم وهو أنه لا يصدر منه تعالى شأنه إلا الواحد) وإن صدرت عن غيره لزم تعدد الواجب (إذ لا بد من انتهاء الممكن في التعليل إلى الواجب وقد أوضحنا أن واجب الوجود لا يتعدد) وإن لم تكن (تلك

التكثرات) موجودة لم يكن تأثيرها معقولا) كما ذكر في الأصل في الاعتراض الأول.

(٤٠٢)

(وثانيا) مهما تعددت جهات المعلولية ومهما تضاعفت من العقل الأول إلى العاشر فإنها لا تبلغ في العاشر أن تكون ألف جهة. ولتكن عشرة آلاف فماذا يصنع هذا المقدار في تعليل الكائنات التي لا تحصى أنواعها ولا تحصى أفراد كل نوع منها.

ثالثا: إذا سمحتم بأن تكون الانتزاعات جهات في الواحد البسيط يصلح بها لتعدد التعليل فلماذا لا تسمحون بمثل ذلك للواجب وتقولون إن الواجب يعلل المعلول الأول بذاته ويعلل الثاني والثالث والرابع بجهات تعليله للأول وتعلقه لذاته ولغيره وهكذا فتعللون الكائنات كلها بالواجب باعتبار ذاته وجهات تعليلاته وتعللاته لغيره ولا تشاركون معه في التعليل غيره بهذا الاشراك الوثني. من أين أخذ الامكان والوجوب بالغير والتعقل امتيازها بالصلاحية لأن تكون جهات وجودية مكثرة في العقل الأول دون واجب الوجود؟!

مع أنها في المقامين مشتركة في كونها انتزاعات محضة لاحظ لها في الوجود إلا بتصوير الانتزاع العقلي.

واجب الوجود خالق الكائنات بقدرته وإرادته
الشيخ. الواجب الوجود الذي هو في منتهى ما يتصور من البساطة
والوحدة إذا كان يعلل الموجودات بالخلق والإرادة لا بالتعليل الطبيعي
فهل تقول بأنه يلزم أن يكون معلوله ومخلوقه بالإرادة واحدا مثله وبسيطا
مثله.

الدكتور: لا. لا يلزم بل يجوز أن يخلق الكثير المتعدد
والمركب.

الشيخ. إذن فإننا نقول بما هو الحق المعقول من أن الواجب يوجد
جميع الكائنات بالخلق والقدرة والإرادة، وإن دعوى الوسطة في الخلق
بين الله والكائنات غير معقولة. ومن أدلتنا على ذلك نفس ما ذكرته أنت
ههنا من الردود على دعاوى الفلاسفة في أن الواجب يعلل بذاته تعليلا
طبيعيًا وفي افتراضات العقول وتوسطها في التعليل وافتراض العقل العاشر
الذي يسمونه العقل الفعال - فإننا نقول إنه لا بد من تعليل الكائنات
بواجب الوجود.

ولو كان تعليله لها طبيعيًا بنفس ذاته لا إراديا للزم ما ذكرته أنت من
المستحيالات ومخالفات المعقول.

إذن فلا بد من أن يكون تعليل الواجب إنما هو الخلق والقدرة
والإرادة.

فإن التعليل لا يخلو من أن يكون على أحد الوجهين. ومن بطلان
كون تعليل الواجب طبيعيًا نعلم أن تعليله إنما هو بالقدرة والإرادة وإنه
خالق جميع الكائنات بقدرته وإرادته.

فسبحان ربك رب العزة

عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين